

فرج الله احمـلو

مقتطفات من كتاباته



پروت ۱۹۶۲

فرج الله الحلو

مقتطفات من كتاباته

بإشراف لجنة فرج الله الحلو

بيروت ١٩٦٤



الشهيد فرج الله الحلو

س إلى المتأري

بمناسبة الذكرى الثالثة لاعلان استشهاد المفكر اللبناني العربي الكبير
فرج الله الحلو ، رأت لجنتنا - احياء لهذه الذكرى الفاجعة - ان تقدم للرأي
العام الوطني في لبنان وسائر البلاد العربية ، نخبة من آثار الفقيه الشهيد
كتبها ، وكتب العديد امثالها ، مستوحيا فكره الثاقب الصافي ، ووطنيته
الصادقة الابية ، وكفاح شعبه الدائب في معركة التحرر والاستقلال والتقدم ،
اذ كان دائما - منذ نشأته حتى لحظة استشهاد البطولي - في الصف الاول
من الطليعة المجاهدة الواعية المخلصة في هذه المعركة .

بكثير من الاسى ، وبكثير من الاعتزاز ايضا ، نقدم هذه النخبة الناضجة
يسودها المنطق العلمي الرصين ، ويضيئها الفكر المثقف المنفسحة له آفاق الثقافة،
ويشيع فيها حرارة الحياة قلم اصيل نبيل انيق ، وايمان بالشعب والوطن
والانسان لا حدود له ، وجهاد ثابت القدم في معركة الحرية لا يلين ولا يساوم
ولا يستخذي لطفيان او بغى او جيروت .

اننا ناسى ونعتز معا ، ونحن تقدم للرأي العام اللبناني والعربي هذه النماذج
القلمية الحية من آثار الفقيه الشهيد :

- ناسى ، لان عاصفة من الطفيان الديكتاتوري الفاشستي قصفت هذا

القلم العربي الصلب وهو ما يزال في خصبه وفتوته ، وما يزال في المعركة العربية التحررية العارمة يخوضها بشرف وبطولة ودأب .
- ونعتز ، لان هذا القلم المجاهد قد نبت في لبنان ، واشتدت اضلاعه على الايمان بحق لبنان وحق العرب جميعا في الحرية والكرامة والتطور الحضاري التقدمي والسلم ، ثم وقف ايام العاصفة الطاغية بكبرياء وصلابة وشهامة بلغت ارفع ذروات البطولة والفداء .

في هذه المجموعة من مقالات الفقيه الشهيد ، وقفات بصيرة نيّرة شجاعة مؤمنة من وقفات الفكر اللبناني العربي تجاه ادق القضايا اللبنانية ، والعربية بعامة ، واهمها شأنا ، واثقها صلة بأمانني شعبنا ومطامحه واهدافه الكفاحية ، القربة والبعيدة معا .

باسم نضال شعبنا في سبيل الحرية والاستقلال والسلم والتقدم ، نحيي ذكرى الشهيد ، ونحيي بطولة استشهاده وفدائه ، ونحيي اولئك الاحرار في العالم ، الذين وقفوا معنا دفاعا عن حياة فرج الله الحلو وحرثه ، ودفاعا عن كرامة الانسان ضد الطغيان ..

(لجنة فرج الله الحلو)

حياة الشهيد

... في سطور

- ولد فرج الله الحلو عام ١٩٠٦ في عائلة فلاحين فقراء في قرية حصرail - قضاء جبيل .
- وقد هاجرت والدته وشقيقاه الكيران الى اميركا ، وبقي هو مع والده وشقيقه وشقيقته يعاني شظف العيش طوال مدة الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ - ١٩١٨) .
- دخل مدرسة القرية في جدايل . ثم انتقل منها الى « المدرسة الوطنية » في عمشيت . وكان مثال التلميذ الجاد والمحبوب من رفاقه ، فانتخب رئيسا لجمعية المدرسة ، وبعد انتهاء دراسته الابتدائية في عمشيت ، انتقل الى مدرسة ميقلوق .
- ترك المدرسة لعدم تمكنه من متابعة الدراسة لقلّة ذات اليد وراح يفتش عن عمل . . فعمل موظفا صغيرا في المساحة ، ثم معلما في بعض المدارس .
- في سنة ١٩٢٩ ، رغبة منه في اتمام دراسته ، اتفق مع المدرسة الانجيلية في حمص على متابعة دراسته لقاء اعطاء دروس في العربية للصفوف الابتدائية فيها . وحصل منها على شهادة البكالوريا السورية ، القسم الاول ، ثم انتقل الى دمشق لتحصيل القسم الثاني في المدرسة الارثوذكسية ولكنه عجز عن اتمام دراسته لعدم توفر نفقاتها لديه .

- في مطلع السنوات الثلاثين من هذا القرن ، اَبَّان ابتداء نهوض جديد لحركة التحرر الوطني في سوريا ولبنان ضد المحتلين الفرنسيين اخذ فرج الله الحلو - وهو الذي تربى على تقاليد الشعب اللبناني الوطنية البطولية - يتحسس مظالم الاستعمار على وطنه وشعبه ويبحث عن طريق الخلاص . فكان من الطبيعي ان يتعرف الى اوساط الوطنيين الثوريين في حمص ودمشق .
- في حمص تعرف فرج الله الحلو الى خالد بكداش ، وساهم معه في تكوين وبناء حزب العمال والفلاحين في سوريا ولبنان .

في غمرة الكفاح

- في سنة ١٩٣٤ قاد الحركة التي قامت في قضاء جبيل لتجنيد الفلاحين من اجل مطالبهم . وقد شملت هذه الحركة زهاء ٢٠ قرية .
- كان من المناضلين الذين اسهموا اسهاما اساسيا في تنظيم الحركة النقابية في لبنان .

مع الشعب السوري في كفاحه

- في عام ١٩٣٦ عندما كانت موجة النضال الوطني للشعب السوري ، ضد الاستعمار الفرنسي في اوجها كان فرج الله الحلو في قلب المعركة في دمشق خلال اضرابها الخمسيني الشهر الذي ارغم فرنسا على عقد المعاهدة السورية الفرنسية . وقد اقلت سلطات الانتداب الاستعمارية القبض عليه وابعدته معتقلا الى بيروت ومنعته من دخول سوريا .
- في عام ١٩٣٥ عندما شنت ايطاليا الفاشية حملتها الاستعمارية على الحبشة ، قامت حركة استنكار كبرى . وكان فرج الله الحلو من ابرز المنظمين لها .
- في سنة ١٩٣٧ انتخب سكرتيرا للحزب الشيوعي .
- خاض معركة الانتخابات النيابية عن محافظة جبل لبنان عام ١٩٣٧ . ولما صدرت جريدة « صوت الشعب » في ربيع ١٩٣٧ عمل فرج الله الحلو محررا رئيسيا فيها .

ضد الفاشستية

- طوال هذه المرحلة الممتدة من عام ١٩٣٦ الى عام ١٩٣٩ التي تزايد فيها خطر الفاشستية مهددا شعوب العالم بما فيها الشعوب العربية ، سار الشيوعيون في سوريا ولبنان في طليعة المناضلين ضد هذا الخطر الماحق .
- كان فرج الله الحلو من أبرز المناضلين في سوريا ولبنان من أجل تجنيد اوسع الجماهير وجمع اكبر القوى لمحاربة الفاشستية والاسهام في القضاء عليها .

في سجون الاستعمار الفرنسي

- في سنة ١٩٣٩ ، بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية ، لوحق الحزب من قبل السلطات الفرنسية الفيشية المتعاونة مع الهتلرية فدخل في عهد سري . واعتقلت هذه السلطات فرج الله الحلو .
- امام المحكمة العسكرية الاستعمارية التي حاكمته مع رفاقه التي دافعا كان صك اتهام للفاشستية رأس حربة الاستعمار وقوى العدوان والحرب وفيه دافع عن حق لبنان وسوريا بالاستقلال ، وعن سياسة الاتحاد السوفياتي ، امل البشرية جمعاء في القضاء على الفاشستية .
- حكم عليه مع رفاقه بالسجن خمس سنوات وبفرامة قدرها خمسة آلاف فرنك ذهباً ، قضوا منها ٢٢ شهرا في سجون القلعة والرمل وبعيدا وبيت الدين .
- بعد زوال حكم فيشي في تموز ١٩٤١ اخلي سبيل الشهيد ورفاقه فعاد الى ميدان الكفاح والنضال ضد الفاشستية ، في سبيل استقلال لبنان واجلاء الجيوش الاجنبية عنه .
- خاض المعركة الانتخابية عام ١٩٤٣ عن محافظة جبل لبنان ، فحصل ، كمرشح مستقل ، على زهاء ١٠ آلاف صوت .

في معركة الاستقلال

- عندما ارتفعت في العالم كله موجة النضال في سبيل التحرر من الاستعمار ، بتأثير من الضربات القاصمة التي انزلها الاتحاد السوفياتي بالجيوش الهتلرية ، كانت سوريا ولبنان في طليعة بلدان الشرق العربي في هذا النضال . فاندفع شعباهما في معركة الاستقلال الوطني. وجلاء الجيوش الاجنبية. وكان الشيوعيون في عداد القوى الوطنية المنظمة التي لعبت دورا حاسما في هذه المعركة

وقد خاضوها على اساس تجميع القوى الوطنية في النضال من اجل الاستقلال والجلاء .

● تالف المؤتمر الوطني اللبناني عام ١٩٤٣ فكان فرج الله الحلو من الاركان المؤسسة لهذا المؤتمر ، ومن انشط رجاله .

● في ٣١ كانون اول ١٩٤٣ و ٧ و ٢ كانون الثاني ١٩٤٤ عقد المؤتمر الوطني للحزب الشيوعي . وقدم فرج الله الحلو تقريراً عن شؤون التنظيم وتعديل نظام الحزب الداخلي وتجدد انتخابه في اللجنة المركزية وسكرتيراً للحزب . في هذه الفترة انتخب عضواً في اول نقابة تأسست لمحري الصحافة اللبنانية .

● الشهيد من مؤسسي اتحاد الاحزاب اللبنانية لمكافحة الصهيونية .

● في عام ١٩٤٦ حضر مع خالد بكداش مؤتمر الحزب الشيوعي البريطاني ومؤتمر الاحزاب الشيوعية .

● وفي نفس العام انتخب رئيساً للجنة قري منطقة حبييل العاملة لتأمين مياه الشفة .

● في عام ١٩٤٧ خاض معركة الانتخابات النيابية عن محافظة جبل لبنان ونال مستقلاً ما يزيد عن ١١ الف صوت .

● في عام ١٩٥٣ اذاع فرج الله الحلو مع عدد من رفاقه برنامجاً سياسياً كان له صداه الواسع في مختلف الاوساط الشعبية الوطنية .

في سوريا من جديد

● منذ عام ١٩٥٤ ساهم فرج الله الحلو مساهمة فعالة في نضال الشعب السوري وقدم مساعدات فعالة للقوى الديمقراطية السورية وللنضال الشعبي ضد الاستعمار ومؤامراته واعوانه . وكان محرراً رئيسياً في جريدة « النور » الدمشقية .

● في عام ١٩٥٧ مثل ، مع الامين العام للحزب خالد بكداش ، الحزب الشيوعي في مؤتمر الاحزاب الشيوعية الذي عقد في موسكو .

مع الشعب اللبناني في انتفاضته ضد حكم ايزنهاور

● في عام ١٩٥٨ ساهم بكل قواه بانتفاضة الشعب اللبناني ضد حكم الانحياز والتبعية لمشروع ايزنهاور . وقاد نضال الشيوعيين اللبنانيين في هذه المعركة .

● ساهم فرج الله الحلو في ترجمة كثير من المؤلفات الماركسية اللينينية الفلسفية

والاقتصادية ، وكتب مجموعة كبيرة من الابحاث الاجتماعية والسياسية ، وكان له دور فعال في نشر افكار الاشتراكية العلمية .

- في مطلع ١٩٥٩ عندما شنت الديكتاتورية ارهاابها الاسود ضد الشعب السوري ، منح فرج الله الحلوقواه وكفاءاته لمساعدة الشعب السوري في معركته . وفي ٢٥ حزيران اختطفته ايدي المباحث في دمشق وعذبته بوحشية متناهية الى ان لقي مصرعه واستشهد تحت التعذيب .
- قامت حملة لبنانية وعربية وعالية كبرى المطالبة بالافراج عنه او محاكمته امام محاكم اصولية . وتكونت لجنة عالية للدفاع عنه .
- استشهد فرج الله الحلوقمخلفا وراءه ارملة وثلاث بنات كبيرتهن في سن الحادية عشرة .

بلادنا ايضا له اول ايارها

في اول ايار عام ١٩٣٧ وضع الشهيد كراسا صغيرا بعنوان « اول ايار في التاريخ يوم نضال لاجل الحريات الديمقراطية » ولجل ثماني ساعات عمل في اليوم » .
تحدث الشهيد في هذا الكتيب عن تاريخ اول ايار العام ١٨٨٦ ، وكيف اقر فيما بعد يوما عالميا لنضال العمال في العالم وتخليدا لذكرى شهدائهم في مجزرة شيكاغو .
وننقل فيما يلي فصلا من هذا الكتيب يتحدث فيه فرج الله الحلو عن نضال عمال بلادنا من اجل اول ايار فيقول :

نضال الشعوب التاريخي لاجل مطالب اول ايار

اكثر من ٥٠ عاما مضت على الشعوب وهي تحتفل بيوم اول ايار في ظروف مختلفة ومتنوعة تخللتها الحروب والثورات والمجاعات والنكبات .

اكثر من خمسة واربعين عاما مضت على الطبقة العاملة

العالمية وعلى حلفائها واصدقائها الفلاحين والمثقفين والفكرين
الاحرار الطامحين الى حياة وطنية انسانية والثائرين على الطغيان
الفاشستي الاستعماري الاسود ، جميع هؤلاء في كل العالم كانوا
وما زالوا الى اليوم يستقبلون يوم اول ايار كل سنة في ظروف
ارهابية شديدة ، وينقشون كل سنة على علم اول ايار الكبير
اسماء شهداء اخرين ساروا في طريق ضحايا ١٨٨٦ ، لاجل
الوصول الى تحقيق الحريات الديمقراطية الانسانية لكل الشعوب
ومحو كل ظلم وطني واجتماعي وتحقيق العدالة الاجتماعية
الصحيحة .

بلادنا لها اول ايارها

هذه الاعوام العصيبة قد مر مثلها واشد منها على بلادنا
المجاهدة . فمند عشرين عاما يشاهد شعبنا كل سنة « اول ايار »
مخضبا بدماء شهداء الاستقلال والحرية ومكلا بذكري ابنائه
الابطال المجاهدين الذين قضى عليهم وفاؤهم لوطنهم ولخربة
شعبهم ان يحرموا طيلة اعوام صعبة مشاهدة وطنهم ورؤية
شعبهم .

واذا كان عمال اميركا الشمالية قد شاهدوا « اول ايارهم »
في شيكاغو سنة ١٨٨٦ ، فقد شاهد وطننا المحبوب هذا اليوم
المجيد في سنة ١٩٢٠ في ميسلون ، وشاهده في سنة ١٩٢٥
وما بعدها في رياض القوطة وسهول حوران وسفوح جبل الدروز
كما شاهده في قمم جبال القلمون ووادي العاصي وفي دمشق
الخالدة ، كما عرفت بلادنا هذا اليوم في الاضراب الخمسيني
الظافر وفي مظاهرة ١٤ حزيران ١٩٣٦ في بيروت .

عشرون سنة مرت على هذه البلاد الابية حاملة في طياتها
اقدس ذكريات النضال في سبيل المثل الوطنية والانسانية
العليا ، الحرية والخبز والسلام .

اذا فليس اول ايار ببطلته وتضحياته ودمائه باليوم الجديد
او الغريب في بلادنا .

انتصار اول ايار في الاتحاد السوفياتي فقط

ومند عشرين سنة ايضا وفي بقعة عظيمة من العالم توازي سدس الكرة الارضية ، تلك هي الاتحاد السوفياتي ، يعيش مائة وثمانون مليون من البشر ، يستقبلون « اول ايارهم » كل عام في ظروف فريدة لم تعرفها بقية اقسام العالم الاخرى بعد .
تستقبل هذه الملايين يوم اول ايار بالابتهاج والفخر وترفع علمه الظافر الذي تسجل عليه كل سنة انتصاراتها الاشتراكية الجديدة ، في الوطن الاشتراكي الوحيد ، حيث الغي الى الابد استثمار انسان للانسان ، ومحيت الى الابد الازمات الاقتصادية وما تجره من بطالة وآلام ونكبات ومجاعات وبات الانسان ينظر الى المستقبل بالثقة والرغبة والاطمئنان .

ان شعوب الاتحاد السوفياتي التي تتكلم اكثر من مائسة وخمسين لغة وتمثل اكثر من مائة وخمسين قومية ايضا من كل المذاهب الدينية المعروفة في العالم ، كل هذه الشعوب تعيش في ظل نظام اشتراكي وبحمائية احسن دستور ديمقراطي باخاء وطني وانساني صحيح ، وتنعم لأول مرة في تاريخ الانسانية ، بعدالة وطنية واجتماعية صحيحة .

هذه الشعوب تعمل بقلب واحد ورغبة واحدة ملحة بقيادة حزبها الشيوعي العظيم لاجل الدفاع عن السلام العالمي واحباط مساعي الفاشستية الجنونية الرامية الى القاء الانسانية في اتون مجزرة عالمية وحشية ، والى اخضاع الشعوب الضعيفة والدول الصغيرة لئير استعمار فاشستي افظع ما عرفه التاريخ .

بسالة اسبانيا الديمقراطية امام هجوم الفاشستية

ان اول ايار في سنة ١٩٣٧ يمر على العالم في ظروف لم يسبق لها مثيل ، فالحرب الرجعية الفظيعة التي اثارتهــا الفاشستية العالمة على الشعب الاسباني ، وحكومته الجمهورية الشرعية ما تزال تزداد اشتعالا ولا تزال جيوش هتلر وموسوليني تغزو بالالوف ارض اسبانيا المدافعة عن حريتها واستقلالها

وكرامتها ولا يزال الشعب الاسباني يقدم كل يوم مثلاً رائعاً في التضحية والبسالة .

ان انظار الشعوب تتجه في اول ايار الى اسبانيا الديمقراطية المجاهدة ، وتتجه انظارنا نحن العرب الى تلك الديار التي تربطنا بها ذكريات اجدادنا الطيبة ، التي يقود الدكتاتور فرانكو اخواننا عرب مراکش اليها ليقدمهم قربانا في مذبح المطامح الاستعمارية الفاشستية ويصم الشعوب العربية المناضلة في كل اقطارها في سبيل الحرية بوصمة المرتزقة التي تحارب الحرية . ان السن العرب كلهم تلعن فرانكو وتحيي الشعب الاسباني لان نضاله في سبيل الديمقراطية والحرية هو نضال كل الشعوب العربية في سبيل حرياتها الوطنية والديمقراطية .

العهد الجديد في سورية ولبنان

واذا كانت بلادنا السورية اللبنانية قد شاهدت اول ايار في العهد البائد في تلك الظروف العصيبة المعروفة وهي غارقة في الدماء فانها تستقبل اول ايار هذه السنة وقد بزغ عليها فجر عهد جديد لا يزال الشعب يعلق عليه اكبر الامل . لقد احرز الشعب انتصارا وطنياً كبيراً في عقد المعاهدة مع فرنسا هذه المعاهدة التي افسحت المجال لانتخاب مجلس نيابي جديد ولتأليف حكومة وطنية ، والتي ساعدت على تخفيف كابوس الاستعمار الفاشستي عن كاهل الشعب .

مرحبا بالاخوان المبعدين

وان البلاد تستقبل بالابتهاج والغبطة مع اول ايار هذه السنة رجوع نخبة كريمة من ابنائها الذين شردهم الاستعمار الفاشيستي عنها جزاء نضالهم العظيم لاجل حرياتها الشعبية الوطنية والديمقراطية والشعب كله يأمل ان يعود الاخوان المبعدون الاخرون الى حضن الوطن الذي قاسوا كل صنوف الشدائد والاضطهاد في سبيل تحريره واستقلاله .

خطر الفاشيستي على العهد الجديد

واذا كان انتصار الشعب في اول اذار سنة ١٩٣٦ قد

أدى الى عقد المعاهدة التي فتحت عهدا جديدا على البلاد فان
الخطر على هذا الانتصار لا يزال شديدا بل هو يشتد كل يوم
لان غلاة الاستعماريين الفاشيست الافرنسيين الذين اغرقوا
بلادنا في الدماء طيلة عشرين عاما لم يكفوا ، بعد انتصار الشعب،
عن محاربة البلاد وكل من يريد الخير للبلاد .

وهم لا يزالون منبثين في بلادنا في الوظائف الادارية
والعسكرية ويعملون ليل نهار وبكل الوسائل والطرق لاجل احباط
العهد الوطني الجديد وعرقلة كل اصلاح ترمي اليه الحكومة
الوطنية ويساعدهم في ذلك خدامهم الخونة القداماء الذين غمسوا
أيديهم ايضا بدماء الشعب عشرات المرات .

وقد زاد في حقد هؤلاء الفاشيست الجنوني انتصار الشعب
الافرنسي على الفاشستية في جبهته الشعبية التي تزداد قوة
ونفوذا كل يوم والتي كان وصولها الى الحكم في فرنسا من اكبر
العوامل التي سهلت عقد المعاهدة .

تنظيف البلاد من الموظفين الفاشيست

واذا كان اول ايار هذه السنة في العالم يوم اتحاد كل القوى
الديمقراطية للوقوف في وجه الفاشيستية والى جانب الشعب
الاسباني الملتف حول حكومته الجمهورية الشعبية لاجل الدفاع
عن السلام والخبز والحرية فان يوم اول ايار في بلادنا هو يوم
اتحاد كل الشعب لاجل الدفاع عن الحكم الوطني ، هو يوم اتحاد
كل شعب في المطالبة بتنظيف جهاز الادارة الاهلي والعسكري من
كل الموظفين الفاشيست الافرنسيين .

يوم تقوية التنظيم النقابي

ان العمال في كل العالم سيحتفلون باول ايار هذه السنة
تحت علم وحدة الطبقة العاملة العالمية ضد الفاشستية والحرب
لاجل الدفاع عن الحرية والخبز والسلام . وان اول ايار في سورية
ولبنان سيكون هذه السنة يوم اتحاد كل العمال واستمرارهم على

تنظيم نقاباتهم ، والمطالبة بتحقيق الحريات النقابية وتحقيق
تشريع العمل . ولاجل تحقيق ثمانى ساعات عمل في اليوم كما
حققها اخوانهم العمال في كثير من اقطار العالم الاخرى .
وان العمال سيدافعون ايضا مع كل الشعب عن العهد
الوطني الجديد وسيكونون باتحادهم وتنظيمهم من اكبر العوامل
على تحقيق اتحاد كل الشعب .

يجب الاصغاء الى صوت الشعب

ونحن الشيوعيين الذين نرى ان مصلحة بلادنا تتطلب في
المرحلة التاريخية الحاضرة اكثر من كل وقت ، توحيد الجهود،
وترك كل نزاع حزبي داخلي لا تزال ايدينا ممدودة بصدق
واخلاص الى اخواننا الكتوليين (١) والى كل مخلص يهمه ان يرى
بلاده عزيزة الجانب موفورة الكرامة ، الى كل مخلص يهمه ان
تحتل بلاده تحت الشمس مركزها اللائق بها وبتاريخها ، الى كل
مخلص يهمه ان لا يكون ابناء وطنه جائعين بائسين ، الى كل
مخلص يهمه ان لا يرجع العهد البائد عهد الاستعمار الفاشيستي
بويلاته ودمائه ، نمد ايدينا لنجعل من اول ايار لا يوم احتفال
بالعهد الجديد فقط بل لندشن فيه ايضا اتحاد كل الاحزاب
والهيئات الوطنية اتحادا منظما في جبهة وطنية موحدة لتحقيق
رغبات شعبنا واماني امتنا .

ان صوت الشعب كله يهتف في يوم اول ايار مناديا الى الاتحاد
الى الاتحاد لاجل تنظيف البلاد من العناصر الفاشيستي .
وقد حان الوقت الى ان يصغي الجميع لصوت الشعب وان
يلبوا نداءه .

انسانية جديدة تبني عالماً جديداً

في العام ١٩٣٤ زار الشهيد الاتحاد
السوفياتي وتجول في جمهوريات اسيا
الوسطى . وفي العام ١٩٣٧ وضع كتابا
ضمنه مشاهداته وانطباعاته عن بلد الاشتراكية
المظفرة ، بعنوان « انسانية جديدة تبني
عالماً جديداً » وفيما يلي بعض الفصول من
هذا الكتاب القيم .

الى اخواني القراء

هذه بعض بحوث ومعلومات جمعت لتقدم الى القراء العرب
بمناسبة دخول الاتحاد السوفياتي في عامه العشرين بعد الانقلاب
التاريخي العظيم الذي جرى في ٧ تشرين الثاني عام ١٩١٧ .
وهي فصول مستقاة من مشاهدات واختبارات كتاب
وصحفيين اوروبيين وعرب زاروا في اوقات مختلفة اتحاد
الجمهورية الاشتراكية السوفياتية وكتبوا كثيراً عن مشاهداتهم
واختباراتهم في الصحف السيارة او في المجلات والكتب .

ولا تزال الصحافة المباعة ووسائل النشر المأجورة لافطع المستعمرين الطامحين ابدا الى الفتح وقتل حريات الشعوب الضعيفة تضاعف نشاطها في اذاعة الاكاذيب والاحابيل عن الاتحاد السوفياتي وطن الاشتراكية الظافرة وامنع معقل للديمقراطية الصحيحة .

ولا يزال كثير من القراء العرب يساورهم الشك والحذر حول ما تذيبه المصادر الاستعمارية الفاشستية وابواقها المأجورة وهم يشوقون الى الاطلاع على الحقيقة الراهنة في تلك البلاد . فالمعلومات التي يضعها هذا الكتيب امام القراء العرب غير كافية لتحيطهم بامانة ثامة بجميع نواحي الحياة الزاخرة في الاتحاد السوفياتي ولكنها تستطيع ان تلقي النور على قسم من اهم النواحي التي لا تزال موضع التضليل والاقاويل . ففي هذا الكتيب بحث عن الثقافة في الاتحاد السوفياتي ، وبحث عن المرأة والعائلة ، ومعلومات عن الفلاح الروسي . وفي اكثر هذه المعلومات اعتماد على الارقام والاحصاءات التي لا ثقبل الجدل ، وهناك جدول احصائي يضع امام اعين القراء مقدار التقدم الهائل الذي حققه النظام السوفياتي في مدة العشرين عاما لوجوده .

فتقديم هذا الكتيب الى قراء العربية يجيب على اسئلة كثيرة تخالغ افكار ابناء بلادنا ، ويفضح ويدحض في الوقت نفسه اكاذيب الفاشيست المستعمرين ودعاتهم المضللين ويخدم الحقيقة ، وما اشد حاجتنا في هذا الوقت الى خدمة الحقيقة والدفاع عنها لانها خدمة لبلادنا ودفاع عن قضيتنا الوطنية .

فرج الله الحلو

مقدمة

من خيال الى حقيقة

منذ عشرين سنة ، في ٨ نوفمبر سنة ١٩١٧ ، بعد ان قامت الثورة المسلحة في بطرسبورج ، واجتمع مجلس السوفيات على اثر نجاحها ، بعد ٢٤ ساعة من اعلانها ، دخل لينين الى قاعة الاجتماع بين الهماس العالى والتصفيق الحاد واعتلى المنصة، ثم اآال عينيه بين الجموع الهائفة ، وقال بعد ان هدات العاصفة : « والان لنبدأ ببناء الاشتراكية » .

من عهد افلاطون الى عهد الفأرابي وتومس مور الى عهد سان سيمون وروبرت اون الى عهد ماركس وانجلز الى عهد لينين مرت الاشتراكية من حلم الى خيال الى رغبة الى علم الى حقيقة .

ومن عهد الرق، الى عهد الاقطاعية، الى عهد العمل المأجور تجمعت القوى الاجتماعية وتجمع الاختبارالعلمي كي يلدابانالحرب الاستعمارية الكبرى ، بين ازيز المدافع وائين الانسانية المتألمة ، العهد الانساني الجديد ، عهد الاشتراكية .

ولست الماركسية بنت لينين ولا ربيعة روسيا القيصرية ، بل هي بنت التاريخ البشري ورببة الانسانية باجمعها ، وليس الاتحاد السوفياتي الا الميدان الاول لتحقيق هذه المبادئ ، ولا يمكن أن يفهم الاتحاد السوفياتي كل الفهم الا من يفهم الماركسية اولا من جهتها المبدئية كل الفهم .

مدار البحث

لا يسعنا في هذه المقدمة الصغيرة ان نطيل البحث فسي الماركسية ولا ان نستعرض تاريخ نشوئها مع نشوء النضال الطبقي في الغرب ، ونستطيع في بحث موجز ان نكتب كل ما نريد ان نكتبه عن موقف العالم الاشتراكي من العالم الرأسمالي ، وعن موقف الرأسمالية من الامم المتأخرة اقتصاديا ، وموقف الاشتراكية من هذه الامم ، او موقف هذه الامم من الاثنتين وموقف البلاد العربية خصوصاً . فكل بحث من هذه الابحاث اما كتب عنه مجلدات ، او يحتاج الى مجلدات للاحاطة بكل نواحيه . وسنظر بحكم ضيق المجال لان نمر فوق هذه الموضوعات .

الماركسية فلسفة التحرير

ليست الماركسية قبل كل شيء امراً او امورا محدودة مثل تشغيل المرأة ، او اعطاء اجور معينة ، او غير ذلك . بل هي فلسفة تفهمنا التطور الاجتماعي في ماضيه وحاضره ومستقبله ، وهي مبدا نستعين به على تحرير كل فرد من الافراد ، وهي تضع التحرير الاقتصادي كأساس لكل انواع التحرير الاخرى ، لان المرء لا يمكن ان يكون حراً في ناحية من النواحي اذا كان لا يزال مستعبداً من حيث كسب العيش . فعلى هذا الاساس تسعى الماركسية فسي الغرب مثلاً لتحرير العامل من صاحب العمل بأن تنقل ملكية آلات الانتاج الى المجتمع كله ، وبأن تضع آلات العمل تحت تصرف العمال فيشعر كل فرد منهم كأنه يملك جزءاً من ذلك العمل . وتريد ان تحرر الفلاحين من نير الاقطاعيين او من نير الملاكين الكبار ، بان تنقل ملكية الارض الى المجتمع وبان تتعدها على الطريقة النسي يرداد بها الانتاج الزراعي ازدياداً هائلاً بجهد اقل ، سواء اجاء ذلك عن طريق تسليم الارض الى الفلاحين او عن تأسيس مزارع اشتراكية او عن غير ذلك من الطرق ، وفي كل الاحوال يشعر الفلاح ان الارض له وان في زيادة انتاجها زيادة ثروته الخاصة . وتريد ان تحرر المستعمرات من مستعمرها بان تقتلع اساس الاستعمار الذي هو وجود الرأسمال والشركات الرأسمالية عند الدول المستعمرة .

وتريد ان تحرر الانسان من سيطرة الطبيعة بان تستخدم كل قواه العلمية والتنظيمية في سبيل البناء عن طريق السلم لا في سبيل الهدم عن طريق الحرب ، اي تريد ان تحول كل نضال بين الانسان والانسان الى نضال بين الانسان والطبيعة . وبكلمة موجزة تسعى الماركسية لان تحرر الانسان من نير الانسان ، ولان تحرر الانسان من نير الطبيعة .

ومن الواضح ان التحرير لا يمكن ان يكون مطلقا ، اي لا يمكن ان نصل الى حد ونقول اننا وصلنا هنا الى قمة التحرر ، لان **التحرير امر نسبي** . والماركسية لا تقوم في اي بلاد الا بقدر ما تسمح به الاوضاع الاقتصادية في تلك البلاد ، فلو طبقت الاشتراكية في الولايات المتحدة اليوم لكان نصيب الشعب من التحرر فيها اكثر مما لهم منه حتى في الاتحاد السوفياتي رغم العشرين سنة التي مرت منذ ان قال لينين : « والان لنبدأ ببناء الاشتراكية » . وليس ذلك الا لان الاساس الاقتصادي الذي قد تبنى عليه الاشتراكية اليوم في الولايات المتحدة هو ارقى بكثير من الاساس الاقتصادي الذي بنيت عليه الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي منذ عشرين سنة .

تحرير الماركسية شامل

وليست الماركسية اساسا للتقدم فقط . بل لكيفية التقدم . فاذا نحن اخذنا تقدم العالم خلال فترة النظام الرأسمالي ، اي منذ منتصف القرن الثامن عشر الى يومنا هذا ، نرى ان البشرية كانت تنال في كل سنة ما لم تكن تناله قبلا في اجيال او قرون . ولكننا رغم كل ذلك كنا لا نخطو الى الامام الا على سحق الالوف والملايين من ابناء جنسنا ، بين الحروب والمجاعات والامراض والبطالة . ان كل تقدمنا في الماضي كان مبنيا على اساس النضال الطبقي بين من يملكون ومن لا يملكون ، يكفي ان نذكر ان العمال الانكليز ظلوا يناضلون قرنا بكامله لينقصوا ساعات العمل اليومي من الخمس عشرة والست عشرة الى الثماني او التسع ، يكفي ان نذكر ذلك لنشير الى كيفية تقدمنا خلال تلك الفترة من الزمن . اما بعد ان يبدأ

بناء الاشتراكية ، بعد ان تصبح وسائل الانتاج ملكا للجميع ، بعد ان يشعر كل فرد انه شيئاً في المجتمع ، فان التقدم لا يمكن ان يقوم الا على اساس اشتراك الكل فيه .

ان البشرية عندئذ تحول التقدم الذي يسير جثث الموتى على صدر الطبيعة ، تحول التقدم الذي يقطف ثماره افراد قليلون ، الى تقدم يشترك في قطف ثماره الجميع ، تحول التقدم الطبقي الى تقدم تعاوني .

التقدم الماركسي سريع

وليست الماركسية سبيلا للتحرر ، وسبيلا لكيفية التحرر الشامل فحسب ، بل سبيلا لسرعة التحرر ايضاً . ولولا هذا الشرط الوحيد لانهدمت كل الامال التي تعلقها عليها كل الطبقات الكادحة وكل الشعوب في العالم . اي ان الاشتراكية بعد ان تهدم اساس الملكية الفردية لوسائل الانتاج ، وبعد ان تتخلص من تناقضات النظام الراسمالي ، تلك التناقضات التي تخلقها الفردية نفسها ، يتضاعف الانتاج تضاعفا هائلا بالنسبة الى تضاعفه على اساس الملكية الفردية . وعندما يتضاعف الانتاج الكلي يتضاعف به الدخل الفردي .

التحرير لكل فرد ، وسرعة التحرير بشكل لم يعرفه التاريخ قبل اليوم ، هذا هو بكلمات موجزة ما تسعى اليه الماركسية . والذين يحملون علم الماركسية الصحيحة هم الشيوعيون في كل انحاء الارض . واول مكان بدأوا فيه بتحقيق الاشتراكية هو الاتحاد السوفياتي . وقد مر على حياة الاشتراكية هناك عشرون سنة ، فهل ترى حققوا كل ما يطمحون اليه ؟

تحقيق الاشتراكية

نعم حققوا كل ما كانوا يطمحون اليه بسرعة لم يكونوا هم انفسهم ينتظرونها . ان مجرد ذكر الاتحاد السوفياتي يوحى الى النفس معنى مدينة جديدة ، وانسانية جديدة . لقد قال غوركي بعد رجوعه من ايطاليا محدثاً باربوس « ان ما يدهشني من كل ما اراه اكثر من كل شيء آخر هو هذا الانسان الجديد » . نعم هذا

الانسان الجديد الذي تحرر من كل انواع الاستعباد الاجتماعي ،
والذي بدأ يقف امام الطبيعة رافع الرأس طلق المحيا ، يهدد
جبروتها بجبروته ، هذا الانسان الجديد هو منحة الثورة
الاشتراكية الى التاريخ . ان حلم افلاطون والفارابي وخيال تومس
مور بدأ يتكونان من لحم ودم . ولم يكن هذا الانسان الجديد
ليتكون لولا ما فسحته امامه الثورة الاشتراكية والنظام الاشتراكي
من كل الفرص التي تساعد على هذا التكوين ، بفضل انتصاراتها
الكبيرة في الحقل الاقتصادي .

الماركسيون والتاريخ

ولكن امام كل هذه الانتصارات يجب ان لا نخدع انفسنا .
ان الماركسيين هم اقل من يخدعهم التاريخ لانهم اكثر الناس فهما
للتاريخ . ولذلك هم اول من يعترفون بحقيقة الاوضاع التاريخية
كما هي . وعندما يتكلمون عن الاتحاد السوفياتي بمثل هذه النغمة
المرحة ، يجب ان لا يظن القارئ ان كل شبر من الارض تحول
هناك الى جنة تجري من تحتها الانهار . فان الشعب السوفياتي
نفسه يعترف بانه لم يسبق كل الدول الرأسمالية في كل شيء .
فالولايات المتحدة لم تزل امامهم في بعض فروع الانتاج حتى بعد
انجاز المشروع الخماسي الثاني . وهم يعترفون ايضا انه لا يكفيهم
ان يلحقوا بالولايات المتحدة فحسب ، بل عليهم ان يسبقوها ،
وهم لا شك فاعلون لان النظام القائم عندهم يؤمن لهم كل وسائل
السبق .

الاتحاد السوفياتي

قلنا ان الماركسيين لا يخدعون انفسهم ، فهم يعترفون ان
الاتحاد السوفياتي لم يسبق كل الدول في كل شيء ، وهم
يعترفون ان في الاتحاد السوفياتي نقائص كثيرة ، وهم اول من
يسعى لاصلاح كل ما فيهم من نقص ، ولكن الحدث التاريخي
هو ان الاتحاد السوفياتي قد سار بسرعة لم يعرفها التاريخ من
قبل . فبينما الانتاج الكلي لا يزداد في النظام الرأسمالي سنة
عن سنة اكثر من ثلاثة الى خمسة بالمئة ، يزداد في النظام

الاشتراكي من العشرين الى الثلاثين الى الاربعين بالمئة ، اما في
الازمات فالنظام الرأسمالي يرجع الى الوراء ، بينما النظام
الاشتراكي لا يعرف الرجوع لانه لا يعرف الازمات .

ان انتصارات الاتحاد السوفياتي لا تقاس بالنسبة الى
اوضاع الدول الرأسمالية المتقدمة كما هي في وضعها الحاضر ،
بل بالنسبة الى سرعة تقدم تلك الدول في مدة معينة من الزمن ،
والى سرعة تقدم الاتحاد السوفياتي بالنسبة الى ما كان عليه قبلا ،
او ضمن تلك المدة عينها . على هذا الاساس يجب ان نقدر الاتحاد
السوفياتي . واذا عرفنا ان روسيا القيصرية عانت ثلاث سنوات
من الحرب الاستعمارية الكبرى ، وان الاتحاد السوفياتي بعدها
عانى ثلاث سنوات من الحرب الاهلية ضد الروس البيض الرجعيين
وضد تدخل اربع عشرة دولة رأسمالية ، وانه عانى بعد ذلك سنة
من القحط ذهبت بستة ملايين من ابناءه ، وان الاشتراكية كنظام
شامل يضم كل اقتصاديات البلاد لم يبدأ بتنفيذه الامنذ ابتداء المشروع
الخماسي الاول ، اي سنة ١٩٢٨ ، اذا اخذنا كل هذه الامور بعين
الاعتبار فلا نتمالك من الاعتراف بان ما حققته الاشتراكية في
جمهوريات الاتحاد السوفياتي هو اعجوبة لم يشهد التاريخ
لها مثيلاً .

نحن والماركسية

بقي علينا ان نقول الان كلمة موجزة عن علاقة البلاد العربية
عموماً وبلادنا ، سورية ولبنان خصوصاً ، بالماركسية وبالاتحاد
السوفياتي .

قلنا ان الماركسية تسعى الى تحرير الانسان من نير الانسان ،
وانها تسعى بذلك لتحرير المستعمرات من مستعمرها . ويجب ان
لا نظن ان هذا التحرير هو منحة .

نحن والاتحاد السوفياتي

ولا ننظر نحن فقط الى الاتحاد السوفياتي نظرة العطف
والاعجاب والامل ، بل ننظر اليه كل الطبقات الكادحة وكل الشعوب
المضطهدة في كل اطراف الدنيا كذلك . والاتحاد السوفياتي لا

يمثل امل الانسانية عند الشعب السوفياتي فحسب ، بل عند كل الشعوب . وكما استفاد الماركسيون الروس والماركسيون في المستعمرات الروسية القيصرية القديمة ، من كل الاختبارات الماركسية السابقة في الغرب ، لاجل تحرير شعوبهم ، هكذا يستفيد الماركسيون الآخرون اليوم من كل اختباراتهم لتحرير شعوبهم ايضا . والتحرير كما قلنا ، لا يمكن ان يبنى في أي مكان الا حسب ما يمليه تاريخ ذلك المكان وحسب ما تمليه اوضاعه الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الحاضرة . فاذا حولنا نظرنا في هذا الكتاب الى الاتحاد السوفياتي فلنرى كيف ندرج على طريق الحرية بثقة متينة وخطة ثابتة .

حق الشعوب في تقرير مصيرها

لقد منحت الحكومة السوفياتية حق تقرير المصير لكل قومية من القوميات الصغيرة التي قد كانت اوثقتها الامبراطورية القيصرية بسلاسل استعمارية حديدية . وما علينا الا ان نقرا « اعلان حقوق شعوب روسيا » انكون على يقين مما نقول ، وهذا هو نص الاعلان الرسمي (الذي اعلن اثناء الحرب الاهلية) :
« ان مؤتمر السوفيات الاول ، في حزيران من هذه السنة ،

قد اعلن حق شعوب روسيا في تقرير مصيرها »
« ومؤتمر السوفيات الثاني في تشرين الثاني المنصرم قد وافق ايضا بصورة اقوى واوضح على هذا الحق الذي لا يمكن نزعها من شعوب روسيا »

« فتنفيذا لارادة هذين المؤتمرين قد رسم « مجلس مفوضي الشعب » المبادئ الآتية اساسا لخطته في مسألة القوميات :

- ١ - مساواة شعوب روسيا وتمتع كل منها بسيادة نفسه .
- ٢ - حق شعوب روسيا في تقرير مصيرها تقريراً حراً حتى الى درجة الانفصال وتشكيل دولة مستقلة .
- ٣ - إلغاء كل الامتيازات والتحريمات الصادرة عن سبب وطني ، او وطني ديني .
- ٤ - النمو الحر للأقليات القومية والفئات الجنسية القاطنة

اراضي روسيا . وستهيأ المراسيم سريعا عند انشاء لجنة معالجة قضايا القوميات » .

ونقرأ في المعاهدة بين الاتحاد السوفياتي وبلاد فارس سنة ١٩٢١ ما يلي :

« رغبة في رؤية الشعب الفارسي مزدهرا و متمتعاً بحق التصرف الحر بملكاته ، ان حكومة الجمهورية الروسية الاشتراكية الاتحادية السوفياتية تعلن ان جميع الموائيق والمعاهدات والشروط والاتفاقات التي وقعتها الحكومة القيصرية مع بلاد فارس ، والقصد من ورائها النيل من حقوق الشعب الفارسي ، ملغاة وغير معمول بها وعديمة الاثر » .

وعملا بروح هذه المعاهدة اسقطت الحكومة السوفياتية ديون الحكومة القيصرية على الشعب الفارسي ، وتنازلت له بدون تعويض عن الطرقات والسكك الحديدية وخطوط التلفراف وامتيازات المواني وسائر المشاريع الاستعمارية القيصرية فسي شمالي العجم ، وحرمت التبشير الديني الارثوذكسي في بلاد فارس ، وسلمت الشعب الفارسي جميع منشآت الكنيسة الارثوذكسية في اراضيه .

ماذا اعطى « الكولخوز » الى الفلاح الروسي

منذ عشرين سنة في اليوم الثاني للانقلاب الروسي الكبير واعلان حكم العمال والفلاحين ، اصدرت الحكومة السوفياتية مرسوما بشأن الاراضي . وصودرت بموجبه على الاثر اراضي كبار الاقطاعيين .

وبالانقلاب الاشتراكي الكبير فقط صار في الامكان تحقيق ذلك الحكم الذي رافق الفلاح الروسي طيلة مئات السنين . وهكذا تسلم الفلاحون اكثر من ١٥٠ مليوناً من الهكتارات كانت ملكا للدولة وكبار الاقطاعيين .

فقبل الانقلاب كان ٣٠ الفا من كبار الاقطاعيين يملكون مساحات من الاراضي توازي ذات المساحات التي تملكها عشرة ملايين من العائلات الفلاحية الفقيرة . وللمثل نذكر ان القيصر

السابق نيقولا الثاني كان يملك في القسم الاوروبي من روسيا القيصرية فقط ٨ ملايين هكتار من الاراضي .

وعلاوة على اراضي الدولة ، وكبار الاقطاعيين فقد انتقلت الى ايدي الفلاحين فيما بعد اراضي طبقة « الكولاك » وهي تبلغ ٨٠ مليون هكتارا من الاراضي .

ان تأهيل الاراضي اي جعلها ملكا للشعب قد حرر المزارع الصغير من الارتباط العبودي بقطعة ارضه الصغيرة وسهلت له امر الانتقال الى الحياة الزراعية الاشتراكية .

وبكلمة موجزة لقد اصدرت الحكومة السوفياتية مراسيم متعددة جعلت في حوزة الفلاحين ٤٠٠ مليون هكتار من الاراضي هي بلا مقابل والى اجل غير مسمى .

هذا في الاتحاد السوفياتي ، اما في العالم الراسمالي ، فاننا نشاهد مناظر تختلف كل الاختلاف عما نشاهده في بلاد الاشتراكية . فلنأخذ مثلا اليابان والمانيا وايطاليا ...

ان امبراطور اليابان مع عائلته يملك اكثر من مليون ونصف هكتار من اخصب الاراضي ، بينما مليونان ونصف المليون من العائلات الفلاحية اليابانية لا تملك سوى نصف ما يملكه الامبراطور وحده .

وفي المانيا نرى ان ٤١٢ رجلا من كبار ملاكي الاراضي يتصرفون بمساحات من الاراضي توازي ما يتصرف به مليونان ونصف المليون من المزارعين الالمان الصغار .

وفي ايطاليا يملك كبار الملاكين نصف اراضي البلاد الايطالية وهي من اخصب الاراضي طبعاً .

المزارع الصغيرة بعد الانقلاب

بعد جعل الاراضي الروسية ملكا للشعب وتوزيعها على الفلاحين الذين لم يكن لديهم اراضي قبل الانقلاب ، ازداد عدد العائلات المزارعة الصغيرة من ١٥ - ٦ مليون وجدت قبل الانقلاب ، الى ٢٤ - ٢٥ مليون في سنة ١٩٣٨ .
ولكن البولشفيك لم يفكروا قط بجعل الانتاج الزراعي الصغير

شكلا داما للزراعة السوفياتية ، لان الهدف الذي يرمون اليه هو جعل الزراعة تقوم على اساس اشتراكية تعاونية . وقد تطلب الوصول الى هذا الهدف جهودا جبارة في القرى ، اذ وجب على الحزب الشيوعي والحكومة السوفياتية ان يهذبا نفسية المزارع الصغير وتهذيب هذه النفسية كان غير ممكن الا على اساس تقدم الآلات الصناعية الكبيرة .

لقد قضى على سلطة الاقطاعيين في القرى الروسية بعد الثورة بصورة مباشرة ، الا ان استثمار الانسان للانسان لم يبلغ تماما في ذلك الحين ، فقد بقي بقاء فئة « الكولاك » وكان من المستحيل البت في امر هذه الفئة بالطرق الادارية لان الكولاكية نمت من الانتاج الزراعي الصغير . والمعروف ان الاقتصاديات الزراعية الصغيرة بمقتضى الاسباب الكامنة فيها، تولد الرأسمالية بصورة متتابعة . فلكي يتم الغاء الرأسمالية من القرى صار لزاما القضاء على الكولاكية كطبقة ، ولكي يتم انقاذ الفلاحين الروس من الاستثمار الكولاكي صار لزاما الانتقال من الانتاج الزراعي الصغير الى الانتاج التعاوني الاشتراكي الكبير .

الانتقال الى التعاون الزراعي

في عام ١٩٢٩ بدأ الانعطاف العظيم في حياة الجماهير الفقيرة المتوسطة في القرى السوفياتية . فقد مزقت هذه الجماهير لواء « الزراعة الصغيرة » وسارت في طريق التعاونية في طريق الاشتراكية لان « الكولخوزية » هي مؤسسة اشتراكية، وسائل الانتاج فيها مشتركة وليس فيها استثمار انسان لانسان، والعمل التعاوني يدير كل اقتصادياتها .

وقد تم هذا الانعطاف في تاريخ الفلاح الروسي على ايدي الشيوعيين الروس بعد ان اقتنع الفلاحون عن طريق اختباراتهم الخاصة ان هذا الشكل من الانتاج الزراعي اكثر فائدة لهم من الشكل الفردي ، وبعد ان تهأت الاسس المادية لهذا الانعطاف اي بعد تعميم الصناعة في طول البلاد وعرضها . قال لينين قبيل وفاته « من المستطاع اقامة مجتمع

اشتراكي في قطر واحد » . فالبلاد السوفياتية تعيش اليوم في بحبوحة الاشتراكية التامة . فمن ناحية الصناعة هي صناعية من الدرجة الاولى ، ومن الناحية الزراعية هي تعاونية اشتراكية .

القضاء النهائي على الجوع

ولكن بعد انتصار نظام التعاون الزراعي ، تغيرت الوضعية في القرية تغيرا تاما . فلا يوجد الان أي اثر للكولاك في القرية السوفياتية ، كما انه بفضل المزارع التعاونية لم يبق فلاحون معدمون فقراء في الريف السوفياتي ، فلم يبق فلاحون محرومون من الماشية والفلال وادوات العمل ، كما انه لم يبق فلاحون ليس عندهم اراضي ، ومن الواضح انه بدون تحقيق هذه الامور ، اي بدون القضاء على الفقر في القرية لم يكن من الممكن القضاء على البطالة في المدينة والقرية معا قضاء تاما .

ويكفي للتثبت من ذلك ان نذكر انه قبل تعميم المزارع التعاونية كان اكثر العاطلين عن العمل في المدن مؤلفين من الفلاحين الفقراء المعدمين النازحين عن القرية ، وبينما كان قبلا في القرى من ٢٠ الى ٣٠ مليوناً من الفلاحين الجائعين ، لم يبق الان فلاح جائع واحد ، فقد دخلت هذه الملايين المزارع التعاونية واخذت تتمتع بحياة رضية هائلة تتقدم كل يوم وتزدهر .

والان في سنة ١٩٣٧ ، نرى في الاتحاد السوفياتي (١٨٠٥) مليون بيت فلاح (او عائلة فلاحية) ، منتظمة في ٢٤٣ ٧٠٠ مزرعة تعاونية (كولخوز) .

ظفر الزراعة الاشتراكية

اما مساحة الاراضي التي تشملها المزارع التعاونية فهي تبلغ ٩٩٠١ بالمئة من مجموع الاراضي ، بينما ان المزارعين الفرديين لم يعد عددهم يتجاوز ١٤٤ مليون بيت (او عائلة فلاحية) .

والان نرى ان كل انتاج الحبوب المعدة للسوق تقريبا في الاتحاد السوفياتي هو بين ايدي الزراعة الاشتراكية اي في ايدي المزارع التعاونية هذا بينما انه في عام ١٩٣٥ - ١٩٣٦ كان في ايدي المزارع التعاونية ٨٣٠٦ في المئة فقط من مجموع انتاج الحبوب

المعدة للسوق ، وفي ايدي المزارع التعاونية الحكومية ١٢٤٧ في المئة فقط .

اما في روسيا القيصرية فكان ٢٨٤٤ في المئة من انتاج الحبوب المعد للسوق في ايدي الفلاحين المتوسطين والمعلمين ، اما الكولاك فكان بين ايديهم نصف كل انتاج الحبوب المعد للسوق ، اما الملاكون الكبار فكان بين ايديهم ٢١٤٦ في المئة من انتاج الحبوب البضاعي (أي الذاهب للسوق) .

ففي النظام الرأسمالي ، تمتص المدينة عصر الحياة من القرية امتصاصا وتستثمرها الى ابعد حد ممكن ، أما النظام الاشتراكي فهو يقود القرية في طريق الحياة السعيدة الهنيئة ، فقد تمكنت طبقة العمال المتحدة مع الفلاحين تحت قيادة حزب لينين من السير بالقرية السوفياتية الى حياة المزارع التعاونية الزاهرة التي يتقدم فيها الانتاج والرخاء يوما بعد يوم .

تعميم الآلات في الزراعة

لقد اصبحت البلاد السوفياتية اشد البلاد تقدما في الميدان الزراعي . فالسلطة السوفياتية قد سلحت المزارع التعاونية بالآلات الفنية الضخمة وبالتكنيك الحديث العصري الكامل ، وانقذت الفلاحين من العمل المضني المنهك بالآلات المتأخرة العتيقة ، واخذ العمل الزراعي يصبح له نفس شكل ومظهر العمل الصناعي : أي اخذ يصبح عملا آليا فنيا . والان يرى المشاهد في الحقول السوفياتية قوافل لا تحصى ولا نهاية لها من التراكتورات والحاصدات والسيارات ومختلف اوائل الزراعة الحديثة .

الآلة ترفع مستوى الفلاح ماديا وفكريا

الآلة في النظام الرأسمالي تجلب للفلاح الافلاس والفقر والهلاك ، اما الآلة العظيمة في الاتحاد السوفياتي فقد اصبحت وسيلة لرفع الفلاح الى مستوى عال رفيع من الوجهتين المادية والفكرية .

وبفضل الآلات الزراعية ، وبفضل المزارع التعاونية والنظام الاشتراكي في الانتاج الزراعي ، يزداد المحصول الزراعي بصورة

مستمرة في الاتحاد السوفياتي .

فان اعضاء المزارع التعاونية وكذلك عمال المزارع الحكومية يعملون بنجاح لاجل تحقيق ارشادات الحزب القانلة بوجود رفع محصول القمح الى ٧ - ٨ مليارات بود . ففي عام ١٩٣٧ توصلت البلاد السوفياتية الى انتصار عظيم في زيادة المحصول . فوفقا للاحصاءات الموجودة يبلغ محصول الحبوب هذه السنة : ٦٤٨ مليار بود ، اما قبل الثورة السوفياتية فكان انتاج الحبوب لا يتجاوز ٤ مليارات بود .

ولا ريب ان من اهم اسباب تقدم المزارع التعاونية وازدهارها وزيادة انتاجها هو ان قانونها الاساسي هو التوفيق بين المصلحة الفردية لكل عضو من اعضاء المزرعة التعاونية وبين مصلحة المزرعة التعاونية العامة .

وعلى هذا الاساس تصبح كل المزارع التعاونية يوما بعد يوم مزارع مثرية ويعطي العمل الاشتراكي التعاوني ثمراته الكبرى .

الاقليات القومية في الاتحاد السوفياتي

ما من احد يجهل ، وعلى الاخص في بلادنا ، الدور الخطير الذي تلعبه قضية الاقليات القومية في حياة أي قطر من اقطار العالم . اذ انه على حسن حل هذه القضية يتوقف انتشار السلام والسكينة في ربوع تلك البلاد او نشوب الاقلاق والفتن . وقضية القوميات هذه تشغل اليوم بال اكثر دول اوروبا ، فقد جمعت معاهدة فرساي تحت قيادة واحدة عدة شعوب لا تجانس وثيق بينها ، فكانت النتيجة ان هذه الاقليات القومية لم ترتج الى ذلك الحل وهي ما انفكت تحتج عليه وتستنكره بشتى المسائل حتى انها كثيرا ما التجأت الى العنف . ففي بولونيا ويوغوسلافيا ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا لا تنطفئ تقريبا ابدا شعلة النزاعات الداخلية بين الاقليات القومية العائشة هناك وبين الحكم المركزي الموكل اليه امرها .

وتعاني بلجيكا ايضا صعوبات جمة لعدم توفيقها الى حل ملائم يرضي عنه الفلامنكيون والفالونيون وتعاني فرنسا مثل ذلك بشأن

ونحن في الشرق نعرف اكثر من اي كان اهمية هذه القضية فقد رأينا ماذا فعل الاستعمار البريطاني بالاشوريين في العراق ، ولمسنا مؤخرا الدور الاجرامي الذي يحاول عملاء الفاشيست الافرنسيين والاجانب لعبه في سورية على اكتاف الاقليات السريانية والكردية في الجزيرة ، وسمعنا الشيء الكثير عن العصيان المسلح الذي قام به الاكراد في وجه الحكومة التركية مؤخرا لاهمالها مطالبهم القومية وعدم اهتمامها لحل مشكلتهم حلا انسانيا عادلا . . الخ .

- فالساسة الاوروبيون الرسميون لم يجهدوا انفسهم في يوم من الايام لدرس قضية القوميات بدقة ومرونة وايجاد حلول انسانية عادلة لها . فقد حكّموا القوة دائما ! ولهذا تفاقمت الخلافات في معظم البلدان لا سيما في اوروبا الوسطى ، وانتهت في معظم الاحيان بانتفاضات ثورية وباعمال ارهابية تخمد حينها بالضغط والدم لتعود الى الانفجار بعد وقت قصير . زد على ذلك ان هذا السخط يخدم من جهة اخرى نوايا المستعمرين والفاشيست الذين يستغلون الاستياء المشروع الكامن عند هذه القوميات المضطهدة لتسخيرها في خدمة مآربهم الحربية والاستعمارية .

لذلك لا يمكن لاي كان من اصحاب الضمائر الحية ومحبي السلام في العالم، ان يتجاهل مطالب الاقليات القومية وعدم السعي لانصافها وايجاد حلول تناسب مع وضعياتها المختلفة وهذا ما اهتم به الاتحاد السوفياتي منذ الساعة الاولى لقيامه . والعشرون سنة التي انقضت على وجود الاتحاد السوفياتي قد برهنت لكل العالم انه تمكن من حل كل المشاكل التي كانت تمزق صفوف القوميات الكثيرة المضطهدة افطع الاضطهاد في ظل النظام القيصري . وها هي ذي اليوم تعيش جنبا الى جنب باخاء وهناء وحقوقها الوطنية محترمة وتتعاون جميعها في بناء حياتها الاشتراكية الجديدة .

كانت روسيا القيصرية تضم ١٨٠ جنسا من القوميات لها تقريبا ١٤٧ لغة مختلفة . وكانت سياسة القيصر نحو هذه القوميات

تنحصر في القضاء على كل حقوقها وتقاليدھا الوطنية ومنعھا من استعمال لغاتها الاصلية والسعي بقوة السلاح وبمختلف وسائل الضغط والاضطهاد الى جعلھا روسية .

ولم ينتظر البولشفيك وصولهم الى الحكم للاهتمام بصورة جدية بالقضايا الوطنية . فقد عالج لينين قبل الحرب الكبرى بمقالات عديدة هذا الموضوع ودرسه بكل دقة على ضوء التعاليم الماركسية واعطى الحلول التي وجدها ملائمة .

كما ان الحزب البولشفي اتخذ قرارا واضحا بهذا المعنى في المؤتمر التاريخي الذي عقده في اب ١٩١٣ وحدد خطته وبرنامجه بشأن هذا الموضوع العام .

وهذا بعض ما جاء فيه : اعطاء كل القوميات الوطنية الخاضعة لسيطرة القيصرية الحق المطلق لتقرير مصيرھا بنفسھا حتى الانفصال التام عن روسيا .

« تحقيق ائتلاف كل الشعوب الخاضعة الان للنير القيصري والتي ترغب ان تظل متحدة ، ومن شروط هذا الائتلاف ان يعترف بالاستقلال الداخلي لكل من هذه الشعوب ، وان يحترم لغة كل واحد منها ، حتى الاقليات الصغيرة ، وان يقضي على كل الطرُق التي يستعملھا الاستعمار القيصري لارغامھا على ان تصير روسية» . ولم يخطئ هنري باربوس عندما قال :

« ان الحكومة السوفياتية قد وجدت لمشكلة الاقليات القومية في بلادھا حلا شريفا انسانيا ساميا ، قدمته مثالا لكل امم الارض» .

العائلة السوفياتية

يشيع اعداء الاتحاد السوفياتي ، اعداء كل الجمهوريات الاشتراكية الحرة ، ان لا عائلة في تلك البلاد !.. ان الاب لا يعرف ابنه ، والابن لا يعرف امه ، والاخ لا يعرف اخته ... والاخت لا تعرف اخاھا !..

اجل ، هكذا يصورون الوضعية العائلية في البلاد القائمة على سدس الكرة الارضية ... يقولون بان النظام الشيوعي جلب معه شيوعية النساء ، فما عليك الا ان تختار اية فتاة كانت من الشارع

حتى تكون « حلالك » .. وان اردت « نبذها » فليس اسهل من نبذها كالنواة !

الاباحية في بلاد السوفيات .. الاباحية في الاشتراكية .. كرروا هذه النغمة السخيفة مدة ٢٠ سنة وما زالوا يكررونها حتى هذه الساعة .. ومع الاسف ، قد اثرت هذه الدعاية الكاذبة المضللة على قسم كبير من الناس وكثيرا ما تصادف شبابا انيقى الملبس ، يتأبطون رزمة من المجلات والجرائد ، يضع بعضهم النظارات على عيونهم من كثرة المطالعة فيسألونك اسئلة من العار ان تصدر منهم: الا قل لنا بالله عليك كم يحق للرجل السوفياتي ان يتزوج من النساء السوفياتيات ؟ وهل باستطاعته ان يبقى تحت سقف بيته اكثر من واحدة ؟ وان لم تعجبه الفتاة ثاني يوم زواجه بها فهل بإمكانه ان يطلقها ويتزوج بغيرها على الاثر ؟

وهاكم كمية اخرى من طراز هذه الاسئلة « العميقة » : اذا صادف المرء في شوارع موسكو الاشتراكية امرأة اعجب بجمالها وافقتن بلحاظها فماذا يعمل كي يصل اليها ؟ واذا صادف ورفضت هذه طلبه افلا يعد سلوكها خروجا عن الانظمة الاشتراكية ؟

ثم يتحفونك باسئلة اخرى تختص بالاطفال وهي من النوع « العميق » ايضا : ان شب الطفل في ظل الحكومة وتحت رعاية هيئات ومدارس الاطفال .. افلا ينفصل بذلك عن امه وابيه ويصبح مجهول الاصل والفصل ؟ .. وان لم تكن هناك تأثيرات اقتصادية ودينية في العائلة السوفياتية فعلى م تقوم هذه العائلة ؟ .. وما الذي يربط الزوج بزوجته والزوجين بالاطفال ؟ ..

يتحدثون عن العائلة السوفياتية بمثل هذه الافكار الخاطئة ، والانكى من ذلك ان بعضهم يصر على رايه ويناقش ويعارض ويجادل كأنه « روسي ابيض » من بقايا جنود القيصر والقيصرة ...

لماذا يتصور بعض الناس عندنا ان لا عائلة في بلاد الاشتراكية ؟ لانهم سمعوا وقروا ان ثورة كبرى اندلعت نيرانها في شهر اكتوبر - تشرين اول - ١٩١٧ وهدمت كل معالم العالم الاستثماري القديم .

عرفوا بان هذه الثورة هدمت فقط ، اما انها اقامت ابنية

جديدة على انقاض المهتم فهدا امر يجهلونه تقريبا .
الثورة الاشتراكية قضت على الاسس التي قامت عليها
العائلة المحاطة بالتأثيرات البورجوازية والاقطاعية الخاضعة لناموس
المال والايهام . لكنها اوجدت بدلا منها عائلة سوفياتية ، كما
اوجدت مجتمعا سوفياتيا وحكومة سوفياتية .

والعائلة السوفياتية هي ارقى نوع عائلي عرفته البشرية منذ
بدئها حتى هذه الساعة ، ارقى نوع لانها مبنية على الاسس التالية :
اولا : الحب المتبادل بين الرجل والمرأة ، الخالص من كل
الشوائب والتأثيرات المادية التي تسود العلاقات الزوجية في المجتمع
الراسمالي .

ثانيا : الرابطة الزوجية القوية الموجودة بين الطرفين هذه
الرابطة التي لم تقم على اي مطعم ، ولا على مطعم الزوجة بوراثه
الزوج ولا بمطعم الزوج بأملك الزوجة .
ثالثا : الثقافة العالية التي ينالها الزوجان في المدارس الثانوية
والممتازة .

رابعا : الهدف الاشتراكي المشترك الذي يؤمن به كل من الزوج
والزوجة مما يجعلهما يشعران بانهما وحدة من المجتمع الاشتراكي .
خامسا : الاحترام المتبادل الناتج عن المساواة في الحقوق
والواجبات العامة .

سادسا : حنان الابوين الطبيعي على ابنائهما وطاعة الابناء
للآباء وحبهم لهما باعتبارهما يريانهم على الروح الاشتراكية .
وصفة القول ان العائلة السوفياتية هي جزء من المجتمع
الاشتراكي المنظم ، ولا يكون المجتمع الاشتراكي مجتمعا اشتراكيا
ان لم يتركب من مجموع العائلات السوفياتية .

مصلحة العائلة السوفياتية لا تتناقض ومصلحة المجتمع
السوفياتي الاشتراكي ، بيت العائلة السوفياتية هو بيت فريق من
السكان الاشتراكيين يعيشون فيه ويتنعمون بجميع وسائل الرفاهية
والراحة .

الرجل يذهب الى عمله ، والزوجة تذهب الى عملها ، والاطفال
يذهبون الى مدارسهم او الى حدائق الاطفال والرضاعة اذا كانوا

صفارا ، وفي المساء يعودون فيجتمعون جميعا تحت سقف منزلهم .
فجانب كل مصنع يوجد حديقة للأطفال ودار للرضاعة حيث تأتي
الام العاملة فتترك طفلها في مكان معين منها ، بعناية مربية خاصة ،
وعند انتهائها من عملها تذهب الى المحل المذكور وتستلم طفلها
شبعان ، نظيفا ، فرحا ، مرحا .

الزوج والزوجة يقومان باعمالهما الانتاجية والاجتماعية ثم
يعودان الى البيت حيث يتمتعان بحياتهما الخاصة . ويسران
بمداعبة اطفالهما .

فلا الحسب ولا النسب ولا الورثة . والاملاك ولا العروق
والافخاذ تلعب دورا في حياة العائلة السوفياتية .

الاشتراكية ذات الانتاج الصناعي الضخم والثقافة العالية
والرفاهية والسعادة للجميع ، هذه هي الاعتبارات التي يأخذها
الزوج والزوجة بعين الاعتبار في حياتهما الخاصة والعامة .

وبعد ان اتينا على ذكر اهم ما تتصف به العائلة السوفياتية
نرى بانه لا بد من ذكر كلمة عن العائلة المسلمة التي تعيش في ظل
النظام السوفياتي .

في شرقي الاتحاد السوفياتي ، تقطن ملايين الشعوب
المسلمة ، والنظام السوفياتي يعاملها على قدم المساواة مع كل
الشعوب الداخلة في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية .

اما العائلة المسلمة فهي تتمتع بكل ما تتمتع به العائلات
السوفياتية من حقوق وواجبات ، الا ان النظام السوفياتي يأخذ
بعين الاعتبار التقاليد الاسلامية والعادات التي يتمسك بها الناس .
فالحجاب مثلا ، لا يزال شائعا في اوزبكستان وتركستان ، وفي
غيرها من الجمهوريات التي تترك ملء الحرية للنساء المسلمات
ان يقررن امر الحجاب او السفور .

المرأة المسلمة تعمل وتتعلم وهذان شرطان هامان لرقيتها
ولرقي عائلتها .

العائلة السوفياتية المسلمة ختت خطوات واسعة في طريق
الرقى لم تشهد له مثيلا ارقى البلاد الاسلامية .

العائلة السوفياتية المسلمة أصبحت تسكن البيوت الشاهقة
وتستخدم الكهرباء في لوازمها البيتية وتتمتع بالفرش الجيد
وتتغذى بالغذاء الحسن .

العائلة السوفياتية المسلمة مثال الفضيلة والعفة .
هكذا تعيش العائلة السوفياتية ، وهذه هي حقيقتها .

وما الفضل في ذلك الا لتلك الثورة الاشتراكية الكبرى ،
الاولى من نوعها في تاريخ الانسانية ، الثورة التي قادها لينين
وحزبه الشيوعي عام ١٩١٧ .

المرأة في الاتحاد السوفياتي

كثيرون من اصحاب العقول الفوضوية يريدون ان يفهموا
بحرية المرأة انها تطلق لسانها في الهواء ساعة تريد وكيفما تشاء
وانها لا تتقيد بشيء تجاه حياتها الاجتماعية والبيتية والزوجية
وانها اذا باغت جسدها او افرغت المسدس في رأسها فهي لا تأتي
امرا فريا لانها حرة .. الخ .

حرية المجانين هذه لم تعط للمرأة في الاتحاد السوفياتي ولا
هي ناضلت مع الرجل لمثل هذه « الحرية » .

كيف حررها المجتمع الاشتراكي من الاباحية

حررها بتثقيفها وبفتح ابواب العمل في وجهها . حررها
بالقضاء على الجهل والفقر . اوجد لها العمل المضمون المناسب
لها والمدرسة حيث تتثقف وتتعلم احترام نفسها واحترام اخوانها
في المجتمع وحيث تتخصص بفرع من فروع الانتاج فتشتغل
وتعيش عيشة شريفة سعيدة فلا هي تبيع جسدها في سبيل
الحصول على قوتها وقوت اطفالها ولا هي بحاجة الى سمسارة
« ينفقونها » عن اهلها ، لانها لم تعد عالة عليهم ، لم تعد سلعة بل
اصبحت انسانا مثقفا سعيدا ، اصبحت رفيقتهم في العمل ، في
تشيد المجتمع الجديد . وقام مقام « سوق الفحشاء » فبارك
نسيج ومصانع مختلفة تشتغل فيها ضحايا المجتمع القيصري
البائد وتتعلم القراءة والموسيقى والحياة التي تليق بالانسان .

نشأتها الثقافية

تعليم الاولاد في بلادنا خصوصا ، يكلف الوالدين كثيرا .
والاكثرية عندنا (في المدن وفي القرى ...) لا تستطيع تعليم
اولادها فيحرم المجتمع نبوغهم وفائدتهم . ولا اتكلم شيئا عن
بناتنا المشربات « فضيلة » حبس الانفاس وقتل الارادة واهمال
وطنهن ولغتهن .. الخ . بينما باستطاعة كل انسان في المجتمع
السوفياتي ان يرسل اولاده الى المدرسة لان العمل مضمون لكل

انسان ولان التعليم هناك لا يكلف الوالدين شيئا يذكر ، اي يدفع الوالدان عن اولادهما ثمن الكتب في المدارس الابتدائية ولكن في المدارس الثانوية والمعاهد يتعلم الطالب ويأخذ اجرتة . لان الذي يتعلم يعتبرونه يعمل لتشييد المجتمع . وكذلك الفتاة ، انها تتمرن على مختلف انواع الرياضة البدنية ، فتنشأ قوية العضلات ، قوية العقل والارادة فلا يكاد يدب في عروقها دم الشباب الا وترى جسدها يهزأ بأجساد الابطال وتنعكس على وجهها النضر الجميل جميع افراح الدنيا البريئة .

ومع علومها المدرسية تتعلم واجباتها تجاه المجتمع الاشتراكي وتجاه بيتها وزوجها واولادها . وبعد خروجها من المدرسة تخصص في فرع من فروع الانتاج . فتراها مسؤولة في الادارات ، وطبيبة ، ومهندسة ، وبطلة من ابطال الطيران والانحدار بالمظلة الواقية واستاذة في المعاهد والمدارس ، وموسيقية ، وممثلة ومربية في بيوت الاطفال وجنديا باسلا مستعدا للدفاع عن حدود الوطن الاشتراكي ، وعضوا نشيطا في مجالس السوفيات والحكومة .. الخ ..

اجور متساوية لاعمال متساوية

في البلاد الرأسمالية يستثمر اصحاب العمل المرأة ويجعلونها مزاحمة للرجل ويدفعون لها اجورا غير متساوية مع اجور الرجل ولو قامت بنفس العمل الذي يقوم به . اما في المجتمع الاشتراكي فهي ليست مزاحمة للرجل بل رفيقته في بناء المجتمع وادارة الانتاج وشريكته في ملكية وسائل الانتاج وفي توزيع المنتجات ولذلك فهي تأخذ واياه اجورا متساوية في اعمال متساوية .

الزواج في السوفيات

الزواج في السوفيات كالزواج في اوروبا . لكن الفرق بينهما هو ان الرابطة بين المرأة والرجل في الاتحاد السوفياتي رابطة الحب والاحترام المتبادلين . فالفتاة تتزوج بالشاب اذا كانت تحبه ويحبها وتحترمه ويحترمها . ولا يحق لاحد ارغامها على الزواج بمن لا تحب . ولا يستطيع احد ان يفريها بمال او ان يفري اهلها لانها لا هي ولا

اهلها بحاجة الى المال لان الحاجة قضي عليها بالقضاء على الازمات
والبطالة والجهل .

وانطلاق في الاتحاد السوفياتي صعب جدا وخاضع لشروط
معقولة لان الزوجين تزوجا عن حب لا عن مصلحة وتزوجا بملء
ارادتهما ، وهذا هو الزواج الحقيقي . واما الرجل الذي يريد ان
يجعل الزواج والطلاق ديدنه ، فهذا لا يسمح له المجتمع الاشتراكي
بذلك مطلقا لانه يعده خاليا من الاحترام لنفسه وللمرأة ، اذ يريد
ان يجعل منها سلعة لها قيمة استعمالها فقط . فمثل هذا الرجل
منبوذ لدى الجميع لانه يخالف مبادئ الاشتراكية التي رفعت قيمة
المرأة بعد ان كانت وسيلة للتسلية وصيرتها انسانا يجب احترامه .
وقد اعطت الاشتراكية الزوجين كل الامكانيات الاقتصادية والثقافية
لان يعيشا حياة انسانية ويؤلفا عائلة يسودها الحب والاحترام
والتفاهم .

واما بخل الاب على اولاده وسوء ظنه بهم ، وتمني الاولاد موت
ابيهم ليرثوا ارزاقه ، وبغض الزوج لزوجته وضربها وخيانتها ،
وبغض الزوجة لزوجها وشتمه وخيانتها ، وزواج الشاب بعجوز
والسن بصبية الخ ، الخ . كل ذلك من طبيعة الزواج الرأسمالي
المبني على المصلحة المادية وعلى « همة » السماسرة .

العناية بالامومة

تذهب العاملة على حساب العمل الى الراحة الشتوية
والصيفية ويعوض عليها العمل اذا مرضت او تعطلت . أي يدفع لها
اجرتها كأنها لا تزال تشتغل ويعطيها عطلة شهرين قبل الولادة
وشهرين بعدها ، وبيوت الاطفال تكون قرب العمل فتذهب الام كل
ساعتين او ثلاث لارضاع طفلها . وتأخذ العائلة مساعدة كبيرة من
الحكومة ايضا وهذه مساكن الراحة والمستشفيات تشيدها الحكومة
للعناية بالامومة والاطفال .

احترام المرأة

المرأة محترمة في الاتحاد السوفياتي لانها رفيقة الرجل ومعينه . هي التي ناضلت الى جانبه للتحرر من نير القيصرية البربرية والراسمالية المجرمة . هي التي دأفعت معه عن الثورة السوفياتية ضد (١٤) دولة راسمالية جاءت لخنق ثورة العمال والفلاحين وهي التي شيدت مع المجتمع الاشتراكي . فاذا خلق بطيارته في اعالي الجو فهي تحلق معه بطياراتها . واذا انحدر الى لجج البحار فهي تكون الى جانبه . وهي رفيقته في جميع الميادين الانتاجية والعلمية والعمرائية ولذلك فهو يحترمها ويقدرها وبحسب انها امه واخته ورفيقة حياته في نضاله للسيادة على العناصر الطبيعية ولبناء التاريخ الجديد .

بعيني رايتها

بعيني رايت المرأة السوفياتية البطلة . رايتها تحب وتحترم زوجها . رايتها اما تعني كل العناية باطفالها . رايتها عاصبة عصبتها الحمراء مشمرة عن ساعديها المفتولين : بطلا من اشد ابطال الزراعة والصناعة . رايتها جنديا باسلا معاونا في اساطيل الجيش الاحمر البرية والبحرية والجوية . رايتها تشترك في الدفاع عن الثورة التي بني عليها اول حكم عمال وفلاحين في التاريخ وتحمل الهزيمة المخجلة لأكبر قواد الدول الراسمالية الاربع عشرة التي جاءت لتخنق الثورة فردت على اعقابها . رايتها تشترك في بناء قناة فولغا - موسكو وفي تشييد اجمل « مترو » في العالم . رايتها على المنابر خطيبة من اكبر الخطباء ، رايتها تقوم احسن قيام بمسؤوليتها في الادارات العلمية والانتاجية والحكومية . ورايتها تلقي المحاضرات العلمية والادبية في الاندية الثقافية . رايتها في دور السينما والتيارات تمثل ثورات الشعب على جلاديه . رايتها بعد العمل تنزه سعيدة هائلة في جبال لينين الظليلة وفي حديقة الثقافة وعلى ضفاف نهر موسكو الجميل . رايتها ترقص ورفيقاتها حلقات حلقات حول تمثال الشاعر العبقري بوشكين . رايتها تحب وطنها الاشتراكي حبا متناھيا ، ورايتها مستعدة للدفاع عنه بكل

قواها لانها تفهم انه اول وطن في التاريخ فيه كرامة المرأة مصنونة ومصون خبز اطفالها وثقافتها وسعادتهم .
ولن يغيب عن عيني شبح تلك المرأة الطاعنة في السن التي خطبت بنا في معمل الدخان في لينينغراد قائلة :
« يا رفاق ، اني آسفة على عمري الذي انقضى نصفه قبل الثورة . اليوم انا عائشة ، كل يوم بقي من حياتي اراه ربعا كبيرا .
احب الحياة يا رفاق ، احب الحياة لانها اصبحت جميلة ! » .
في الاتحاد السوفياتي يحبون الحياة لانها جميلة ، لانها حرة ،
شريفة سعيدة . وعندنا ... حتى الشباب ينتحرون تخلصا من
الحياة !

الاطفال في الاتحاد السوفياتي

منذ تسلم السوفييات السلطة اخذوا يهتمون بمسألة الاطفال .
وقد اصدر لينين قرارا يقضي بالاعتناء بالاولاد وبصحتهم ، وقام
الشيوعيون ببناء البيوت للاطفال رغم انشغالهم في محاربة العصابات
القيصرية والتدخل الاجنبي .
وكتب غوركي في ذكرياته عن لينين انه قال :
« ستكون حياة هؤلاء الاطفال اسعد من حياتنا ! » .
اجل ، ها هي الان مدارس الاطفال ويوتهم الخاصة بحدائقهم
وتياتراتهم الخ . وكل ذلك في اجمل المراكز وعلى اتم ما يكون من
النظام والترتيب .

المدارس

شيدت السلطة السوفياتية عشرات الالاف من المدارس
الجديدة للاحداث وخصوصا اليوم حيثما اتجهت في قرى الاتحاد
السوفياتي ومدنه وضواحي المدن تسمح ضحيجا هائلا ضحيج
تشبيد مدارس جديدة . ومدارس سنة ١٩٣٦ كانت تزيد (٦٠٠٠)
مدرسة عما كانت عليه قبل الثورة !

حوالي سنة ١٩٣٦ كان يوجد في القرية السوفياتية
(٢٢٦٦٠) مدرسة متوسطة وابتدائية واما سنة ١٩١٤ ففي جميع
قرى روسيا لم يكن سوى (٤٣٦) مدرسة فقط . وجميع مدارس

روسيا القيصرية كانت تضم في السنة الدراسية (١٩٧٣ . ٠٠٠)
طالباً أما اليوم فالسنة تضم (٢٠) مليوناً من أبناء السوفيات .
ولم نذكر مع كل ذلك المدارس الليلية !

قصور العمل للاحداث

ان شبكة هذه القصور تتسع دائماً في الاتحاد السوفياتي ففي
كل مكان قصور الاحداث وانديتهم حيث يتلقون الموسيقى وجميع
الفنون ومختلف اشكال الصناعات الى جانب العلم والادب .
ففي اوزبكستان مثلاً (٥٩) مركزاً للصناعة والفن خاصاً
للاحداث و (٤٦) في بيلاروسيا ، و (٢٤) في التوركمان ، و (٩)
في قرغيزيا ، الخ . .

مصايف الاحداث

اصبح من المعتاد ان يذهب كل سنة في فصل الصيف الاف
من ابناء العمال الى المصايف الخاصة حيث يتمتعون بجمال الغابات
وصفاء الانهر وطلاقة النسيم . وعدد هذه المصايف في ازدياد
مستمر . ففي السنة الماضية كان (٧٦٠) الفا من الاحداث ينعمون
في المصايف .

بيوت الامومة

روسيا القيصرية لم يكن فيها ولا بيت واحد للنساء الحوامل
أما الاتحاد السوفياتي ففيه الى سنة ١٩٣٧ (٨٨٧) مستشفى
للأمهات تزورها في السنة (١٧) مليوناً من الأمهات . هذا عدا
البيوت الكبيرة المتقنة الخفيفة أيضاً لهذه الغاية .

بعض احلامي

قصيدة لاحد الطلاب السوفيات واسمه « تيموشولين » :

النسيم الرقيق يمر على مهل

والاشجار تتنهد . . .

هنا جئت استريح

مع رفقائي الاحداث

اننا نمرح ونفني
فالسنة المدرسية انتهت
واقضى الشتاء ومر الربيع
والان ينتظرنا الصيف ...
من خلال الاوراق
ارى في الابعاد
حيث يسبح الغمام
حيث تتخلج اشعة الشمس
طيارة يلمح جناحها
ويحلقان في الفضاء
بعض احلامي : ان اكون طيارا !
لكن الان يجب ان ادرس
واتمرن كيف اجوب الغمام
اريد ان اكبر سريعا
لكي ابذل كل قواي
في خدمتك يا وطني الاشتراكي !

ذكرى ساعات مع اطفال الاتحاد السوفياتي

كان ذلك في نيسان ، في مستهل الربيع ، ركبنا القطار من
موسكو الى بولشفا وهي غاية في الجمال . وكان كلما ابتعد بنا
القطار تخف وراءنا ضجرات موسكو وزئير آلاتها الجبارة .
ها نحن نصل ، بعد ساعة تقريبا ، الى محطة بولشفا ، نزلنا
من القطار واخذنا نتوغل بين الاشجار سالكين طريقا قليل التعاريج
تurf الاعشاب الخضراء والظلال الناعمة على جانبيه ، كل شيء امامنا
كان يستدعي السرور : زهو الصباح وصفاءه ، وهذه الفرقة من
شباب الجيش الاحمر ، ونغمات « غيتار » ذلك الجندي الشاب
المنداحة مع اشعة الشمس على غابات بولشفا الهائلة ، وهذا النهر
الهاديء المتلمع وتلك الزوارق المغرية المنتظرة على ضفتيه .
نزلنا الى احد الزوارق واخذنا نجذف الى ان وصلنا قبالة
منفسح في الغابة حيث يرقص جمهرة من المتنزهين حلقات حلقات

على انغام « الفازموشكا » فقربنا الزورق الى الضفة وصعدنا ،
فدعانا الرفاق الى الرقص في حلقاتهم ، فأضممنا اليهم ورقصنا ،
والسعادة ، تلك السعادة التي طالما تفنى بها الشعراء وما عرفوها
ضممتها بين ذراعي ورايتها زاهية على جميع تلك الوجوه الفرحة ،
فشباب السوفيات ربيع كله حياة وقوة وطرب ، وصبايا السوفيات
بطلات مرحات .

« نواغم لا يعرفن بؤس معيشة ولا دوائر الدهر كيف تدور »
وسرعان ما اومت الي جنيتي من بين تلك الاشجار الظليلة .
فتغلغلنا وراءها لعلها تخلع علي قصيدة . وبينما كنت اتمشى جيئة
وذهابا تحت اغصان البرزو « السيرين » اقبلت الي بنات خمس
كملائكة الغاب لم تبلغ اكبرهن الرابعة عشر يرفلن كفراشات
الربيع باثواب « غاية » الاتقان والبساطة ، ثم حينني وسألني :
لماذا تنزه وحدك يا رفيق ؟ فأجبتهن : لست وحدي يا رفيقات ،
انا الان بينكن ، فتبسمن واخذن يقدمن لي ضمات الزهور التي كانت
بين ايديهن . فتناولت من كل منهن بعض زهرات فجمعت باقة
صغيرة وجميلة مثلهن .

— ما اسمك يا رفيق ؟ ماذا تشتغل ؟ من اية بلاد انت ؟ الخ . .
كلها اسئلة تتوارد علي وكان يجب علي ان اجيب عليها جميعا :
— مهنتي صحافي ، والبلاد العربية وطني .
وعندما عرفني غريبا ازددن التفافا حوالي . وهذا الحب
الحقيقي للغريب لا يتحلى به شعب في العالم كالشعب السوفياتي .
فجلسنا جميعا في ظل احدى الاشجار . وسألني احدها :
— امسرور انت في بلادنا ؟

— نعم كل السرور .
— اية بلاد احسن ، بلادنا ام بلادكم ؟
— من جهة المناظر الطبيعية بلادنا من اجمل بلدان العالم .
ولكن يحول بيننا وبين التمتع بهذا الجمال موانع كثيرة : ازومات
متوالية ، بطالة ، شركات اجنبية ، استبداد العناصر الفاشستية .
الخ . الخ . . آلاف الشبان بدون عمل ينظرون الغد فيرونه
اسود ، مخيفا ، الاف الاطفال من عمر كن ينامون في الشوارع لا

مأوى لهم ولا معين . وآلاف يمرضون ويموتون ولا يستطيع اهلهم ان يستدعوا لهم طبيباً عدا المشردين الذين لا مدارس لهم . الحياة السعيدة هي لمستعبدى شعبنا ، لاصحاب الامتيازات والشركات الاجنبية واذنابهم الاخساء . الحالة عندنا شأنها في كل البلاد المستعمرة .

كنت اخبرهن عن بلادنا وحالة الاطفال فيها واين ينامون وماذا يأكلون وكيف يلبسون ، الخ . وهن ينظرن اليّ وعلامات التأثر بادية في عيونهن الصافية الذكية فقالت الصغرى : وكيف تصبرون على هذه الحالة ؟ قلت : اننا نناضل للخلاص منها .

فقالت الكبرى : اجل يجب ان تناضلوا يا رفيق . اترى هذه الغابة ؟ هنا كان اجدادنا يضطهدون ايام كانت القيصرية الهمجية تسيطر على البلاد ، فناضل اجدادنا واباؤنا كما تعلم وها نحن الان ، في هذه الغابة التي اهيّن اجدادنا فيها وتعذبوا وجاعوا ، نرقص ونمرح احرارا في دنيا حرة لا امتيازات فيها ولا جلادين ، ثم قالت احداهن : نحن لا بطالة في بلادنا يا رفيق ولا اطفال يجوعون ويتعذبون ويتشردون ، لكل بيته ومدرسته . مدرستنا وبيتنا قرب الفبركة التي يشتغل فيها والدنا . ونحن نتعلم عدة لفات في المدرسة . وقالت غيرها اذهب معنا يا رفيق نرك نادينا حيث نتعلم الموسيقى والرقص والتمثيل وحيث ترى جريدة الحائط ، التي نحرر فيها . فالنادي هنا قرب الفبركة ، ليس بعيدا .

ووكفن ممسكات بيدي يردن ان يأخذنني الى ناديهن ، فوعدتهن انني اعود اليهن في العطلة القادمة أي بعد خمسة ايام ، ودعوتهن للنزهة معي في نهر بولشفا ، فقبلن ، وذهبن جميعا الى الضفة ونزلنا في الزورق فجذفنا قليلا وتركناه يسير بنا الى حيث يشاء ذلك النهر الهادئ المتلمع كصفحة المرأة . وكانت رفيقتي تنشدن اناشيد غاية في الجمال .

وما عدنا من نزهتنا الا عندما بدأت الشمس تزيل عن الغابات ذلك الوشاح الذهبي الشفاف : وكانت زوارق المتنزهين تسير حوالينا والجميع يودعون الشمس الغاربة باناشيدهم الساحرة .

اعدنا الزوارق الى اماكنها ، وذهبنا ورفيقاتي معي تشيعنني
الى المحطة ، وعندما جاء القطار ودعتهم واحدة واحدة .
ولما بدأ القطار يتحرك اخذن يمين الي بايديهن الصغيرة
ويذكرنني بالرجوع حسب الوعد ، فهن سينتظرنني . وكنت انا
أومي اليهن بباقة الزهر اللطيفة التي اعطينني اياها عندما التقيت
بهن .
وهكذا رجعت . . . ولا يزال في قلبي غصة لانني ما استطعت
ان ارى بولشفا مرة ثانية ولا ادري اذا كانت عيناى تراها فيما بعد !

مشروع مطالب شعبية

بحث وضعه الشهيد في ١١ حزيران العام
١٩٣٩ بعنوان « مشروع المطالب » .

المطالب العامة

- استقلال لبنان .
- تثبيت قواعد الحكم الوطني وجعله حكما وطنيا صحيحا مستندا على الشعب ، والحفاظة على النظام الجمهوري الدستوري والنضال لتطبيقه بأمانة تامة ، ومنع تشويهه وتحقيره .
- اطلاق الحريات الديمقراطية العامة : حرية الاجتماع والصحافة والخطابة والتظاهر وحرية تأليف المنظمات والاندية السياسية والاقتصادية والثقافية في نطاق النظم الجمهورية الديمقراطية واحترام مبدأ الانتخاب للمجالس البلدية والمختارين .
- الغاء القوانين الارهابية (قانون قمع الجرائم وما اليه) .

توثيق عرى التضامن بين لبنان وسوريا وسائر البلاد العربية لاجل مقاومة مطامع الدول الفاشستية والدفاع عن حريات العرب ومطالبهم واستقلال كل قطر من أقطارهم .
محاربة الدعاوات الفاشستية الايطالية والالمانية وكلدعاوة اخرى تخدم الاجنبي .

الزراعة اللبنانية ومطالب الفلاحين

تعميم الري في جميع مناطق البلاد لكي تستفيد الاراضي اللبنانية من المياه الجارية فيها او المدفونة في بطنها ، وتخصيص اعتمادات كافية لهذه الغاية .

انشاء مصرف زراعي حكومي يسلف الفلاحين قروضا لآجال طويلة بفوائد قليلة تستوفى اقساطا .

تقديم المساعدات الفنية اللازمة لمكافحة الامراض والآفات التي تنتاب الزراعة اللبنانية مع الاكثار من المشاتل الزراعية ، وتعيين عدد كاف من الخبراء الزراعيين يرشدون الفلاحين الى انتقاء نوع الاشجار المثمرة والمزروعات الاخرى الصالحة لها كل تربة ، والعناية بتقديم البذار للفلاحين في الوقت المناسب .

ايجاد اسواق في الخارج لتصدير منتجات الاشجار المثمرة (الليمون والموز وما الى ذلك) والاهتمام بعقد اتفاقيات تبادل البضائع .

فتح الطرقات بين القرى وتعبيدها وتسهيل المواصلات البريدية والتلفونية بينها وتعميم النور الكهربائي فيها وتجهيزها بمياه الشرب الصالحة وانشاء مستوصفات صحية كافية في كل منطقة وتقديم المعالجات والادوية مجانا لفقراء الفلاحين والشغيلة . فتح المدارس المجانية في القرى بدون استثناء وتعيين عدد

كاف من المعلمين لكل مدرسة وتشجيع التعليم الزراعي . منع بيع الاراضي الواقعة على الحدود للشركات الصهيونية منعاً باتاً .

السماح للفلاحين وللعمال الزراعيين بتأليف لجان ونقابات للدفاع عن حقوقهم والعناية بشؤونهم .

نشر الروح الديمقراطية الجمهورية في كل القرى اللبنانية
ومنع الاقطاعيين والتنفيذيين ورجال الدرك في بعض المناطق ،
من الاستبداد بالفلاحين واضطهادهم وضربهم وشتيمهم .

الصناعة الوطنية

اعفاء جميع الآلات والمواد الأولية المستوردة من الخارج
لحاجات المعامل الوطنية من الرسوم الجمركية .
تعديل النظم الجمركية تعديلا يتفق مع مصلحة انتاجنا
الوطني ، دون الاضرار بمصلحة جماهير المستهلكين .
اعفاء المعامل الوطنية من الضرائب الثقيلة تشجيعا
لاصحاب الاموال الوطنيين على ايداع رساميلهم في المشاريع
الصناعية الوطنية .

اتشاء بنك صناعي حكومي يمد اصحاب المصانع الوطنية
بقروض طويلة الاجال بفوائد قليلة ، لكي يتمكن الصناعيون
اللبنانيون من النهوض والثبات امام المزاومات الاجنبية .
تقوية العلاقات الاقتصادية بين لبنان وسوريا ومنع وضع
حواجز جمركية بين البلدين ، او اي قيد اخر يمكن ان يعرقل
تطور الصناعة والتجارة في البلاد .

التجارة الوطنية

حماية التجارة الوطنية بتعديل النظم الجمركية مع
مراعاة جماهير المستهلكين .

منح صغار التجار قروضا بفوائد قليلة لحمايةهم من
الافلاسات ومنع حجز بضائعهم بسبب الضرائب واجور المحلات .

الاصطياف والسياحة والاشتاء

تعزيز شأن الاصطياف والسياحة والاشتاء والاعتناء
بالمصايف اللبنانية عناية تامة وتهيئة وسائل الراحة والسعي
لتعميم التجميل والتشجير والطرق الصالحة والانارة وجري مياه
الشرب والمحافظة الدقيقة على الشروط الصحية . والعناية
الدقيقة بتنظيم اساليب الدعاية في الخارج .

تعميم الاصطيفاء على كل القرى والمناطق اللبنانية الصالحة
وامداد البلديات بقروض كافية ، والغاء التعيين في مجالسها
وتوسيع صلاحياتها مع التعويض العادل للذين تهدم بيوتهم
واكواخهم في سبيل التجميل .

المهاجرون اللبنانيون

— العناية بشؤون المهاجرين اللبنانيين وتقوية العلاقات بينهم
وبين وطنهم الاول وانتهاج سياسة اقتصادية وتعميرية صالحة
تشجعهم على العودة الى البلاد فيستفيد لبنان من نشاطهم
واختبارهم وثروتهم التي ، اذا استخدمت في لبنان ، تساعد
مساعدة فعالة على تقدمه وازدهاره .

الشركات الاحتكارية الاجنبية

الغاء كل مساعدة تأخذها الشركات الاحتكارية الاجنبية
من صندوق المصالح المشتركة .
تحديد الامتيازات الكبرى الجائرة التي تتمتع بها هذه
الشركات وفرض ضرائب مناسبة عليها .
اجبار هذه الشركات على التقيد بدفاتر شروطها
وقوانينها الاساسية خصوصا فيما يتعلق بمالية عمالها .

— تعديل قانون احتكار التبغ تعديلا يخفف وطأته الشديدة
عن كاهل المنتجين ولا سيما فيما يتعلق بمساحة الزراعة
والتصنيف والتسعير وتعيين حد ادنى مناسب للاسعار والاهتمام
الجدي بامر التصدير وتوسيع اسواق التبغ اللبناني في الخارج
مع وجوب وضع حد للمعاملات الاستبدادية التي يلقاها الفلاحون
من ادارة شركة حصر التبغ .

وضع حل صحيح لقضية البنزين والكاز بمنع شركات
الزيوت من التماذي في فرض اسعارها انصافا للسواقين ولكل
جماهير الشعب اللبناني ووجوب انشاء مصفاة للبترول في طرابلس
تؤمن حاجة البلاد باسعار عادلة .

مطالب العمال اللبنانيين

سن تشريع للعمل ينظم العلاقات بين العمال واصحاب العمل على اساس العدل والانسانية ، ويضمن للعامل الحماية في حالات المرض والشيخوخة والبطالة الاجبارية وحوادث الاصابة اثناء العمل .

حرية تنظيم النقابات التامة لجميع العمال ، بمن فيهم عمال الشركات الاجنبية وعمال المصالح العامة (النافعة والبلدية وعمال المعامل الوطنية ومستخدمو التجارة وسائر مؤسسات العمل الاخرى) .

تحديد ساعات العمل وتحقيقها ووضع حد ادنى للأجور بما فيها اجر القطعة وتهيئ يوم واحد في الاسبوع للراحة مدفوع الاجرة وعطلة سنوية مدفوعة الاجرة ايضا .
الاهتمام بحالة العمال والشغيلة الواقعين في بطالة قهرية ومساعدتهم ، مع العمل لايجاد مشاريع لتشغيلهم .
ايجاد تدابير الوقاية لحماية العمال من الاخطار الميكانيكية ووجوب مراعاة الشروط الصحية في اماكن العمل ، وايجاد ملاجيء كافية للعاجزين عن العمل .

الصحة والاسعاف

تعميم الاسعاف الصحي المجاني في المدن والقرى للعمال والفلاحين وسائر المعوزين ، وانشاء مستشفيات عصرية ولا سيما في الانحاء النائية ، وتأسيس عيادات مجانية في كل النواحي .
- الاهتمام بصحة الاطفال وتخصيص عدد كاف من الاطباء لزيارة القرى في اوقات منظمة وتفقد حالة الاطفال ومساعدة الامهات على معرفة اساليب وقاية الطفل .

— غلاء المعيشة

— مكافحة غلاء المعيشة ووضع نظام لمراقبة اسعار مواد الاستهلاك بما فيها الطحين والخبز والرز والبنزين والكاز وغيرها ومنع الاحتكار بكل اشكاله انقاذاً لجماهير الشعب من جشع المحتكرين والمتلاعبين بالاسعار .

– الضرائب والنظام المالي

– اصلاح النظام المالي وجعله نظاما ديمقراطيا عصريا يؤمن فرض الضرائب على المكلفين بصورة تتناسب مع دخلهم على اساس النسبة المتصاعدة ، مع اعفاء صغار المنتجين اصحاب الدخل الصغير الذي لا يزيد عن المقدار الضروري اللازم لاعاشتهم واعاشة عيالهم .

– المدينون والمستاجرون

– حماية المستأجرين من استبداد المؤجرين ومنع طرد العمال والصناع الفقراء والعاطلين عن العمل من بيوتهم او حجز امتعتهم بسبب تأخرهم في دفع الاجور .

– التعليم والرياضة والثقافة والشباب

– تعميم التعليم المجاني الاجباري وانشاء مدارس حكومية كافية في القرى والمدن لكي يتسنى لابناء الشعب ارتيادها مع تسهيل التعليم الثانوي والعالى لابناء الشعب بتخفيف نفقات الدرس وتحريره من القيود المالية الثقيلة التي تجعله متعذرا على الجماهير الشعبية الواسعة والاكثر من المدارس الصناعية .

– تطهير اجهزة المدارس من عملاء الفاشستية الاجنبية ووضع برنامج واحد للتعليم في كل المدارس القائمة في لبنان. يضمن للناشئة اللبنانية ثقافة وطنية صحيحة مشربة بالروح الجمهورية الديمقراطية بعيد عن ثغرات التعصب الطائفي الذميم مع وجوب تعزيز شأن اللغة العربية وادابها .

– مكافحة الجهل والامية في جماهير الشعب وفتح مدارس حكومية مجانية لهذه الغاية .

– محاربة البطالة وتأمين العمل والثقافة للشباب اللبناني ومساعدة الكتاب والادباء والمهندسين والفنانين والاختصاصيين الزراعيين على تنظيم حياتهم وتوسيع معارفهم لتأمين انتفاع البلاد بكفاءاتهم .

– تحسين حالة المعلمين والاساتذة (وخصوصا معلمي

مدارس القرى) ومنع ارهاقهم بالاعمال ليتسع لهم الوقت لانماء معارفهم والسماح لهم بتنظيم انفسهم في اندية ومؤسسات للدفاع عن حقوقهم .

– تشجيع الفنون الجميلة ومساعدة الاندية والجمعيات الموسيقية والتمثيلية .

– تنشيط الرياضة البدنية بجميع انواعها وتقوية روحها بين الشباب اللبناني ، وتعزيز شأنها في كل المدارس اللبنانية وتسهيل ممارستها لشباب العمال والفلاحين والطلاب بفتح ملاعب رياضية على حساب البلديات والحكومة وتعميم المساعدة المالية لجميع الاندية الرياضية والاهتمام بالرياضة الشتوية .

– جعل اجرة العمال الشباب مناسبة لاجرة الكهول في حال قيامهم بالعمل نفسه على اساس مبدأ « نفس الاجر ، نفس العمل » .

– شؤون الادارة

– اصلاح الجهاز الاداري وتنظيمه بصورة تساعد على تحقيق النفقات ومنع احداث الوظائف لارضاء المحاسيب والانصار مع النظر بروح الانصاف الى صفار المأمورين والموظفين .

– تنظيم الادارة الداخلية وتعميم الروح الديمقراطية الجمهورية في جميع دوائر الدولة وتطهيرها من التقاليد الاقطاعية الرثة ، وقضاء مصالح الشعب بامانة ونزاهة وتجرد وسرعة .

– جعل التوظيف والترقية على اساس الكفاءة فقط ، ومنع الوساطات والمحسوبيات وكل المداخلات منعا باتا ومعاقبتهما بشدة لانتقاذ لبنان من ضرورها واضرارها .

– اصلاح شؤون القضاء والمحاكم ومكافحة العيوب القديمة الموروثة واعطاء لبنان قضاء ديمقراطيا جديدا يضمن اقامة العدالة لكل اللبنانيين .

الصهيونية المجرمة

خطرها في لبنان ، خطرها في بلاد العرب

الصهيونية ، في الجوهر ، ليس معناها ابدا انقاذ اليهود من الاضطهاد الفاشستي والنازي كما يزعم انصارها ومؤيدوها . فلو كان الامر كذلك ولو كان وعد بلفور وانصار الصهيونية في اميركا يبغون فعلا انقاذ اليهود من الاضطهاد لفتحوا لهم ابواب اميركا وانكلترا مثلا وهما تستطيعان بدون جهد ولا عناء ان تستوعبا من يهود العالم في سنة واحدة ما لا تستطيع فلسطين ان تستوعبه خلال عشرات السنين .

فالصهيونية حركة استعمارية هدفها الاقتصادي تصدير الرساميل الى فلسطين وما جاورها من البلاد العربية وجعلها سوقاً للاستثمار وتصرف البضائع . ومن هنا ابلغ الضرر والخطر لا على فلسطين وحدها ، بل على الحياة الاقتصادية في البلاد العربية كلها ، ولا سيما على الصناعة الوطنية الناشئة في

كل قطر عربي وفي لبنان بصورة خاصة ، بسبب قربه من فلسطين
وقلة مناعته النسبية ضد الصهيونية .

والصهيونية بحكم كونها حركة استعمارية ، تناقض اهداف
العرب التحررية الاستقلالية على خط مستقيم ، فهدفها
السياسي خلق نقطة ارتكاز متينة للنفوذ الاستعماري الاجنبي
في فلسطين اولا ، ونقاط ارتكاز اخرى او طابور خامس للاستعمار
في بقية الاقطار المجاورة يستخدمها ضد الحركة العربية الوطنية .
ومن هنا ايضا خطر الصهيونية في الوقت الحاضر على
الحقوق الوطنية التي نالها لبنان وسوريا والبلاد العربية بدرجات
مختلفة ، وخطرها في المستقبل القريب على نضال العرب في
سبيل استكمال معالم استقلالهم والتحرر من كل نفوذ اجنبي .
ولذلك فتضامن العرب في مختلف اقطارهم مع فلسطين
لم تدفع اليه العاطفة الاخوية فقط ، ولم تدفع اليه اعتبارات
خلقية وحقوقية فحسب بل ايضا قبل كل شيء تضامن وطني
في النضال ضد عدو واحد يهدد مصالح العرب جميعا تهديدا
مباشرا شديدا . ولعل اقرب بلد عربي يتناوله الخطر الصهيوني
هو لبنان . فقد كان هذا القطر الخصب الجميل محط انظار
الصهيونيين والاستعماريين ، وهدف مطامعهم . وقد اخذ الراسمال
الصهيوني ولا سيما خلال هذه الحرب ، يتسرب هنا وهنا في
بعض المرافق والصناعات اللبنانية ، مستترا باستار متنوعة .
وسيكون فلك الصهيونية في مرافق لبنان الاقتصادية ،
اذا قدر لها النجاح ، فتكا ذريعا لا يبقى ولا يذر . فالراسماليون
الصهيونيون يستهدفون الاستيلاء على مورد الاصطياف ، وعلى
اخصب اراضيها واحسنها ، وعلى صناعاتنا الوطنية وعلى تجارتنا .
وواضح ان استفحال نفوذ الصهيونية الاقتصادي في لبنان يرافقه
ويتبعه ايضا استفحال نفوذها السياسي . وفي ذلك ابلغ الخطر
على حقوق لبنان الوطنية وعلى مستقبله الوطني .

ولذلك فلا مجال للتقليل من اهمية الخطر الصهيوني على
لبنان لا من الوجهة الاقتصادية ولا من الوجهة السياسية . فاذا كان
اللبنانيون قد ناضلوا ويناضلون لتوطيد حقوقهم الوطنية وللتخلص

من النفوذ الاستعماري الاجنبي ، فان تسرب الصهيونية الى البلاد سيكون من اول اخطاره المباشرة المساعدة على تمكين نفوذ اجنبي اخر في وطننا ، وهو اشد ما يخشاه ويحاربه كل لبناني . وكفى بهذا حافزا لجميع اللبنانيين على اختلاف ميولهم السياسية وعقائدهم الدينية ان يهبوا جميعاً ويوحدوا الصفوف والكلمة في مكافحة تسرب الصهيونية الى لبنان من جهة وفي التضامن مع فلسطين العربية في نضالها ضد هذا الخطر من جهة ثانية .

لقد كنا وما زلنا نقول ان نضال العرب في فلسطين ضد الصهيونية هو نضال سياسي ، نضال وطني ضد شكل من اشبح اشكال الاستعمار الاجنبي . وجميع العرب في لبنان وفي كل مكان يعتبرون نضال فلسطين هذا جزءاً هاماً من نضالهم الوطني جميعاً في سبيل تحرير اقطارهم وسيادتها واستقلالها .

(كتب عام ١٩٤٢)

مطالب العمال اللبنانيين

سن تشريع للعمل ينظم العلاقات بين العمال واصحاب العمل على اساس العدل والانسانية ، ويضمن للعامل الحماية في حالات المرض والشيخوخة والبطالة الاجبارية وحوادث الاصابة اثناء العمل .

حرية تنظيم النقابات التامة لجميع العمال ، بمن فيهم عمال الشركات الاجنبية وعمال المصالح العامة (النافعة والبلدية وعمال المعامل الوطنية ومستخدمو التجارة وسائر مؤسسات العمل الاخرى) .

تحديد ساعات العمل وتحقيقها ووضع حد ادنى للأجور بما فيها اجر القطعة وتهيئ يوم واحد في الاسبوع للراحة مدفوع الاجرة وعطلة سنوية مدفوعة الاجرة ايضا .
الاهتمام بحالة العمال والشغيلة الواقعين في بطالة قهرية ومساعدتهم ، مع العمل لايجاد مشاريع لتشغيلهم .
ايجاد تدابير الوقاية لحماية العمال من الاخطار الميكانيكية ووجوب مراعاة الشروط الصحية في اماكن العمل ، وايجاد ملاجيء كافية للعاجزين عن العمل .

الصحة والاسعاف

تعميم الاسعاف الصحي المجاني في المدن والقرى للعمال والفلاحين وسائر المعوزين ، وانشاء مستشفيات عصرية ولا سيما في الانحاء النائية ، وتأسيس عيادات مجانية في كل النواحي .
- الاهتمام بصحة الاطفال وتخصيص عدد كاف من الاطباء لزيارة القرى في اوقات منظمة وتفقد حالة الاطفال ومساعدة الامهات على معرفة اساليب وقاية الطفل .

— غلاء المعيشة

— مكافحة غلاء المعيشة ووضع نظام لمراقبة اسعار مواد الاستهلاك بما فيها الطحين والخبز والرز والبنزين والكاز وغيرها ومنع الاحتكار بكل اشكاله انقاذاً لجماهير الشعب من جشع المحتكرين والمتلاعبين بالاسعار .

– الضرائب والنظام المالي

– اصلاح النظام المالي وجعله نظاما ديمقراطيا عصريا يؤمن فرض الضرائب على المكلفين بصورة تتناسب مع دخلهم على اساس النسبة المتصاعدة ، مع اعفاء صغار المنتجين اصحاب الدخل الصغير الذي لا يزيد عن المقدار الضروري اللازم لاعاشتهم واعاشة عيالهم .

– المدينون والمستاجرون

– حماية المستأجرين من استبداد المؤجرين ومنع طرد العمال والصناع الفقراء والعاطلين عن العمل من بيوتهم او حجز امتعتهم بسبب تأخرهم في دفع الاجور .

– التعليم والرياضة والثقافة والشباب

– تعميم التعليم المجاني الاجباري وانشاء مدارس حكومية كافية في القرى والمدن لكي يتسنى لابناء الشعب ارتيادها مع تسهيل التعليم الثانوي والعالى لابناء الشعب بتخفيف نفقات الدرس وتحريره من القيود المالية الثقيلة التي تجعله متعذرا على الجماهير الشعبية الواسعة والاكثر من المدارس الصناعية .

– تطهير اجهزة المدارس من عملاء الفاشستية الاجنبية ووضع برنامج واحد للتعليم في كل المدارس القائمة في لبنان. يضمن للناشئة اللبنانية ثقافة وطنية صحيحة مشربة بالروح الجمهورية الديمقراطية بعيد عن ثغرات التعصب الطائفي الذميم مع وجوب تعزيز شأن اللغة العربية وادابها .

– مكافحة الجهل والامية في جماهير الشعب وفتح مدارس حكومية مجانية لهذه الغاية .

– محاربة البطالة وتأمين العمل والثقافة للشباب اللبناني ومساعدة الكتاب والادباء والمهندسين والفنانين والاختصاصيين الزراعيين على تنظيم حياتهم وتوسيع معارفهم لتأمين انتفاع البلاد بكفاءاتهم .

– تحسين حالة المعلمين والاساتذة (وخصوصا معلمي

مدارس القرى) ومنع ارهاقهم بالاعمال ليتسع لهم الوقت لانماء معارفهم والسماح لهم بتنظيم انفسهم في اندية ومؤسسات للدفاع عن حقوقهم .

– تشجيع الفنون الجميلة ومساعدة الاندية والجمعيات الموسيقية والتمثيلية .

– تنشيط الرياضة البدنية بجميع انواعها وتقوية روحها بين الشباب اللبناني ، وتعزيز شأنها في كل المدارس اللبنانية وتسهيل ممارستها لشباب العمال والفلاحين والطلاب بفتح ملاعب رياضية على حساب البلديات والحكومة وتعميم المساعدة المالية لجميع الاندية الرياضية والاهتمام بالرياضة الشتوية .

– جعل اجرة العمال الشباب مناسبة لاجرة الكهول في حال قيامهم بالعمل نفسه على اساس مبدأ « نفس الاجر ، نفس العمل » .

– شؤون الادارة

– اصلاح الجهاز الاداري وتنظيمه بصورة تساعد على تحقيق النفقات ومنع احداث الوظائف لارضاء المحاسيب والانصار مع النظر بروح الانصاف الى صفار المأمورين والموظفين .

– تنظيم الادارة الداخلية وتعميم الروح الديمقراطية الجمهورية في جميع دوائر الدولة وتطهيرها من التقاليد الاقطاعية الرثة ، وقضاء مصالح الشعب بامانة ونزاهة وتجرد وسرعة .

– جعل التوظيف والترقية على اساس الكفاءة فقط ، ومنع الوساطات والمحسوبيات وكل المداخلات منعا باتا ومعاقبتهما بشدة لانقاذ لبنان من ضرورها واضرارها .

– اصلاح شؤون القضاء والمحاكم ومكافحة العيوب القديمة الموروثة واعطاء لبنان قضاء ديمقراطيا جديدا يضمن اقامة العدالة لكل اللبنانيين .

الصهيونية المجرمة

خطرها في لبنان ، خطرها في بلاد العرب

الصهيونية ، في الجوهر ، ليس معناها ابدا انقاذ اليهود من الاضطهاد الفاشستي والنازي كما يزعم انصارها ومؤيدوها. فلو كان الامر كذلك ولو كان وعد بلفور وانصار الصهيونية في اميركا يبغون فعلا انقاذ اليهود من الاضطهاد لفتحوا لهم ابواب اميركا وانكسروا مثلا وهما يستطيعان بدون جهد ولا عناء ان تستوعبا من يهود العالم في سنة واحدة ما لا تستطيع فلسطين ان تستوعبه خلال عشرات السنين .

فالصهيونية حركة استعمارية هدفها الاقتصادي تصدير الرساميل الى فلسطين وما جاورها من البلاد العربية وجعلها سوقاً للاستثمار وتصريف البضائع . ومن هنا ابلغ الضرر والخطر لا على فلسطين وحدها ، بل على الحياة الاقتصادية في البلاد العربية كلها ، ولا سيما على الصناعة الوطنية الناشئة في

كل قطر عربي وفي لبنان بصورة خاصة ، بسبب قربه من فلسطين وقلة مناعته النسبية ضد الصهيونية .

والصهيونية بحكم كونها حركة استعمارية ، تناقض اهداف العرب التحررية الاستقلالية على خط مستقيم ، فهدفها السياسي خلق نقطة ارتكاز متينة للنفوذ الاستعماري الاجنبي في فلسطين اولا ، ونقاط ارتكاز اخرى او طابور خامس للاستعمار في بقية الاقطار المجاورة يستخدمها ضد الحركة العربية الوطنية . ومن هنا ايضا خطر الصهيونية في الوقت الحاضر على الحقوق الوطنية التي نالها لبنان وسوريا والبلاد العربية بدرجات مختلفة ، وخطرها في المستقبل القريب على نضال العرب في سبيل استكمال معالم استقلالهم والتحرر من كل نفوذ اجنبي . ولذلك فتضامن العرب في مختلف اقطارهم مع فلسطين لم تدفع اليه العاطفة الاخوية فقط ، ولم تدفع اليه اعتبارات خلقية وحقوقية فحسب بل ايضا قبل كل شيء تضامن وطني في النضال ضد عدو واحد يهدد مصالح العرب جميعا تهديدا مباشرا شديدا . ولعل اقرب بلد عربي يتناوله الخطر الصهيوني هو لبنان . فقد كان هذا القطر الخصب الجميل محط انظار الصهيونيين والاستعماريين ، وهدف مطامعهم . وقد اخذ الراسمال الصهيوني ولا سيما خلال هذه الحرب ، يتسرب هنا وهنا في بعض المرافق والصناعات اللبنانية ، مستترا باستار متنوعة . وسيكون فلك الصهيونية في مرافق لبنان الاقتصادية ، اذا قدر لها النجاح ، فتكا ذريعا لا يبقى ولا يذر . فالراسماليون الصهونيون يستهدفون الاستيلاء على مورد الاصطياف ، وعلى اخصب اراضيها واحسنها ، وعلى صناعاتنا الوطنية وعلى تجارتنا . وواضح ان استفحال نفوذ الصهيونية الاقتصادي في لبنان يرافقه ويتبعه ايضا استفحال نفوذها السياسي . وفي ذلك ابلغ الخطر على حقوق لبنان الوطنية وعلى مستقبله الوطني .

ولذلك فلا مجال للتقليل من اهمية الخطر الصهيوني على لبنان لا من الوجهة الاقتصادية ولا من الوجهة السياسية . فاذا كان اللبنانيون قد ناضلوا ويناضلون لتوطيد حقوقهم الوطنية وللتخلص

من النفوذ الاستعماري الاجنبي ، فان تسرب الصهيونية الى البلاد سيكون من اول اخطاره المباشرة المساعدة على تمكين نفوذ اجنبي اخر في وطننا ، وهو اشد ما يخشاه ويحاربه كل لبناني . وكفى بهذا حافزا لجميع اللبنانيين على اختلاف ميولهم السياسية وعقائدهم الدينية ان يهبوا جميعاً ويوحدوا الصفوف والكلمة في مكافحة تسرب الصهيونية الى لبنان من جهة وفي التضامن مع فلسطين العربية في نضالها ضد هذا الخطر من جهة ثانية .

لقد كنا وما زلنا نقول ان نضال العرب في فلسطين ضد الصهيونية هو نضال سياسي ، نضال وطني ضد شكل من اشبح اشكال الاستعمار الاجنبي . وجميع العرب في لبنان وفي كل مكان يعتبرون نضال فلسطين هذا جزءاً هاماً من نضالهم الوطني جميعاً في سبيل تحرير اقطارهم وسيادتها واستقلالها .

(كتب عام ١٩٤٢)

بشأن أحداث ١٩٤٣ مذكرة احتجاج الى البجنرال كاسترو

عندما اعتقل الاستعمار الفرنسي رئيس الجمهورية واركان الحكومة في ١١ ٢٤ العام ١٩٤٣ ، قامت في لبنان هبة ثورية شعبية شملت البلاد بأسرها . وقد رفع الشهيد آنذاك مذكرة الى ممثل فرنسا ، ورفعت منها نسخ الى ممثلي بضع دول غربية وآسيوية وفيما يلي نصها :

منذ ايام ولبنان مسرح لحوادث جسيمة . ونرى من واجبنا كلبنانيين يحبون وطنهم ويغارون على كرامته وحرية ، كوطنيين يعلمون أن مصلحة بلادهم مرتبطة بقضية النضال العالمي ضد الهتلرية ان نطلعكم على حقيقة الموقف .

ان التدابير التي اتخذت بحل المجلس النيابي ، وتعطيل الحياة الدستورية ، واعتقال رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء والوزراء وغيرهم ، قد أثارت بالشعب اللبناني موجة احتجاج واستنكار لم يعرفها من قبل . فقد كانت طعنة أليمة سددت الى صميم كرامة

لبنان الوطنية وحقوقه . ولا يعرف احد لهذه التدابير مثيلا في التاريخ .

وهذه الاضرابات والمظاهرات القائمة في البلاد ، مظهر من مظاهر الاحتجاج والاستنكار ، وفورة شعور وطني مهان ، وليست من صنع نفر من المحرضين والمهيجين ، كما يريد بعضهم ان يصوروها . ومن ينظر الى الحوادث نظرة مجردة برغبة معالجتها معالجة فعالة ، يتحقق بدون ريب ، ان المسؤولية الرئيسية فيها تقع قبل كل شيء على عاتق سياسة استعمارية رجعية قديمة لا يريد اصحابها ان يفهموا ان العلاقات بين الشعوب يجب ان تقوم بعد اليوم على اسس جديدة اقرب الى العدل والمساواة في الحقوق . وهي سياسة لا يزال يتمسك بها هنا كثير من العناصر ذات العقلية الفيشية .

ان هذه السياسة فضلا عن كونها تتجاهل مطامح اللبنانيين الوطنية في التحرر والتقدم ، تسهل مهمة الذين يريدون جعل لبنان ضحية تطاحن استعماري مخجل يتناسى القائلون به ان حرب الشعوب على الهتلرية لا تزال مستمرة ولم تصل بعد الى النصر المنشود .

اننا لا نريد القاء بلادنا في مغامرات لا فائدة لنا منها . اننا لا نريد ان تكون بلادنا بؤرة للتناحر الاستعماري ومسرعا للدسائس بين الطامعين . انما نريد حريتنا الوطنية واستقلالنا .
وانه لا فتراء ما تزعمه بعض الاوساط الوطنية من ان هذه الحركة الوطنية الشعبية التي تشترك فيها الجماهير اللبنانية الواسعة على اختلاف ميولها واديانها وعناصرها تستهدف استبدال نفوذ اجنبي بنفوذ اجنبي آخر ، فان جميع الوطنيين الصادقين ليس لهم سوى هدف واحد هو استقلال لبنان وحريته وصون كرامته .

وختم فرج الله الحلو هذه المذكرة بالقول :
اننا نحتج على تلك التدابير الشاذة المناقضة لجميع الوعود والعهود ، والمغابرة لروح الحرية التي تغمر صدور ملايين المحاربين الذين يبذلون نفوسهم سخية في سهول اوكرانيا السوفياتية ،

وفي جبال ايطاليا ، والسافوى ، وغابات بولونيا ، وفي سماء المانيا . ولا ريب ان الشعب الفرنسي بعماله وفلاحيه واحاراره الذين يعانون النير النازي ، ويقاسون فظائع الارهاب الهتلري ، يناضلون لتحرير وطنهم ، يقدرّون قيمة الحرية وقيمة النضال من اجلها ، ولو تيسرت لهم وسيلة للتعبير عن رايهم لاستنكروا معنا هذه التدابير واحتجوا عليها .

ونحن نرى ان مثل هذه التدابير انما تخدم مآرب الدعاية النازية وتؤثر في سير الحرب وتؤخر تحرير الشعوب من نير الهتلرية ، ونعلن ان العلاج الوحيد لحل هذه الازمة هو بتحقيق مطالب الشعب اللبناني المشروعة التالية :

- ١ - اطلاق سراح جميع المعتقلين . ٢ - اعادة الحياة الدستورية . ٣ - الغاء التدابير والقرارات الاستثنائية التي اتخذت بعد تعطيل الدستور ، وابعاد العناصر الرجعية الفيشية عن لبنان .

(١٥ ت ٢ ١٩٤٣)

القضايا الاجتماعية وصاتها الوثقى بالقضية الوطنية

حديث اذيع من راديو الشرق في ٢١ كانون
الثاني ١٩٤٤ .

يظن بعض المشتغلين بالسياسة ، في بلادنا ، ان القضية
السياسية هي القضية الوطنية الوحيدة التي ينبغي حصر الجهود
بها دون سواها ، وهم يرون ان كل جهد يبذل لغيرها يسىء الى
المصلحة الوطنية ، لانه يؤدي ، في نظرهم ، الى تبديد الجهود
واضعاف الصف الوطني ...

وهناك ، من جهة ثانية ، فريق اخر ينكرون اهمية القضية
السياسية ويقولون بضرورة حصر الجهود بالمسائل الاخرى
الاصلاحية من اجتماعية واقتصادية وغيرها .

والواقع ان هذين الرايين ، على ما يبدو في كل منهما من
وجاهة ، غير صائبين من الناحية الوطنية . وكل من الفريقين ينظر

الى المسألة من ناحيته وحدها ويهمل النظر الى النواحي الاخرى .
فخطأ الفريق الاول هو في انهم يجهلون جوهر القضية
السياسية وطبيعة تركيبها ، فيحاولون فصلها عن بقية المسائل
الوطنية وحلها بمعزل عنها .

وخطأ الفريق الثاني هو في جهلهم ان جميع المسائل الوطنية،
من اجتماعية واقتصادية وثقافية وغيرها ، لا يمكن ان تحل حلا
ملائما ، بمعزل عن القضية السياسية ، فالاستقلال السياسي هو
الذي يزيل العوائق الكبرى التي تحول دون حل تلك المسائل
الوطنية .

ولذلك فالقضية الوطنية الكبرى ، في لبنان وسورية ، وفي
كل قطر عربي اخر ، هي ، باجماع آراء الوطنيين الواعين ، قضية
التحرر الوطني الكامل ، والتخلص من كل نفوذ اجنبي ، سياسي او
اقتصادي ، من شأنه ان يؤثر في سياسة اي قطر من هذه الاقطار ،
فيوجهها وجهة غير متفقة تماما مع مصالحه الوطنية الحقيقية .

بل ان قضية التحرر الوطني لم تبق مقصورة على شعوب
افريقيا واسيا ، من بيض وسود وصفر ، بل اصبحت ايضا بعد
اجتياح المانيا الهتلرية لاوروبا ، قضية ملايين جديدة من الشعوب
الاوروبية نفسها التي كان معظمها ، قبل هذه الحرب ، معدودا في
الشعوب المستقلة والحررة وطنيا .

فجميع المسائل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وما يتفرع
عنها ، هي ، في الواقع ، فروع او اجزاء لقضيتنا الوطنية الكبرى ،
التي ، اذا حللناها الى اجزائها وعناصرها ، وجدناها مؤلفة من
مجموع هذه المسائل . فهناك مشكلة رجال الصناعة الوطنية
الذين يريدون ترقية صناعتهم وتقويتها ، وهناك مشكلة رجال
التجارة الوطنية الذين ييغون تنشيط تجارتهم ورواجها ، وهناك
قضية الفلاحين الذين يطمحون الى الارض وترقية زراعتهم
والخلاص من الفقر والجهل والبؤس والامراض ، وهناك قضية
العمال الذين يطلبون تشريعا للعمل يضمن لهم رفع مستواهم المادي
والفكري ، ويحميهم من اخطار البطالة والمرض والجهل ، وهناك

قضية المرأة التي تطمح الى تحررها وترقية مستواها . والتمتع بجميع حقوق المواطن ، وهناك قضية رجال الفكر والعلم الذين يبغون ان تهيأ لهم الفرص الضرورية للقيام بنشاطهم في خدمة الفكر والعلم ، وتبوؤ المكان اللائق بهم في المجتمع . يضاف الى هذه الشؤون جميعا مشكلة نشر التعليم ومكافحة الامية والجهل ، وحماية الصحة العامة وتحسين وسائل المواصلات وما الى ذلك من الشؤون والاصلاحات العمرانية .

غاية الاستقلال السياسي

والاستقلال السياسي الذي يسعى اليه الوطنيون الواعون افرادا وجماعات واحزابا ، ليست غايته الا ازالة العوامل التي تعوق حل هذه المشاكل والقضايا وتحول دون معالجتها بنجاح ، فتمنع تقدم البلاد ورفقها المتتابع وازدهارها . ولذلك فكل حق وطني جديد ناله يجب استخدامه بلا ابطاء والى الحد المستطاع لمعالجة كل هذه المشاكل وايجاد الحلول الصالحة لها في كل مرحلة معينة . لان كل تقدم في حل هذه القضايا يؤدي الى رفع مستوى البلاد العام ماديا وفكريا ، ويسير بنا خطوات جديدة نحو اكتمال تكوننا القومي وتمتين وحدتنا الوطنية ، وازالة بقايا العهود البائدة ، من نعرات طائفية ، وتقاليد اقطاعية ، ونزعات عائلية واقليمية ، وبذلك نصبح اكثر فاعلية متلاحمة الاجزاء ، وفي درجة اعلى من التجانس والانسجام .

ولذلك فكل نضال لاجل حل هذه المشاكل الفرعية يبقى نضالا قليل النفع والاثر اذا لم يعمل جميع المواطنين متحدين لازالة العائق الاكبر في طريق تقدم البلاد وتطورها المادي والثقافي والسياسي ، اي اذا لم يعملوا لتحقيق تحررها الوطني الصحيح ، وسيادتها الوطنية التامة . . .

فلا يكون رجال الصناعة وطينين واعين حقا اذا قصروا همهم في النضال من اجل ترقية صناعتهم ، دون الاهتمام بالقضية الوطنية الكبرى ، قضية التحرر الوطني والاستقلال السياسي ، لان فتح مجال التقدم امام الصناعة الوطنية لا يمكن ان يتيسر الى الحد

الشرق العربي يتحرك

(كتب في مجلة « ديمقراطية جديدة » الصادرة في باريس
العام ١٩٤٦ ، ونقلته «صوت الشعب» في ١٧ - ٧ - ٤٧)

ان اهم ما يميز الوضع السياسي في بلدان الشرق الادنى
هو نمو حركة التحرر الوطني عند الشعوب العربية ضد الاستعمار
البريطاني .

فشعوب البلدان العربية ، التي شجعته هزيمة الفاشستية،
ونهموا قوى الديمقراطية والتقدم في العالم، والتي ألهمها بصورة
خاصة ، مثال سوريا ولبنان اللذين توصلا الى التحرر من الاحتلال
العسكري الاجنبي ، تظهر ارادتها الراسخة في الفوز باستقلالها
وحريتها الوطنيين ، وفي رؤية الجيوش البريطانية تجلو عن
اراضيها .

وازاء هذه المطامح المشروعة ، تبدي انكلترا ، وهي الدولة
الوحيدة التي ما تزال تستعبد بالقوة اكثر بلدان الشرق الادنى ،
جهودا يائسة للمحافظة على سيطرتها على هذه البلدان ، ولتعزيز

هذه السيطرة . ويتخذ اسياذ « اليسيتي » في الوقت الحاضر ، خطة تختلف قليلا عن اساليبهم القديمة التي كانت تستند جهارا على حق الاقوى . وهم يجتهدون في سبيل ايجاد اشكال جديدة « شرعية » تسمح لهم بالمحافظة على مجموع امتيازاتهم السياسية والاقتصادية ، وبابقاء هذه البلدان ، بهذه الطريقة او تلك ، تحت سيطرتهم العسكرية . ولكن يمكن القول ، على ضوء الحوادث ، ان هذه الاحداث صعبة التحقيق .

فشل الانكليز في سوريا ولبنان

لقد منى الانكليز في سوريا ولبنان بأول فشل ذريع في تحقيق مشاريعهم ، وذلك عندما ارغموا على سحب جيوشهم منهما تاركين هاتين الجمهوريتين العربيتين الفتيتين حرتين من كل احتلال عسكري اجنبي .

وغني عن الإشارة ، أن السياسة الاستعمارية الحمقاء التي طبقها ممثل الجنرال ديغول والتي كان الاعتداء والاستفزاز وسائلها المفضلة ، قد ساعدت الى حد كبير محاولات البريطانيين لترسيخ اقدامهم في سوريا ولبنان . فقد بلغت اعمال ممثلي الجنرال ديغول ذروتها في تشرين الثاني ١٩٤٣ بالنسبة للبنان ، وفي شهري ايار وحزيران ١٩٤٥ بالنسبة لسوريا . ففي تشرين الثاني ١٩٤٣ امر جان هلو (وهو حاليا مستشار الجمهورية عن حزب الحركة الجمهورية الشعبية) باعتقال رئيس الجمهورية اللبنانية ، ورئيس الحكومة والوزراء ، واتخذ قرارا بحل المجلس النيابي اللبناني . وفي شهري ايار وحزيران ١٩٤٥ ، عندما اعتقد الجنرال اوليفر روجيه ، الفيشي السابق ، انه « سيرجع السوريين الى الصواب » بتدمير دمشق ومدن سورية اخرى !

ان هذه الاعمال العدوانية جاءت تطبيقاً للعبة البريطانيين الذين افادوا منها لتدخلهم مقتنعين بقناع حماة حقوق السوريين واللبنانيين . ولم يكن من الضروري ان يكون المرء شديد الذكاء ليدرك ان الانكليز كانوا يريدون ان يحلوا محل الفرنسيين او ان يخلقوا الظروف المواتية لارغام الفرنسيين على قبول الدور البارز

الذي سيقوم به البريطانيون . وكان من الواضح تماما ان الانكليز ، عندما تمكنوا من وضع اقدامهم في سوريا ولبنان ، كانوا يهدفون الى البقاء فيها مع الفرنسيين متخذين منهم ستارا وحجة لبقائهم هم انفسهم .

ان الاتفاق الفرنسي الانكليزي الذي عقد في لندن بتاريخ ١٣ كانون الاول ١٩٤٥ ، والذي يضع سوريا ، في خطوطه العامة ، تحت النفوذ الانكليزي ويضع لبنان تحت النفوذ الفرنسي والانكليزي ، والذي يمنح لكل من هاتين الدولتين في منطقتها قواعد استراتيجية ، ثم موقف المندوبين البريطانيين والفرنسيين عند مناقشة القضية اللبنانية السورية في مجلس الامن ، اللذين عارضا في جلاء قواتهما التام والفوري وغير المشروط ، اجل ان ذلك يشكل براهين كافية لاثبات ما تقدم . ولكن عزم الشعبين اللبناني والسوري على النضال في سبيل تحرير بلديهما تحريرا كاملا ، وتدخل مجلس الامن ولا سيما الموقف الواضح والصريح والجريء الذي وقفه المندوب السوفياتي في مجلس الامن ، قد اديا الى الجلاء العسكري عن اراضي سوريا ولبنان .

المقاومة المصرية

وفي مصر ايضا تصطدم مشاريع البريطانيين بمقاومة شعبية وطنية متعازمة . فالمفاوضات الانكليزية المصرية ، التي بدأت منذ سنة ، لاجل اعادة النظر في معاهدة ١٩٣٦ ، لم تسفر عن اية نتيجة . ولنذكر ان الهدف الرئيسي للبريطانيين في مصر هو ابدال معاهدة ١٩٣٦ غير المتساوية باتفاقات جديدة من شأنها ان تسمح لهم بابقاء جيوشهم في بعض المناطق المصرية ، وفي قناة السويس بصورة خاصة ، وبتشكيل ما سموه « مجلس الدفاع المشترك » هذا المجلس الذي يعطيهم من جهة امكانية الاشراف الدائم على الجيش المصري واعادة قواتهم الى مصر في حالة الحرب او فيما اعتبروه بتهديد بالحرب . كما ان الموافقة على المقترحات البريطانية ترغم مصر من جهة ثانية على وضع جيشها تحت تصرف انكلترا في كل حرب تدخلها انكلترا مهما كانت سببها

ومهما كان مصيرها ومهما كان المسببون الرئيسيون لها .
اما جواب الشعب المصري فقد كان قاطعا . لقد قرر هذا
الشعب الحصول على استقلال بلاده الكامل وعلى جلاء القوات
البريطانية عن مصر كلها بدون قيد او شرط . وكان
صدقي باشا ، رئيس الوزارة السابق ، والرجل المفضل لدى
الرأسمال الانكليزي والرجعية الانكليزية ، محامي الانكليز في ما
يطلبون . فاستعمل وسائل العنف والاضطهاد التقليدية لقمع
معارضة الحركة الوطنية الشعبية النامية ، واستعار من ترسانة
غوبلز سلاح مكافحة الشيوعية الصدى . ولم ننس بعد الحملة
المصطنعة التي شنّها في مطلع شهر تموز ١٩٤٦ ضد الخطر
الشيوعي المزعوم ، فاعتقل مئات الطلاب والعمال والصحافيين
وغيرهم من المثقفين وعطلت صحف ومجلات بالجملة . ولكن صدقي
باشا واسياده البريطانيين منوا بفشل ذريع تام واضطر « الرجل
الحديدي » في النهاية الى الاستقالة والانسحاب مغمورا بالخزي .
اما خلفه النقراشي باشا فانه اصطدم ايضا بصعوبات لا تقل
عن التي اصطدم بها سلفه . فرأى نفسه مضطرا في اواخر
كانون الثاني امام الاندفاع الشعبي الجارف ، وامام تعنت الاستعمار
الانكليزي ، الى قطع المفاوضات الانكليزية المصرية نهائيا ، كما
اضطر الى ابلاغ مجلس النواب عن نية حكومته في رفع القضية
المصرية الى مجلس الامن الدولي وذلك خوفا من فقدان هيئته امام
الرأي العام الشعبي المصري . واعترف بينقن بمرارة في خطاب
لقاه بمجلس العموم ، بفشل المفاوضات مع مصر .

في العراق

ويقوم في العراق بمثل هذه المحاولة رجل الرجعية البريطانية
المعروف نوري باشا السعيد . وقد افاد نوري السعيد من فشل
وسائل العنف والارهاب التي طبقها سلفه ارشد العمري ضد
الحركة الديمقراطية المعادية للاستعمار في العراق ، فجرب وسائل
اخرى حتى لقد ادخل في وزارته ممثلين عن بعض الاحزاب
الديمقراطية والاحرار . ولكن التجربة لم تكن جد سعيدة ، ولم

تستطع محاولة شل المعارضة الديمقراطية المعادية للانكليز ، بهذه الطريقة ان تشق طريقها بسهولة . وسرعان ما نزع نوري السعيد القناع عن وجهه . وامست وعوده باجراء انتخابات تشريعية حرة وعودا جوفاء ، وانسحب الوزراء الديموقراطيون والاحرار من حكومة السعيد ، احتجاجا .

وواضح ان يشعر الانكليز ، على اثر امتداد الروح المعادية لهم وتعاظمها باستمرار في العراق ، ان المراكز التي يحتفظون بها في هذه البلاد هي في خطر . وهم يحاولون توطيدها ، لا بطلب المحافظة على هذه المراكز فحسب بل بالمطالبة بمراكز اخرى غيرها . فالمعاهدة الانكليزية العراقية قد منحت الانكليز القاعدتين العسكريتين الهامتين : مطار الحبانية الواقع على بضعة كيلومترات من بغداد ، واستخدام مرفأ البصرة . اما الآن فهم يطالبون بقواعد اخرى في شمالي العراق غير بعيدة عن ايران وتركيا والاتحاد السوفياتي . وهم يأملون ان تعطيهم الحكومة التي تنبثق عن الانتخابات التي « نظمها » نوري باشا السعيد ، الحق فيما يطلبون . ولكن ليس ثمة ما يبشر بتحقيق هذه الآمال ، ولن يكون نوري باشا ، على الارجح ، احسن حظا من سلفه ارشد العمري او من زميله المصري صدقي باشا .

ان الشعب العراقي يرفض البقاء تحت سيطرة المستعمرين الانكليز ، ويرفض بالتالي ، اعطاء مراكز جديدة من شأنها ان تعزز سيطرتهم في العراق . والاحزاب الديمقراطية عاقدة العزم على مواصلة النضال بمساعدة الجماهير الشعبية ، حتى يتحرر العراق تحررا كاملا .

« التقارب » التركي - العربي ؟

ولكن السياسة الانكليزية لا تكتفي ، للوصول الى اهدافها في الشرق الادنى ، بأن تبدي ضغطا شديدا على كل بلد من البلدان العربية . فالجامعة العربية ، التي كان الانكليز يأملون استخدامها كأداة لتطبيق سياستهم ولنشر نفوذهم على مجموع البلدان العربية ، لم تجد نفسها قادرة على القيام بالدور الذي اريد لها ، وذلك بفعل الضغط الشديد الذي تقوم به الجماهير العربية على الجامعة .

وتبذل انكلترا جهدا عظيما لتدعيم تغلغلها في الشرق الادنى، محاولة اجراء تقرب بين تركيا والبلدان العربية ، وانشاء « كتلة شرقية » ، يكون فيها لتركيا مركز الزعامة ، ترتبط ارتباطا وثيقا بعجلة الامبراطورية البريطانية . وفي الوقت نفسه تقوم الاوساط البريطانية المسيطرة ، وعملاؤها ، بنشاط قوي لمشروع رجعي آخر هو مشروع سوريا الكبرى .

ان هذين المشروعين ، الكتلة الشرقية وسوريا الكبرى ، لا ينفصل احدهما عن الآخر . ان لهما اهدافا مشتركة هي : توطيد المراكز البريطانية في الشرق الادنى ، وازعاج حركة التحرر الوطني التي تزداد نموا في البلدان العربية ، واعادة النفوذ التركي الالذي الى هذه البلدان ودعم مركز الرجعية التركية الذي اصبح منعزلا تماما بالنسبة للديمقراطيات الشعبية في اوربا الشرقية وفي البلقان ، والتي تتبع تركيا ازاءها سياسة الحذر والعداء . ولنذكر بالمناسبة ان تركيا قابلت باستياء جلاء القوات الاجنبية عن سوريا ولبنان ، لانها شعرت بعد جلاء هذه القوات ، بفراغ كبير على حدودها الغربية . واليوم تعارض الصحافة التركية الرسمية في جلاء القوات البريطانية عن مصر ، وهي لا توافق على المطالب المصرية بهذا الشأن .

وكانت آخر مظاهر سياسة التقرب التركي العربي التي يريها الانكليز . زيارة الملك عبدالله الاردني الى انقرة وعقد معاهدة صداقة بين تركيا وشرق الاردن . وقد صرح عبدالله « بأن من الضروري توسيع هذه المعاهدة لتشمل جميع البلدان العربية ، وايران ، وافغانستان ، وافريقيا الشمالية ، والباكستان » .

وهذا الامر ، الذي لا يشكل نجاحا حقيقيا للسياسة الانكليزية ، هو بالعكس ، علامة ضعف لهذه السياسة . ان مملكة شرق الاردن ورئيسها قد اصبحا اقل شعبية في البلدان العربية ، بعد عقد المعاهدة الانكليزية الاردنية في الربيع الماضي ، هذه المعاهدة التي تخضع شرق الاردن لرقابة انكلترا التامة عسكريا وسياسيا ، والتي تشكل تراجعا مخزيا بالنسبة للتجربة التحريرية في سوريا ولبنان وللنضال العنيد الذي تقوم به مصر والعراق في سبيل

تحررها الكامل من نير الاستعمار الانكليزي . واصبح الملك عبدالله بذلك ، عاجزا عن تمثيل دور « حصان طروادة » ضمن نطاق الشرق العربي ، في ميدان « التقارب » التركي - العربي . وقد فضحت العناصر التقدمية في شرق الاردن ذاته ، الاهداف التي يرمي اليها الملك عبدالله ، واستنكرت الصحافة الوطنية العربية نشاطه ، وبينت ان هذا النشاط يرمي الى خدمة الاستعمار البريطاني على حساب المصالح الوطنية للبلدان العربية .

ولم تتجلى المعارضة لهذه السياسة فقط في الصحافة وفي الحزبين الشيوعيين السوري واللبناني اللذين لم يتوقفا لحظة عن فضح المشاريع الاستعمارية الانكليزية وعن فضح مشروع « الكتلة الشرقية » بل تجلت ايضا في البيانات الرسمية العامة التي اصدرها رئيس الجمهورية السورية، الذي استنكر جميع مشاريع الكتل والتكتلات . فقد صرح الرئيس السوري بأن سوريا لا تعترف بأية كتلة ولا تريد ان تنضم الى اية كتلة .

ثم ان العرب ما زالوا يتذكرون الماضي القريب الذي جمعهم بتركيا وان لا شيء يجذبهم الى العودة لهذا الماضي . ثم ان الحالة الداخلية في تركيا ونظامها الديكتاتوري الذي يستخدم الارهاب لقمع المعارضة التقدمية ، هما ابعد من ان يثيرا عطف واعجاب السوريين واللبنانيين . ان سوريا ولبنان ، بالرغم من جميع الاخطاء التي ما زال يتألم منها نظامهما الجمهوري والديموقراطي ، يدركان جيدا التقدم العظيم الذي يمتازان به على تركيا ، في مضمار التقدم والديموقراطية .

ثم ان مركز سوريا ولبنان ، في الميدان الدولي ايضا ، اكثر متانة من مركز تركيا ، يدل على ذلك انتخاب سوريا مؤخرا عضوا في مجلس الامن التابع لهيئة الامم المتحدة . ثم ان الوطنيين السوريين واللبنانيين الصادقين يعتبرون بحق ، ان مصالحهم الوطنية ومصصلحة السلم في الشرق الادنى وفي العالم ، تفرض على بلديهم انتهاج سياسة مستقلة عن جميع التكتلات الاستعمارية المتخاصمة ، وهم يرون في الوقت الحاضر ، ان « التقارب » التركي - العربي ، في الاتجاه الذي تدفع اليه بريطانيا العظمى

مشروع رجعي آخر : سوريا الكبرى

اما مشروع سوريا الكبرى ، فهو مشروع من مصدر انكليزي - صهيوني ، اهم ما فيه توحيد سوريا ولبنان وشرق الاردن والقسم العربي من فلسطين (بعد تجزئتها) في دولة واحدة يحكمها احد الملوك الهاشميين : عبدالله هو المفضل او اي عضو من عائلته .

ومن الملاحظ ان الانكليز وعملاءهم قد ضاعفوا نشاطهم في مشروع سوريا الكبرى بعد الجلاء الكامل للقوات الاجنبية عن سوريا ولبنان وظهور هاتين الجمهوريتين ، في الميدان الدولي ، كأول بلدين عربيين تحررا من نير الاستعمار ومن جيوشه . فوضعيتهما السياسية المميزة ، بالنسبة للبلدان العربية الاخرى . تشجع هذه البلدان في نضالها لاجل الحرية والاستقلال . وقد اعرب الكاتب المصري الكبير طه حسين ، عن الامر ، فيما كتبه في احدى المجلات المصرية الهامة : « لقد كان السوريون واللبنانيون تلامذتنا في النضال للاستقلال والحرية ، وقد اصبحوا الان اساتذتنا في هذا الفن » .

ان جلاء الجيوش الاجنبية عن سوريا ولبنان ، رغم نفوذ انكلترا السياسي وتغلغلها الاقتصادي ورغم الضعف والمسايرة اللذين ظهرا من بعض المسؤولين السوريين واللبنانيين ازاء التدخلات البريطانية في هذين البلدين ، ان هذا الجلاء هو حدث ذو اهمية سياسية وتاريخية عظيمة . ومما لا شك فيه ان هذا الحدث قد فتح ثغرة عميقة في جهاز الاستعمار البريطاني في الشرق الأدنى فأراد الانكليز سد هذه الثغرة محاولين تحقيق مشروع سوريا الكبرى الذي يؤدي الى نفس الجمهورية السورية واستقلالها ومن ثم الى نفس الجمهورية اللبنانية واستقلالها ايضا والى اعادة

الجيوش البريطانية من جديد الى هذين البلدين عن طريق شرق الاردن . ولما ادرك الانكليز ان العائق الرئيسي الذي يقف دون التقرب التركي العربي ، هو سوريا التي لا تستطيع اية حكومة فيها ، مهما كانت ، ان تأخذ على عاتقها تثبيت الحاق سنحج اسكندرونه بتركيا خوفا من استنكار واستهجان الراي العام السوري العربي ، ضاعف الانكليز ضغطهم لتحقيق مشروع سوريا الكبرى .

صحيح ان المعارضة لهذا المشروع تأتي من مختلف الجهات . ولا يمكن التقليل من اهمية معارضة المملكة السعودية العربية لهذا المشروع . ان ابن السعود لا يرضى باقامة مملكة هاشمية تضم سوريا ولبنان وشرق الاردن وفلسطين واحتمال اتحادها مع العراق . اذ من المعلوم ان ثمة خلافا قديما بين السلالتين السعودية والهاشمية ثم ان مصر لا تنظر بعين الرضى الى اقامة مثل هذه المملكة . اما سوريا ولبنان فهما ولا شك اهم العائق في طريق تنفيذ هذا المشروع . فقد كان رد الفعل الشعبي في البلدين عنيفا جدا . واتخذ المجلسان النيابيان السوري واللبناني باجماع الاصوات قرارا يعلنان فيه تمسكهما بالنظام الجمهوري وشجبهما مشروع سوريا الكبرى . ورفض الجماهير الشعبية ايضا الانخداع بأقوال دعاة سوريا الكبرى الذين يزعمون انهم لا يرمون الا الى توحيد مختلف المناطق العربية المشتتة في دولة واحدة وتدرج هذه الجماهير ادراكا تاما اهمية الانتصار الذي احرزته بجلاء الجيوش الاجنبية عن بلديها كما تدرك أن مشروع سوريا الكبرى يرمي الى حرمانها من هذا الانتصار . اما الانكليز فانهم لم ينجحوا الا في زيادة فضح حقيقة انفسهم امام الجماهير الشعبية . ولا يزال نفوذهم يهبط بصورة محسوسة . واما «صديق العرب» الجنرال سبيرز ، فانه فهم تماما هبوط النفوذ الانكليزي ، وقد اشار الى ذلك بمرارة في عدة مقالات كتبها بعد عودته من الرحلة الاخيرة التي قام بها الى الشرق الادنى .

دعم المشاريع الانكليزية

ان المستعمرين الانكليز ليسوا وحدهم في القيام بالحملة

لمشروع سوريا الكبرى . فمن الواضح ان الاوساط الرجعية الافرنسية في الشرق قد انحازت الى جانبهم وتظهر المساعدة التي تقدمها هذه الاوساط لاسيادها البريطانيين ، بالمحاولات التي تقوم بها لاجل خلق جو من الحقد والعداوة بين لبنان وسوريا في سبيل سحق التضامن بين البلدين الشقيقين وذلك لاتمام مناورة الاستعمار .

وتمكن ملاحظة هذا الامر من خلال حملات الصحافة التي تقوم بها بين الفينة والفينة الصحف اللبنانية المرتبطة بالرجعية الفرنسية لا سيما بنك سوريا ولبنان ، هذه المؤسسة الفرنسية التي انتقل اربعون بالمئة من رأسمالها الى ايدي الانكليز . وتجدر الاشارة بهذا الصدد ، الى المحاولات الاخيرة للتقرب بين سفير شرق الاردن في لبنان وبين بعض الاوساط الرجعية اللبنانية المعروفة بتعلقها بالاوساط الرجعية الفرنسية . فالحقد الاعمى الذي يضمه هؤلاء الرجعيون الاقحاح ضد الدولة السورية الفتية ، واملمهم في الفتات الذي قد يتركه لهم نصف الجمهورية السورية وتجزئة لبنان ، ان هذا الامل يدفعهم اكثر فاكثر الى المساهمة في هذه المناورة البغيضة - ان رجال التروستات الفرنسيين يأملون ان يسمح لهم باقامة لبنان صغير مسيحي ذي استقلال ذاتي ضمن ، « المملكة العربية الهاشمية الكبيرة » ، ليسرحوا فيه على هواهم .

نضال الشعوب العربية في سبيل الاستقلال والتقدم والديمقراطية

والجدير بالذكر ان الدعاوة الانكليزية تحاول تبرير مطالبها بالاستناد تارة الى ضرورة تأمين مواصلات الامبراطورية البريطانية، وطورا الى حاجة الشرق الادنى لحماية نفسه من الخطر الشيوعي او الخطر الاحمر . اما العرب الذين يعلمون ان حرية بلادهم واستقلالها وتقدمها الاجتماعي والاقتصادي لا يهددها غير الاستعمار ، فانهم لا يؤخذون بهذه الدعاوة .

ان العرب يدركون ان الهدف الاساسي لجميع المشاريع التي يضعها ويدافع عنها الاستعمار الانكليزي ، هو توطيد سيطرة هذا

الاستعمار على بلدانهم واستثمار خيراتها لمصلحة التروستات الانكليزية . وقد شعرت هذه التروستات بخطورة مركزها في الشرق الأدنى ، فاضطرت الى الاذعان لمطالب التروستات الاميركية والى اشراك هذه التروستات في استثمار موارد هذا الجزء من العالم ، كالبترول مثلا . وهكذا بلغت حصة التروستات الاميركية من بترول الشرق الاوسط ٤٢ بالمائة مقابل ٥٢ بالمائة للانكليز . ويستند دعاة الاستسلام وعملاء البريطانيين على هذا الاتفاق في المصالح الانكليزية - الاميركية ، للتبشير بالتراضي والتهدة ازاء الاستعمار ولكي يبرروا تراجعهم امام المطالب الانكليزية . اما الشعوب العربية فانها ، خلافا لهذا الموقف الذي لا ترى فيه غير الاستسلام والاذلال ، تتخذ موقف النضال والاعتناق .

وهكذا نرى ان شعارات الجماهير العربية في نضالها ضد الاستعمار هي : الاستقلال ، وجلاء القوات البريطانية ، والتقدم الاقتصادي والديمقراطي . كما ان الشعارات الرئيسية التي تهز الجماهير الشعبية في سوريا ولبنان هي الدفاع عن استقلالها ، وتوطيد نظامها الجمهوري وتطويع هذا النظام نحو الاستقرار والتقدم الديمقراطي ، والتضامن مع الشعوب العربية الاخرى في نضالها لاجل تحريرها الوطني . ان الشعبين السوري واللبناني يقدران المركز السياسي والوطني الممتاز الذي يحتلانه حق قدره . وهما يدركان ان هذا المركز يفرض عليهما واجب النضال للمساهمة في الدفاع عن السلم العالمي . اذ ان هذين البلدين يريدان ان يشبتا للعالم ما تستطيع اتياه الشعوب العربية اذا هي تحررت من نير الاحتلال الاجنبي .

قوة الحرية نتاج السيرة رغم تهوئش الرجعية العالمية

مقطع من خطاب للشهيد القاه في اجتماع
شعبي عقد في جونه يوم الاحد ٣١ اذار العام
١٩٤٦ ونشر في جريدة صوت الشعب .

لقد كان تحطيم الفاشيستي والنازية الالمانية ضربة قاصمة
وجهت الى الرجعية الاستعمارية في امنع معاقها . وكان طبيعيا
ان يؤدي تحطيم النازية الى انطلاق قوى الحرية في الدنيا والى نمو
الحركات الديمقراطية والاحزاب الشيوعية في العالم باعتبار هذه
الاحزاب الطليعة المنظمة القوية لكل حركة ديمقراطية وطنية . وكان
طبيعيا ايضا ان تنهض الحركات الوطنية التحريرية في اسية
وافريقية وان تثب الشعوب المستعبدة الى استرجاع حريتها
وحقوقها في الحياة الحرة الوطنية . فبعد اندونيسيا التي عجز
الحديد والنار عن اخضاعها هبت جماهير الهند تناضل ضد

الامبراطورية البريطانية العجوز وتطالب باستقلالها وحريتها . ثم هبت مصر الشقيقة العزيزة ونزل عمالها وطلابها وشبابها الى الشوارع يهتفون بسقوط الاستعمار ويطلبون جلاء الجيش الانكليزي عن وادي النيل بلا قيد ولا شرط .

وها هي فلسطين العربية المنكوبة بالانتداب والصهيونية تتحفز للنضال في سبيل الاستقلال والحرية وتطالب بالغاء الانتداب ووقف الهجرة الصهيونية وانشاء حكم وطني ديمقراطي فيها .

وها هو العراق ايضا يطالب بتعديل معاهدته مع انكلترا وبجلاء الجيوش الانكليزية . واذا كان امير شرق الاردن قد عقد معاهدة مع بريطانيا غايتها توطيد الاحتلال الاجنبي في بقعة عربية هامة فالشعوب العربية ستتابع النضال من اجل جلاء جميع الجيوش الاجنبية عن اراضيها .

وكان طبيعيا ان يدب الذعر والخوف في صفوف الرجعية من نمو القوى الديمقراطية الجديدة في اوربا ومن نهوض الحركات الوطنية في اسية وافريقية وان يحمل المستر تشرشل نفسه ويذهب الى اميركا ويدق نغمة هناك مستنجدا مستجيرا ومحرضا على القوى الديمقراطية والحركات الوطنية التحريرية تحت ستار مهاجمة الاحزاب الشيوعية ومهاجمة الاتحاد السوفياتي باعتباره طليعة القوى الديمقراطية وسند الشعوب في نضالها من اجل الحرية .

ولقد اندفع المستر تشرشل في حقه الاعمى على الشيوعيين فسماهم الطابور الخامس لروسيا وقد نسي جنبه ان هتلر كان يقول عنه في اثناء هذه الحروب انه عميل لروسيا البلشفية .

ولكن الشعب الاميركي قد اجاب تشرشل بما يستحق عمله من الاستنكار والاحتجاج . وامام الفضة الشعبية في انكلترا نفسها اضطرت الحكومة الانكليزية الى اعلان براءتها من خطاب تشرشل وكذلك استنكر اكثر من ٥٠٠ نائب بريطاني تصرف تشرشل وشجبوا تحريضه على الحرب .

ان قوى الحرية تتابع سيرها الى امام ولن تستطيع صيحات

تشرشل وزعقاته ان توقف بعد اليوم قوى التقدم والحرية عن متابعة سيرها .

ولم ينفرد تشرشل وحده بالحملة على الشيوعيين فان صديقه الحميم الجنرال سبيرز التيم الهائم ببترونا العربي و « بحب » سوريا ولبنان باعتبارهما « طريقا للامبراطورية » ، قد خص الشيوعيين في مصر وسوريا ولبنان بشرف عظيم فقد نشر تصريحاً في اواسط اذار الحالي ابدى فيه مخاوفه من نمو الحركة الشيوعية في مصر ومن التأثير الذي احرزه الشيوعيون في دمشق ومن الاهمية الكبرى التي يتمتع بها الحزب الشيوعي اللبناني . ولا ريب عندي وعندكم ايضا ان كل وطني صادق في سوريا او في مصر او في لبنان مهما كان ميله السياسي الخاص يتمنى ان يكون الجنرال سبيرز على حق هذه المرة ويسره ان تتحقق مخاوف هذا الجنرال الفاشل في الانتخابات . فليس في تعاضم قوة الحزب الشيوعي ما يخيف اي وطني صادق .

ولكننا نقول للجنرال سبيرز وامثاله ان الشيوعيين اللبنانيين لا يهمهم ان ينعموا بصداقة الجنرالات امثال سبيرز ورضاهم فنحن قد تركنا لغيرنا هذه الصداقة وذلك الرضى فلينعموا بهما ما شاؤوا وليعتزوا بهما ما استطاعوا اذا استطاعوا . فنحن يكفينا رضى شعبنا وصداقة عمال بلادنا وفلاحيهامثقفيهامجماهيرها الكادحة .

لبنان سيبقي في جبهة الحرية

((الحرية معبودتي)) - جبران

هذا المقال ، كتب في ٢٩ ايلول
العام ١٩٤٦ ونشر في ((صوت الشعب))
عام ١٩٤٦ ، مدافعا عن لبنان واصالة
الحرية فيه ، ومنندا بالضغط الذي
يمارسه الاستعماريون والرجعية لؤاد
الحرية .

ما تجلت روح جبران اللبنانية العربية والانسانية في كل
ما خطه قلمه او رسمته ريشته كتجليها في هاتين الكلمتين :
« الحرية معبودتي » . ففيهما عبّر الكاتب اللبناني العبقري تعبيرا
شاملا كاملا عن طموح لبنان ، طموح مثقفيه وعماله وفلاحيه وجميع
الكادحين تحت سمائه ، الكادحين بسواعدهم ام بأدمغتهم على
السواء . فتقدّس الحرية أبرز ميزات لبنان والطابع الذي يطفئ
فيه على كل طابع . فالفلاح الساعي وراء محراثه والعامل الكادح
في معمله ، والراعي السارح مع قطيعه ، والتاجر القابع في مخزنه
كلهم يحترمون الحرية ، حريتهم وحرية غيرهم ، ويضعونها فوق
كل القيم وفوق كل اعتبار . والشعراء اللبنانيون والأدباء والفنانون
المعبرون عن النفس اللبنانية والحق اللبناني بمختلف اشكال التعبير ،

من جبران الى الريحاني الى عمر فاخوري كلهم امتاز ادبهم وشعرهم
وفنهم بثورة على الطغيان والعبودية وبحب عميق للحرية تحس به
في كل كلمة جرّيت بها اقلامهم . وتاريخ لبنان منذ اقدم العصور
هو تاريخ قوم ناضلوا دائما في سبيل الحرية . ولم يحنوا الرأس
قط لطغيان طاغية او استبداد مستبد .

وقديما عمّر لبنان وغرس حقوله وبساتينه وكرومه قوم كانت
الحرية رائدهم والتمرد على الظلم والطغيان ديدنهم . وقديما
ايضا كان اللبنانيون ينزحون عن ديارهم طلبا للحرية في ديار
غيرهم . ففي مصر الشقيقة وفي المهاجر الاميركية الواسعة ساهم
اللبنانيون بحمل مشاعل النهضة والوية النضال في سبيل
الحرية .

ان حب الحرية في لبنان ليس امرا طارئا ولا حادثا عارضا
بل هو خلق اصيل في كل لبناني وليس يستطيع احد انتزاع هذا
الحب من صدور اللبنانيين وليس يستطيع احد مهمما كان ان يرجع
لبنان الى وراء في طريق الحرية .

ولقد كانت قضية لبنان منذ ان كان للبنان امانى وطنية
قضية حرية وديمقراطية . وهي اليوم بعد ان خطا لبنان هذه
الخطوة العظيمة في طريق الاستقلال والسيادة لا تزال قضية حرية
وديمقراطية . فالقوى الاجنبية التي اضطرت للجلاء عن لبنان ولا
تزال تسيطر على بقية البلاد العربية يسرها ويغبطها ويهمها ان
يظل لبنان بعد الجلاء كما كان قبل الجلاء ، بل هي تبذل اقصى
جهدها لتظهر لبنان بعد تحرره من الاحتلال الاجنبي بمظهر بلد
تأخرت فيه الحرية وفئت فيه الديمقراطية . وذلك لكي تشوه
سمعته امام الرأي العام العالمي من جهة ولكي تخفف من حماسة
الشعوب العربية المناضلة ضد الاحتلال الاجنبي من جهة ثانية ولكي
تضعف ثقة الشعب اللبناني بنفسه وبقدرته على ممارسة استقلاله
وسيادته فيبقى مجال التدخل في شؤون لبنان الداخلية والخارجية
مفتوحا رجبا امامه من جهة ثالثة .

فاتساع الحريات الديمقراطية في لبنان بعد تحرره من
الاحتلال الاجنبي شرط ضروري لتوطيد استقلاله وتثبيت نظامه

الجمهوري كما هو شرط ضروري لتوطيد الاتحاد والائاء بين جميع اللبنانيين واحباط جميع المؤامرات الاجنبية ومحاربة التدخل الاجنبي في شؤون لبنان . ولا يمكن ان يسود الاستقرار الداخلي في البلاد الا على أساس احترام حرية الرأي والفكر وحرية الصحافة والاجتماع وسائر الحريات الدستورية الديمقراطية . ولا يمكن ان تنجح خطة اصلاحية ان لم تكن قائمة على احترام الحرية .

ولا يمكن ان تريح حكومة في لبنان ثقة الشعب واحترامه ان لم يكن اطلاق الحرية اساس سياستها الوطنية .

ان قضية الحرية لا يمكن ان تكون في لبنان متوقفة على امزجة بعض المسؤولين وطبائعهم ومقاييسهم الخاصة الخاطئة ، وليست الحرية منحة من المنح يهبونها من يشاؤون ويمنعونها عن يشاؤون .

اننا نعلم ان الرجعيين في الخارج والداخل يهوشون على لبنان ليعرقلوا فيه سير الحرية وليخرجوا به عن طريق الديمقراطية ولكن لبنان يجب ان يصمد امام تهويشهم ولا يتراجع تحت ضغطهم فيربح تأييد الراي العام العالمي والعربي والداخلي . ونحن موطدو العزم على الدفاع عن الحرية تراث الآباء والاجداد ولسنا وحدنا في نضالنا .

ففي لبنان نخبة لها شأنها من كبار رجال السياسة انفسهم الذين قاموا بدور كبير في الانتصارات التي احرزها لبنان في عهده الاستقلالي هذا نوابا وزعماء وكثابا وشعراء وادباء وصحافيين والوفا من العمال التقدميين والفلاحين الواعين والشباب يؤمنون ان الحرية كانت ويجب ان تبقى طابع لبنان الاساسي .

وجميع اللبنانيين يدركون ان قضية الحرية ليست قضية حزب او هيئة او كتلة بل هي قضية الشعب اللبناني كله قضية الاستقلال والسيادة في الحاضر والمستقبل .

ان لبنان الذي ربح معركة الجلاء ومعركة الاستقلال بفضل وقوفه منذ البدء في جبهة الحرية ضد الطغيان والفاشيسية سيبقى ابدا في جبهة الحرية .

برنامج انتخابي

في ايار ١٩٤٧ خاض الشهيد الانتخابات في محافظة جبل لبنان منفردا ، وبالرغم من الضغط والتزوير والارهاب . فقد نال اكثر من ١٣ الف صوت ، وفيما يلي نص للبرنامج الذي خاض الانتخابات على اساسه :

ايها المواطنون

ان هذا البرنامج الذي اتقدم به اليكم ليس وليد المناسبة الانتخابية ، بل هو البرنامج الذي ما زلت اناضل لتحقيقه منذ خمسة عشر عاما في مختلف ميادين الكفاح الوطني .

وليس المقعد النيابي في نظر الوطني المخلص سوى منبر من منابر النضال لاجل خدمة الشعب وصون حقوق الوطن :

١ - الدفاع عن استقلال لبنان وكيانه وسيادته الوطنية ونظامه الجمهوري ومنع كل تدخل اجنبي في شؤونه ، وانتهاج سياسة لبنانية مستقلة تجاه جميع الدول الاجنبية ، قائمة على ميثاق الامم المتحدة ، مع اتباع سياسة صداقة وتضامن تجاه الشعوب العربية في نضالها من اجل الجلاء والاستقلال .

- ٢ - تحرير الدستور اللبناني من بقايا الانتداب وتعديله بروح ديمقراطية وفقاً لحاجات البلاد وتطورها مع تعديل قانون الانتخاب وجعله على أساس التمثيل النسبي .
- ٣ - المساواة بين جميع اللبنانيين على اختلاف اديانهم وعناصرهم وتمتين روابط الاخاء والتضامن .
- ٤ - النضال لتوطيد الديمقراطية وتأمين الحريات العامة والفردية وفي مقدمتها حرية الصحافة ، مع الغاء التعتيل الاداري، وحرية الاجتماع والكلام وحرية الجمعيات والنقابات والاحزاب واحترام عقائد المواطنين الدينية .
- ٥ - تنظيم شؤون الادارة بروح ديمقراطية ومحاربة المحسوبية والسهر على تسهيل مصالح المواطنين واحترام استقلال القضاء ونشر العدل .
- ٦ - حماية موارد لبنان وثروته الطبيعية مع استثمارها لمصلحة الشعب ورفي البلاد والعمل على تقوية الانتاج الوطني بخلق نهضة اقتصادية قائمة على ترقية الزراعة والصناعة الوطنية وتنشيط التجارة وحماية الرأسمال الوطني من المزاخمة الاجنبية، واعادة النظر في امتيازات الشركات الاجنبية للحد من استثمارها وسيطرتها .
- ٧ - استخدام مياه الانهر اللبنانية لتعميم الكهرباء والري في جميع المناطق ، والعمل على ايجاد اسواق خارجية صالحة لتصدير الفائض من الانتاج الزراعي .
- ٨ - العناية بأحوال الفلاحين اللبنانيين ورفع مستواهم المادي والمعنوي ، وامدادهم بالمساعدات المالية والفنية لتحسين ارضهم وترقية انتاجهم ، وانشاء مدارس زراعية حديثة كافية .
- ٩ - اعادة النظر بالانظمة المالية واصلاح ضريبة الدخل وتوزيع الضرائب توزيعاً عادلاً يتناسب مع قدرة المكلفين ، والغاء كل ضريبة عن الحد الادنى المعقول الضروري للمعيشة .
- ١٠ - العناية الجدية بموسمي الاصطياف والاشتاء وايجاد الوسائل الضرورية لتحسين المناطق الصالحة لهما مع ترقية المواصلات وتوسيع شبكة الطرقات في جميع المناطق اللبنانية .

١١ - تطبيق قانون العمل تطبيقاً صحيحاً، مع السعي لتعديله
تعديلاً ديمقراطياً منطبقاً على أحوال البلاد وإيجاد التأمين الاجتماعي
العصري .

١٢ - تنشيط التجارة وتسهيل سبل التبادل التجاري
خصوصاً مع الاقطار العربية والعناية بحالة صغار التجار وتوزيع
النقد النادر توزيعاً عادلاً وفقاً للمصلحة العامة .

١٣ - زيادة المدارس الرسمية وتعميم التعليم المجاني في
القرية والمدينة ، وإنشاء جامعة وطنية رسمية .

١٤ - مكافحة الفلاء والبطالة بوسائل عملية قائمة على الدرس
وعلى خلق نهضة اقتصادية عامة .

١٥ - العناية بالصحة العامة في القرية والمدينة وإكثار
المستشفيات المجانية ومراكز المعاينة الحكومية في جميع المناطق
وتأمين الأدوية اللازمة للجميع .

١٦ - تحسين أحوال المعلمين في المدارس الرسمية والخاصة
والعناية بصغار الموظفين والمأمورين وتعزيز شأن المثقفين ورجال
الفكر والاهتمام بالتربية البدنية وتشجيعها .

١٧ - حماية العائلة اللبنانية من الجهل والامية ورفع مستوى
المرأة واعطاؤها حقوقها لتحسين القيام بقسطها في خدمة وطنها .

ثفتنا بمستقبل بلادنا

في القسم الثاني من شهر نيسان ١٩٤٧ ، عاد خالد بكداش وفرج الله الحلو من لندن حيث حضرا ، بصفة ضيوف ، مؤتمر الاحزاب الشيوعية في الامبراطورية البريطانية . وقد زحفت جموع غفيرة من سورية ولبنان لاستقبال القائدين الكبار في بيروت . وفي هذه الجموع القى فرج الله الحلو خطابا قال فيه:

ان هذه العواطف الاخوية التي تبدونها نحونا انا وصديقي خالد بكداش ، والتي نقدرها كل التقدير ، انما هي في الواقع تعبير عن تعلقكم باستقلالكم ونظامكم الجمهوري ، هذا الاستقلال الذي كان الشيوعيون من اشد المناضلين لبلوغه ، وهم اليوم من اشد المدافعين عنه .

لقد كنا شديدي الاعتزاز بما احرزه لبنان وسوريا من جلاء القوات الاجنبية عن اراضيها ، وكنا شديدي الاعتزاز ايضا بجمهوريةنا العربيتين الفتيتين ، واننا نعود اليوم من اوروبا ونحن اشد اعتزازا بوطننا ، واغوى ثقة بمستقبل سورية ولبنان والاقطار العربية .

الاهمية الدولية لاستقلال سورية ولبنان

لقد خفق قلبي ، كما لم يخفق من قبل حين دوى في مؤتمر الحزب الشيوعي البريطاني هتاف مندوبي ثلاثين حزبا شيوعيا في اوروبا واسيا واميركا وافريقيا لاسم سورية ولبنان ، اول بلدين عربيين تحررا من الاحتلال العسكري الاجنبي .

لقد تبين لنا ان استقلال سورية ولبنان ليس عزيزا على قلب الشعبين السوري واللبناني فقط ولا على قلوب الشعوب العربية فحسب ، بل هو عزيز ايضا على قلوب جميع الديمقراطيين والتقدميين في اوروبا .

ان في اوروبا قوى ديمقراطية هائلة لن تستطيع اية قوة بعد اليوم ان توقف سيرها او ان تعيدها الى الوراء .

ان هذه القوى تعتبر ، مثلنا ، ان المحافظة على الجمهوريتين السورية واللبنانية ، وان تأييد الاقطار العربية الاخرى في نضالها لاجل الجلاء والاستقلال ، انما هو جزء من المعركة لاجل السلام والديمقراطية في العالم .

وقد كان احسن تعبير عن موقف هذه القوى الديمقراطية ذلك القرار التاريخي الذي وافق عليه مندوبو الاحزاب الشيوعية في الامبراطورية البريطانية في شجب الصهيونية والاستعمار وتأيد استقلال فلسطين وحررتها وجلاء الجيوش البريطانية عنها ووقف الهجرة اليها .

شعارنا في الانتخابات

ثم تحدث الشهيد عن الانتخابات فقال : لقد كنا نخوض المعركة الانتخابية نحن واصدقاؤنا الديمقراطيين تحت شعار النضال لاجل الاستقلال والجلاء . وسيكون شعارنا في هذه المعركة ايضا الدفاع

عن الاستقلال والجمهورية .

واذا كانت هناك اوساط اجنبية ورجعية داخلية تحاول ان تجعل من المعركة الانتخابية وسيلة لتفريق صفوف اللبنانيين ، او لجعلها نزاعا بين كتل متطاحنة على المقاعد ، او اثلافا بين كتل متهاكمة على المقاعد ، فنحن الشيوعيين نريدها وسيلة لضم جميع القوى الوطنية الصحيحة والعناصر الوطنية السليمة في صف واحد ضد القوى الرجعية الاجنبية والداخلية التي تسعى لاعادة الاحتلال الى لبنان وسورية .

الى الاتحاد والتضامن لصون الاستقلال والجمهورية

ان الظروف التي اقتضت في الماضي ان يتحد اللبنانيون لبلوغ الاستقلال والجلء تقتضي اليوم اكثر من اي وقت آخر ان يتحد جميع الوطنيين الصادقين لاجل صون الاستقلال والجمهورية والسير الى امام في طريق الديمقراطية والحرية وتأمين العيش للشعب .

(نشر في « صوت الشعب » العدد ١٢٨٣ ، بتاريخ ٢٢ نيسان ١٩٤٧)

يوم الاسود في تاريخ لبنان

نشر في العدد ١٤٠٨ من صوت الشعب بتاريخ
٢٧ ايار ١٩٤٧ .

لم يكن ما جرى في لبنان ولا سيما في بيروت يوم الاحد
الفات ٢٥ ايار ١٩٤٧ ، انتخابات نيابية ، بل كان اعتداء صارخا
على الحرية ، ومخالفة صريحة لابطس مبادئ الديمقراطية .
وقد ارادوا ان تكون بيروت وهي عاصمة هذه الجمهورية
العربية العزيزة مسرحا لهذه المهزلة المأساة، مهزلة الانتخابات ومأساة
الحرية .

ومن اسف ما يؤسف الوطني اللبناني العربي ان يجري ذلك في
اول انتخابات تجري في لبنان بعد الاستقلال والجلء ، في عهد
حكومة يرأسها رجل ذو ماض معروف في النضال الوطني العربي ،
وفي العمل من أجل تنظيم التعاون وتوطيده بين لبنان وشقيقاته
العربيات وقد ذاق هذا الرجل بنفسه الارهاب والاضطهاد والتزييف

سنة ١٩٣٧ عهد الانتداب والاستعمار .

فلقد كان الوطنيون الديمقراطيون العرب رغم كل اعتبار ،
ويصرف النظر عن كل شيء ، يحترمون ماضي هذا الرجل ويرون
في ذلك الماضي نوعاً من الضمانات او بعض الضمانات لاجل
المستقبل . ولم يكن يخطر في بال اشدهم حذرا واكثرهم معرفة
بالناس وبالايام ان تنقطع الصلة بين ماضي رياض الصلح وحاضره
بمثل هذه السرعة وبمثل هذه المفاجأة . وان ينقلب بين عشية
وضحاها ذلك الانقلاب السريع الغريب ، فينبذ ماضيه ويهزأ بكثير
من الشباب العرب الذين كانوا لا يزالون يثقون به ولا يريدون ان
ينفضوا يدهم منه .

اننا نقول هذا والالم يحز في نفوسنا . والمرارة تملأ قلوبنا ،
لاننا لبنانيون ، ولاننا عرب ، ولاننا وطنيون ديمقراطيون ، ولاننا
فخرون بلبنان العربي الجمهوري معتزون باستقلاله وتحرره من
الاحتلال الاجنبي وحريصون على الاتجاه الجديد الذي ينهجه في
سياسته العربية بعد دخوله عهد الاستقلال ، ونريد ان يتابع لبنان
طريقه في اتعاون العربي ، وان يكون قدوة للاقطار العربية ومثالا
في الديمقراطية والتقدم ، وعونا لها وسندا في نضالها من اجل
استقلالها وتحررها .

صحيح ان التدابير الارهابية وأعمال التزييف في الانتخابات
قد حملت الى المجلس النيابي رجالا بينهم نفر لا جدال في انهم
يمثلون كل شيء الا الشعب اللبناني ، ولا يهمهم من لبنان لا استقلاله
ولا جمهوريته ولا مصلحة شعبه او حقوق جماهيره . وصحيح ان
تلك التدابير قد ابعدت عن المجلس النيابي رجالا يحملون شعار
الدفاع عن استقلال لبنان وعن نظامه الجمهوري ، ويحملون في
قلوبهم حب الشعب واحترامه والرغبة الصادقة في خدمة مصالحه
واحقاق حقوقه .

ومن يعد نظره قليلا الى وراء ويتذكر المساعي النشيطة التي
كان يبذلها عملاء الاستعمار البريطاني والاميركي اثناء تأليف القوائم
الانتخابية ، بقصد ابعاد هذا وادخال ذاك من المرشحين يدرك الان ان
لهم يدا مشجعة في ما جرى من تزييف وضغط وارهاب لانجاح

فريق من المرشحين الذين يعلقون عليهم الامال في تنفيذ مشاريعهم وتسهيل تغلفهم الاقتصادي ، وسيطرتهم السياسية في البلاد .
واذا كان لا جدال ولا نقاش في ان بين مرشحي القوائم التي زورت الانتخابات من اجلها نفرا كانوا ولا يزالون خدام الاجنبي واتباعه وحربا على الاستقلال والحرية ، فلا جدال ايضا ولا نقاش في ان بين مرشحي القوائم التي حوربت وزورت ضدها الانتخابات رجالا كانوا في طليعة من ناضلوا في سبيل الاستقلال والجلء ولا يزالون في طليعة من يدافعون عن الاستقلال والجمهورية ولا يستطيع رياض الصلح او غيره ان يجادل في ذلك أي جدال .

ولكن ليس هذا هو اكبر ما يؤسف الوطنيين الديمقراطيين ، ولا هذا اهم ما يثير احتجاجهم واستيائهم ويبعث المرارة في نفوسهم .
فما جرى في لبنان يوم ٢٥ ايار لم يكن موجها ضد حزب معين او جماعة معينة من المرشحين ، ولم يكن مبعثه التصادم بين مبدأ اجتماعي او عقيدة سياسية وبين مبدأ آخر او عقيدة . ان ما جرى في لبنان كان اعتداء على الاستقلال ، وتشويها لسمعته وانتقاصا من قيمته ومن قيمة الجلء . ان ما جرى في لبنان لم يكن طعنة في صميم استقلال لبنان وحده ، بل كان طعنة في صميم الحركة الوطنية العربية التي تناضل في العراق ومصر وفلسطين لاجل الجلء والاستقلال .

فيوم ٢٥ ايار قد اعطى الاستعمار الاجنبي سلاحا ثمينا يبرر به في نظر العالم استمرار احتلاله لمصر والعراق وفلسطين ، ورفضه التسليم باستقلال هذه الاقطار . وما جرى في لبنان يوم ٢٥ ايار ، كان سلاحا في يد دعاة سوريا الكبرى ومشاريع الاستعمار الموجهة ضد استقلال لبنان واستقلال سورية ، بقصد اعادة الاحتلال والسيطرة الاجنبية المباشرة الى هذين القطرين العربيين .

وهل اتاكم يا دولة رئيس الحكومة اللبنانية ما سارع راديو لندن الى اذاعته من ان الانتخابات في لبنان قد جرت في ظل الضغط والارهاب فكانت كأنها التعيين لا الانتخابات ؟ فكم هو ثمين هذا السلاح الجديد الذي وضعتموه في يد المستعمرين

الاجانب ليحاربوا به استقلال لبنان وسورية ، وليحاربوا به ايضا نضال العرب الاخرين في سبيل استقلالهم وحريتهم .
فهل هذا ما قصدتموه ، او هل قصدتم ان تشوهوا الاستقلال والجلء في نظر الشعوب العربية المناضلة لاجل الاستقلال والجلء ؟
كنا حين نقرا او نسمع ان الانتخابات قد زيفت في مصر او العراق او اي قطر غير مستقل ، نقول هناك الاستعمار والاحتلال الاجنبي . وكانت الانتخابات تزيف في لبنان ايام سيطرة الاجنبي المباشرة ، وكانت كثيرا ما تجري في ظل الرشاشات والعصي والضغط والارهاب . وكان الشعب اللبناني يريد ان يجعل من اول انتخابات تجري في عهد الاستقلال والجلء ، انتخابات انموذجية في احترام الحرية ، وفي فهم الديمقراطية فاذا بحكومة رياض الصلح تجعلها انتخابات انموذجية في الضغط والارهاب والتزيف ومخالفة القوانين المرعية .

لقد تحدثنا وتحدث غيرنا من المواطنين اكثر من مرة مع رئيس الحكومة بصدد التدخل الحكومي في الانتخابات ، وقلنا ان الشعب يشعر بقلق شديد على الحرية من جراء ما يرى من بوادر الضغط والتدخل . وقد كان رئيس الحكومة رياض الصلح يؤكد انه ساهر على حرية الانتخابات وانه يريد ان يجعلها اكثر الانتخابات حرية . فماذا يسمى رياض الصلح ما حدث في بيروت من تسخير كل جهاز الدولة وقواتها المسلحة لاجل خدمة لائحة انتخابية خاصة ، ضد جميع اللوائح والمرشحين ؟ وماذا يسمى دولته اطلاق النار على الناخبين وسفك دماء الابرياء ، والاعتداء على المرشحين ، ومنع الناخبين بقوة البوليس من الدخول الى صناديق الاقتراع الا اذا كانوا يريدون التصويت لتلك القائمة الخاصة ؟

وماذا يسمى دولته اعمال الضغط والاعتداء التي جرت في مناطق لبنان الاخرى ، كمنع الناخبين بالقوة من الدخول الى قاعة الاقتراع ، واخراج المراقبين بالقوة منها حين فتح الصندوق وفرز الاوراق ، وهو امر يخالف مخالفة صريحة قانون الانتخاب في لبنان وكل عرف ديمقراطي في العالم ؟

ان القول بان رياض الصلح ليس وزيرا للداخلية ، لا ينفي عنه

شيئا من المسؤولية ، لانه رئيس الحكومة ، ورئيس الحكومة هو المسؤول الاول .

بل ان هذا القول الذي يراد منه التنصل من المسؤولية ، هو بذاته اعتراف بفضاعة ما حدث يوم ٢٥ ايار في بيروت ثم في بقية المناطق .

تقد قلم يا دولة الرئيس لو قد جاءكم احتجاجا على اعمال الاعتداءات التي يقوم بها حزب الطاشناق ، ان الحالة في لبنان لا تزال احسن من اليونان . فهل كنتم تريدون ان يصبح لبنان كاليونان حتى تعترفوا بسوء حالته ؟

وها هي انتخابات ٢٥ ايار قد جعلت الفرق قليلا جدا بين لبنان واليونان مع العلم ان هناك فرقا وحيدا وهو ان اليونان لا يزال يحتلها جيش اجنبي ، بينما تحرر لبنان من كل احتلال عسكري .

ولعل رياض الصلح يقول اليوم ان لبنان في كل حال ، لا يزال احسن من اسبانيا وتركيا ، او احسن من المانيا وايطاليا ايام هتلر وموسوليني ، ولكن ما دامت هذه مقاييس رئيس الحكومة اللبنانية وما دام دولته يعتبر ان انتخابات بيروت جرت في جو الحرية ، وانتخابات الجبل وغيره من المناطق كانت قانونية فمن يضمن لنا ، اذا استمرت هذه المقاييس ، ان لا يصبح لبنان اسوا حالا من اليونان ومن تركيا ومن اسبانيا ، وان لا يعود الى ابشع من الاحتلال والانتداب ؟

ولكن الشعب اللبناني الذي كافح الانتداب وتحرر من الاحتلال الاجنبي سيعرف ، باتحاد ابنائه وتضامنه مع الشعوب العربية ، ان يصون استقلاله ونظامه الجمهوري ، وان يناضل بنجاح ضد مشاريع الاستعمار وتدخله ويتابع السير في طريق التقدم والديمقراطية والحرية .

(نشر في العدد ١٤٠٨ من « صوت الشعب » في ٢٧ ايار ١٩٤٧) .

الولايات المتحدة واستقلال الشعوب العربية

نشر في « صوت الشعب » بتاريخ ١٧ تشرين
الاول ١٩٤٧ .

يتتبع العرب في جميع اقطارهم ، بانتباه واهتمام ، مناقشات مجلس الامن الدولي في قضية شكوى مصر على بريطانيا ، لان جميع الوطنيين العرب ، على اختلاف احزابهم واتجاهاتهم ، يرون في فوز مصر بأمانيتها الوطنية ، وفي تحقيق سيادتها وجلاء الجيوش الاجنبية عنها ، اعظم انتصار تحرزته القضية الوطنية في كل قطر عربي . فتحرير مصر من الاستعمار هو فاتحة مرحلة جديدة في تاريخ الشرق العربي نحو تعزيز السلم ، وتحقيق التقدم والرفي الديموقراطي السياسي والاجتماعي والاقتصادي والفكري .

وبصرف النظر عما يمكن ان يكون اتجاه قرار مجلس الامن وطبيعته ، فمن الواضح ان تلك المناقشات قد اظهرت لجميع العرب اشياء جديدة ، وعلمتهم دروسا هامة ، وفتحت عيونهم على حقائق كانوا لم يروها بعد ، او كانوا غير متأكدين منها .

ولسنا نعني فقط بهذه الاشياء والحقائق والدروس الموقف

النبيل الكريم الذي وقفه الاتحاد السوفياتي في تأييد مطالب مصر الوطنية تأييدا لا تحفظ فيه ، فاثبت مرة اخرى تمسكه بمبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها ، والتمتع باستقلالها وسيادتها ، كما ليس قصدنا فقط اظهار الموقف الذي وقفته بولونيا احدى الديمقراطيات الشعبية الجديدة في اوروبا الشرقية ، لسنا نريد هنا ان نشير الى ذلك فقط ، على ما في ذلك من اهمية لمصر وللشعوب العربية كلها ، بل نريد ايضا ان نشير الى مواقف بعض الدول الاخرى المشتركة في مجلس الامن، ولا سيما موقف الولايات المتحدة الاميركية ، فقد كان عرض قضية مصر على مجلس الامن الدولي مناسبة اضطرت هذه الدولة ان تكشف القناع عن وجهها الاستعماري ، الذي ظلت حينما طويلا من الدهر تستره بطلاء من ادعاء الديمقراطية الزائفة ، والحرص على حرية الشعوب .

لقد حاولت الولايات المتحدة ، اولا ان تمنع مصر من عرض قضيتها على مجلس الامن ، وسعت الى اقناعها بضرورة التفاهم مع انكلترا والتساهل معها ، وقبول احتلالها لمصر . وقد فضح مكرم عبيد باشا هذه المحاولة الاميركية في تصريح علني نشرته الصحف في حينه .

ولما لم تجد حكومة النقراشي بدا ، تحت ضغط النضال الوطني المتعظم ، من قطع المفاوضات وعرض القضية على مجلس الامن ، كانت الولايات المتحدة الاميركية في هذا المجلس سندا لبريطانيا على مصر ، وسعت وما زالت تسعى لانقاذ موقف الاستعمار البريطاني واخراجه من المأزق ، وقد اتخذت خطة لها الى تحقيق ذلك محاولة العودة الى استئناف المفاوضات بين مصر وبريطانيا ، اي ارجاع قضية مصر الى وراء ، واعطاء انكلترا فرصة جديدة لاطالة امد احتلالها لمصر بأمل تثبيت مواقعها المهددة بالانهيار .

وقد ذكرت البرقيات ان مندوب البرازيل الذي تقدم باقتراح يرمي الى العودة للمفاوضات بين بريطانيا ومصر ، قد فعل ذلك بوحي من اميركا ، حتى لقد قيل ان صيغة الاقتراح البرازيلي الذي رفضته مصر بتاتا قد وضعت في وزارة الخارجية الاميركية .

وقد جارت الدول الاخرى التي تتأثر بسياسة اميركا الاتجاه الاميركي في القضية المصرية ووقفت منها الموقف الذي امسلاه الاتجاه الاميركي ، لا الموقف الذي يتلاءم مع نصوص ميثاق الامم المتحدة وروحه ، ومع الحق والعدل . ومن يمعن النظر قليلا يرى ان سلوك الولايات المتحدة لا يعود الى المصادفة ، وليست هي المرة الاولى التي تقف فيها حكومة ترومان هذا الموقف المعادي لاماني العرب وحقوقهم . فالسياسة الاميركية الرجعية قد ايدت الصهيونية في فلسطين دائما وتحمست حماسة هائلة في دعم مطالبها ومطامعها العدوانية . وقد كان بعض الناس ينسبون ذلك الى ضرورات السياسة الاميركية الداخلية القائمة احيانا على التزلف لليهود في اميركا باعتبارهم قوة انتخابية لهاشأنها ووزنها . ولكن الحوادث كلها بينت ان تفسير تأييد اميركا للصهيونية باعتبارها انتخابية فقط ، تفسير خاطيء وغير كامل . وقد دلت السياسة التي اعلنها الرئيس ترومان ، في خطابه الشهير حول «مساعدة» اميركا لليونان وتركيا ، ان السياسة الاميركية الصهيونية ليست سوى جزء من مشاريع التوسع الاميركية في هذا الشرق العربي خاصة والشرق الادنى بصورة عامة

فالشركات الاحتكارية الاميركية التي تريد السيطرة على مصادر الثروة الكبرى في البلاد العربية وعلى اسواقها . ترى ان افضل السبل الى ذلك هي دعم موقف الاستعمار الانكليزي ، ومساعدته على الاحتفاظ باحتلاله العسكري لهذه الاقطار ، واستخدام ذلك لمصلحة الشركات الاميركية الاحتكارية والتوسع الاستعماري الاميركي . صحيح ان هناك تناقضا شديدا بين المصالح الاستعمارية الاميركية والانكليزية ، وهذا التناقض يسير في طريق النمو . ولكن هذا التناقض لا يصل في الظروف الحاضرة الى درجة ان تحاول اميركا اخراج الانكليز من الاراضي التي يحتلونها ، والحلول محلهم عسكريا ، ذلك لان ابدال احتلال باحتلال ، في الوقت الحاضر امر دونه صعوبات ومشاكل دولية خطيرة تجعله غير ممكن .

فخطة الاستعمار الاميركي هي المحافظة على بقاء القوات

الانكليزية في الاراضي التي تحتلها واستخدام هذه القوات لاجل بسط النفوذ الاميركي الاقتصادي والسياسي، على تلك الاراضي. والرجعية الاستعمارية الانكليزية التي لم يبق في استطاعتها المحافظة على امبراطوريتها الواسعة بقواها وحدها ، تتنازل لزميلتها الاميركية ، كرها او طوعا ، عن كثير من امتيازاتها بل عن معظم هذه الامتيازات .

كما ان الجماعات العسكرية الاميركية دعاة الحرب على الاجمال، يدعمون المواقع العسكرية التي يحتلها الانكليز في اقطار الشرق الاوسط ، بقصد استخدامها كوسيلة ضغط وتهديد ضد شعوب هذه الاقطار وضد حركات التحرر الوطني فيها ، وكوسيلة ضغط وتهديد ضد الاتحاد السوفياتي وضد الدول الديموقراطية الجديدة في البلقان واوروبا الشرقية .

فتأييد الاميركان للصهيونية في فلسطين ، ولبقاء الاحتلال الانكليزي في مصر ، ليس في الواقع سوى استمرار لسياستهم التي تؤيد الرجعية الملكية اليونانية ضد حرية الشعب اليوناني ، والرجعية التركية ضد الشعب التركي ، وتركيا و « الكتلة الشرقية » ضد حرية الشعوب العربية وضد السلام العام في الشرق الادنى . من هنا يتبين خطر موقف بعض الفئات وبعض رجال السياسة الذين يحاولون في لبنان ام في سوريا ام في مصر ام في غيرها من الاقطار العربية ، الاتجاه نحو اميركا بأمل ايهام جماهير الشعب انهم يفعلون ذلك لكسب تأييدها ضد انكلترا . فمحاولة استغلال التناقض الاميركي الانكليزي او الاعتماد على هذا التناقض لمصلحة الحركة الوطنية والنضال الوطني ، محاولة فاشلة وضارة ، لانها تؤدي في الواقع الى الارتقاء في حضيض الاستعمارين معا .

ولكن التواطؤ الاستعماري الانكلوسكسوني في الشرق لا يعني ابدا ، انعدام امكان النضال ضد الاستعمار ، كما يزعم الانهزاميون وعملاء الاستعمار . فالحركة الوطنية العربية ، لها من القوى المحالفة في العالم ما يفوق قوة التواطؤ الاستعماري الانكليزي الاميركي وما يكفي لفتح هذا التواطؤ ودحره . وكما استطاع لبنان وسوريا بفضل نضالهما ، وبفضل تضامن الشعوب العربية معهما ، وتأييد القوى

الديموقراطية في العالم لهما ، ان يحبطا التواطؤ الانكليزي – الفرنسي المدعوم بالتواطؤ الاميركي في مجلس الامن، تستطيع مصر ، اذ اثبتت وناضلت ان تحبط كل مؤامرة استعمارية على حقوقها واستقلالها مهما كان مصدرها ، ومهما كانت القوة التي تدعمها .

ومما لا ريب فيه ان الجماهير اللبنانية والجماهير العربية على الاجمال ، لم يبق من السهل خداعها وتضليلها حول موقف الولايات المتحدة من قضايا لبنان وقضايا العرب الاستقلالية والوطنية . ففي موقفها من فلسطين ، وفي موقفها الاخير من قضية مصر في مجلس الامن عظة وعبرة . والمناضلون المخلصون من اجل حريتهم واستقلالهم ليعظون ويعتبرون ، ويتخذون العدة لمقاومة خصومهم وخصوم حريتهم واستقلالهم .

الثقافة والسياسة

(على هامش المؤتمر الثقافي العربي في بيت مري)

بحث كتب في ٧ ايلول ١٩٤٧

لقد رحب لبنان بانعقاد المؤتمر الثقافي العربي الاول في ربوعه ، وعد ذلك تقديراً من رجال الفكر العربي لمكانته الفكرية والثقافية ، ولما لإبنائه من اياد بيضاء على اثقافة العربية واللغة العربية والفكر العربي .

غير ان هذا المؤتمر الذي عقد ليكون ، في الدرجة الاولى ، مظاهرة للتعاون والتضامن بين رجال الفكر العربي ، جرت وتجرى فيه اشياء لا تنسجم مع الغاية التي عقد من اجلها ، ولا مع المصلحة العامة المتوخاة من ورائه . ولسنا نريد هنا ان نشير الى اختلاف بعض وجهات النظر حول بعض الامور الثقافية او العلمية المعينة . فطبيعي ان يقع اختلاف في الاراء في مؤتمر ثقافي واسع كهذا المؤتمر ، ولا سيما انه الاول من نوعه . ولكننا نريد ان نشير الى امر واحد ، ونشير اليه بأسف ، وهو ان احد اعضاء الوفد اللبناني قد عارض بارسال برقية الى الامم المتحدة او الى مجلس الامن بتأييد قضية فلسطين وقضية مصر ، وحجة المندوب اللبناني ان المؤتمر « ثقافي بحث » ، وتعرضه لمثل هذه الاشياء يخرجها عن

غايتة الرئيسية والتي هي ثقافية ، ولا دخل لها في السياسة .
الحق انه موقف مستغرب ومؤسف معا . نحن من انصار
تنزيه الفكر والثقافة ومنع استغلالهما وتسخيرهما للاغراض الحزبية
او السياسية .

ان امتناع المثقفين العرب عن نصره دولة عربية ضد الاستعمار،
امر غريب عن الثقافة والفكر على الاطلاق ، بل هو هذا الامر الذي
يخرج بالمؤتمر عن هدف رئيسي عظيم من اهدافه ، وهو تحرير الفكر
العربي والثقافة العربية من القيود التي تكبلهما ، ومن العقبات التي
تعرقل تطورهما وتقدمهما وريقيهما واتساع افاقهما . وهل هناك
قيد او عقبة اشد وطأة على الثقافة والفكر من الاستعمار ؟

لا يستطيع مثقف واحد ، ولا سيما ان كان مؤرخا ، ان لا
يعترف بان الاستعمار الاجنبي هو السبب الاول في انتشار
الجهل والامية في الاقطار العربية ، وفي مصر بصورة خاصة ، وبأن
الاستعمار الذي يعانيه هذا القطر الشقيق هو اشد انواع الاستعمار
الذي عرفته البلدان العربية . فاذا كانت غاية المؤتمر الثقافي العربي
هي حصر الثقافة والتضييق عليها ومنع انتشارها ، فالمندوب
اللبناني اذن على حق في رفضه تأييد قضية مصر وقضية فلسطين
ضد الاستعمار الانكليزي . اما اذا كانت غاية المؤتمر توسيع السبل
لانتشار الثقافة ، ورفع مستواها ، ومحاربة الامية والجهل ورفع
مكانة الفكر في المجتمعات العربية ، فقد كان من واجب الوفد اللبناني
كله ، اذا كان حقا يريد تمثيل لبنان المثقف الحقيقي ، ان يكون اول
من يؤيد مصر وفلسطين والعراق وطرابلس الغرب وافريقيا الشمالية
واندونيسيا وجميع الشعوب المستعمرة ضد الاستعمار .

لقد وقف كبار المثقفين العالميين في الحرب الاخيرة الى جانب
القوى الديمقراطية ضد الفاشيستية باعتبارها اكبر الافات التي
تهدد الثقافة والفكر . وكذلك أيد معظم المثقفين اللبنانيين جبهة
الحرية على جبهة الفاشيستية . (ونعتقد ان المثقف اللبناني الذي
عارض تأييد المؤتمر الثقافي العربي لقضية مصر وفلسطين ، كان
ايضا بين اولئك المثقفين اللبنانيين الذي ايدوا جبهة الديمقراطية
على المحور) .

فهل خرجت الثقافة والفكر في موقفهما ضد الفاشيستية على اغراضهما واهدافهما ، وهل يستطيع احد ان يفهمهما بأنهما اصبحا مطية لسياسة ؟

كلا ! بل تصح هذه التهمة على المثقفين الذين عاشوا الفاشيستية وساروا في ركابها ، فهم الذين خانوا رسالة الثقافة وسخروها لاغراض سياسية واستعمارية .

وبعد ، ألم تكن وراء موقف المندوب اللبناني دوافع سياسية وعوامل سياسية حدثت به الى اتخاذ موقفه ذاك ؟

ولكي تقرب المسألة الى الافهام نقول : لو كان هذا المؤتمر معقودا في مصر ، وكانت القضية المطروحة على مجلس الامن قضية لبنان وقد وقف احد اعضاء الوفد اللبناني او غيره فاقترح ارسال برقية الى الهيئة الدولية بتأييد قضية لبنان ضد الاستعمار ، اكان يمكن ان يكون في اعضاء الوفد اللبناني من يعارض ذلك بحجة ان المؤتمر ثقافي بحت ، ولا يجوز اخراجه عن اهدافه ؟

وماذا يكون موقف الوفد اللبناني لو قام احد المصريين وعارض تأييد المؤتمر لقضية لبنان ؟

لا شك ان كل لبناني كان سيعتبر على ذلك المندوب ، ومن حقه ان يعتب ، وآكان لوفد اللبناني اشد الوفود احتجاجا ، ولكان جميع المثقفين العرب يشجبون موقف المندوب المصري .

اقدس مهمات الثقافة النضال لاجل الحرية

نحن كלבنايين يعقد المؤتمر الثقافي العربي الاول تحت سماننا ، كنا نود ان يتخذ المؤتمر الثقافي اتجاها واضحا صريحا في تأييد قضايا الشعوب العربية الوطنية الاستقلالية ، كقضايا الجلاء والاستقلال ، وان لا يكون في ذلك اي تحفظ ، لان اقدس مهمات الثقافة هي النضال لاجل الحرية ، حرية الافراد وحرية الشعوب . الثقافة تنمو وتزدهر في هذا النضال . وكل محاولة لتحديد اهداف اخرى للثقافة اهم من تحرير الافراد والشعوب ، ليست سوى سخافة ، وسخافة خطيرة تجب محاربتها .

(نشر في « صوت الشعب » ٧ - ٨ ايلول ١٩٤٧) .

لابد من تعاون عربي

فاما ان يكون تعاونا لاحباط مشاريع الاستعمار
الموجهة ضد استقلال لبنان والعرب وحررياتهم،
واما ان يكون تعاونا مع الاستعمار وعمالته من
الرجعيين العرب . فاختاروا اي الطريقين
تسلكون !

بحث نشر في صوت الشعب في ١٣ ايلول ١٩٤٧

نشر بعض الصحف في الاسبوع الفائت صورة مذكرة او
عريضة قالت ان الاستاذ امين نخله قدمها للحكومة اللبنانية
باعتباره نائبا عن جبل لبنان . وليست غايتنا هنا التعرض
لمجموع ماجاء في تلك المذكرة، بل نريد ان نقف قليلا عند عبارة وردت
فيها تقول ان ليس « في صالح لبنان ولا من مقومات استقلاله
ان تلتصق قضايانا الداخلية والخارجية بقضايا بعض الاقطار
العربية » . ولكن المذكرة لا تشير الى واحدة من هذه القضايا
الداخلية او الخارجية .

وفي الحق لسنا ندري ماذا عنى الاستاذ نخله بالضبط في
كلامه عن الصاق القضايا اللبنانية بقضايا بعض البلاد العربية ، او

الصاق بعض القضايا العربية بقضايا لبنان .

غير اننا لا نحتاج الى بحث كثير لنعرف ما هي هذه القضايا . فسورية الكبرى هي في اولها بلا ريب ، ثم قضية فلسطين ، ثم قضية مصر . وهناك ثالثة الانافي ، مشروع الكتلة الشرقية الذي يتناول اقطار العرب كلها ، وبعض اقطار الشرق الادنى الاخرى . فهل يجوز للبناني ، مهما كان رايه في سياسة هذه الحكومة اللبنانية او تلك ، او في سياسة جميع الحكومات العربية ، ومهما كانت الاحزاب القائمة على الحكم هنا او هناك ، ان يعتقد ان سوريا الكبرى مثلاً هي فقط قضية بين الجمهورية السورية ومملكة شرق الاردن وحدهما ، او هي بين الملك عبد الله والاستعمار الانكليزي من جهة ، وبين الجمهورية السورية من جهة ثانية ، وان لبنان لا يعنيه من الامر شيئاً ، وان الحكومة اللبنانية تستطيع ان تقف على الحياد ، او ان تعطف حيناً على هذا الجانب ، وحيناً على ذاك ، حسب تقديرات اعضائها واتجاهاتهم الخاصة . وهل يعتقد لبناني واحد حر التفكير ان قضية فلسطين هي بين عرب فلسطين من جهة ، وبين الصهيونيين والانكلو اميركيين من جهة ثانية ، وليس للبنان في الامر ناقة ولا جمل ؟ .

وهل يقدر لبناني واحد ان يعتقد لحظة ان قضية مصر هي ايضا بين المصريين والانكليز ، ولا دخل للبنان فيها ، وسواء على لبنان ، على قضية استقلاله وحرية وتقدمه الان في المستقبل ، اقيت جيوش الاحتلال الاجنبي جاثمة على صدر ذلك القطر الشقيق ، ام جلّت عنه وتحرر من اثقل قيوده وفتحت امام شعبه امكانيات جديدة لا تحصى للنضال في سبيل الاصلاح والرقى ! وبعد فهل يعتقد انسان يريد ان يحترم الناس وطنيته واخلاصه ان « الكتلة الشرقية » ليست خطراً على استقلال لبنان وكيانه وسلامته وحيائه الاقتصادية وامله في السلم والنهوض والرقى . وهل يعتقد سياسي واحد ان النضال ضد هذا الخطر الاستعماري ممكن بغير التضامن بين لبنان وسورية وسائر الشعوب العربية ؟

كنا نعرف الاستاذ نخله اديباً وكاتباً لبنانياً عربياً ، وما كنا نعرفه من القائلين بفكرة عزل لبنان عن النضال العربي القسام في وجه الاستعمار ومشاريعه .

وليس يهمنا هنا اكان الاستاذ امين نخله كذلك من قبل ، وقد تغير بعد ان اصبحت نائبا في انتخابات ٢٥ أيار . وما كنا لنغير اهتماما كبيرا لما ورد في مذكرة الاستاذ نخله عن «الصاق القضايا» لولا ان فكرة عزل لبنان عن مجموع النضال العربي ، وعن نضال سورية الجمهورية، لا تزال بملء الاسف، فكرة فريق من المواطنين اللبنانيين الذين لا يرون الاخطار الاستعمارية الجسيمة العظيمة التي تهدد لبنان وجوده واستقلاله واقتصاده وحرية . وبدلاً من ان يوجه كل النضال ضد هذه الاخطار ، تراهم يتخذون من كل حادث ، بحق ام بغير حق ، حجة للتهجم على سورية ، او للطمع بمبدأ التضامن والتعاون بين الجمهوريتين وبمبدأ التعاون العربي بصورة عامة .

ولسنا نريد ان نذكر من تلك الحوادث سوى الحملة العنيفة التي قامت على سورية في الاونة الاخيرة في بعض الصحف ولا سيما جريدة « العمل » لسان « الكتائب اللبنانية » حين قاومت سورية توقيع اتفاقية شركة النفط الاميركية . فقد حملت تلك الصحف على سورية وعدت تصرفها موجهة ضد لبنان الذي كانت حكومته سبابة ، بملء الاسف . الى توقيع الاتفاق بشروط سخت فيها مع الشركة الاميركية سخاء عظيم على حساب التفريط بالمصالح اللبنانية ، في حين كان المنطق والوطنية يقتضيان من تلك الصحف اللبنانية والواسط تأييد موقف سورية والتضامن معها ضد الشركة الاحتكارية الاميركية وذلك لمصلحة لبنان ايضا . وقد تبين ان تصلب سورية قد افادها وافاد لبنان ، الذي انفتح المجال لمطالبة الشركة بتعديل الاتفاق وتطبيقه على الشروط التي نالتها سورية .

ان هؤلاء المواطنين اللبنانيين يعرفون ، ولا شك ، بوجود خطر سوريا الكبرى ومشروع «الكتلة الشرقية» الاستعماريين، ويعترفون ايضا او يشعرون بلا ريب، بأن بقاء جيوش الاحتلال الاجنبية في مصر

وبقاء الاحتلال الانكليزي والصهيونية في فلسطين والاحتلال الانكليزي في شرق الاردن والعراق ، خطر دائم يهدد استقلال ويضعف هذا الاستقلال ، ويزيد امكان التدخل الانكليزي في شؤون لبنان وامكان توجيه سياسته الخارجية وحياته الاقتصادية وفقا لمصالح الاستعمار الانكولو اميركي ضد مصالح الشعب اللبناني ومطالبه .

زوال الجمهورية السورية سيتبعه حتما زوال الجمهورية اللبنانية

وهؤلاء المواطنون اللبنانيون يعرفون ويشعرون ان زوال الجمهورية السورية واستقلالها سيتبعه حتما وفي الحال زوال الجمهورية اللبنانية ومحو استقلال لبنان وكيانه كدولة . ويعرفون ايضا بلا ريب ان مشروع الكتلة الشرقية مشروع استعماري من اوله الى آخره ، غايته من الوجهة السياسية ، مهما كان الشكل الذي يسبغونه عليه ، ادخال لبنان وسورية وبقية الاقطار العربية في حلف رسمي شرعي مع انكلترا واميركا ، وربط مصير هذه الاقطار بمصير تركيا واليونان وايران ، وارجاع السيطرة التركية اليها وتوطيد اقدام الاستعمار والسيطرة الاجنبية في هذا الشرق ، ومن الوجهة العسكرية ، اتخاذ هذه الاقطار قواعد عسكرية موجهة ضد الاتحاد السوفياتي الصديق والجار العظيم الامين للشعوب العربية واستقلالها ، وضد دول اوربا الشرقية ذات الديموقراطيات الشعبية التي من مصلحة العرب ان يصادقوها ويدافعوا عنها ، كما تدافع عنهم ، لا ان يدخلوا في مشاريع محالفات او تكتلات موجهة ضدها . كما يعلم هؤلاء المواطنون اللبنانيون ان غاية مشروع الكتلة الشرقية من الوجهة الاقتصادية ، بسط سيطرة الرأسمال الاجنبي على جميع مرافقنا ومواردنا ومصادر الثروة في ديارنا ، والاستيلاء على اسواقنا ، ومحو صناعتنا الوطنية الناشئة ، وخنق تجارتنا ، وارجاعنا مئات السنين الى وراء وتأخير نهوضنا ورقينا وتقدمنا .

ونتيجة هذا المشروع ، فقر وجهل وخضوع لنير اجنبي

جديد ، وكبح النضال الوطني المتصاعد ، وتعريض هذه الديار لتكون مسرحا للحرب العالمية الثالثة التي يهيؤها ويعمل لها المغامرون والرجعيون الاستعماريون في اميركا وانكلترا . وتجدر الاشارة هنا الى ان تحقيق مشروع الكتلة الشرقية مما يقوي عوامل الاسراع في نشوب الحرب ، ومقاومة هذا المشروع مما يساعد على اطالة امد السلم واحباط مؤامرات اعدائه .

ولا ريب ان كل لبناني سليم التفكير ، ويملك حرية التصرف برأيه وقلمه ، يدرك ان لبنان لا يستطيع وحده ان يقف في طريق هذه المشاريع ، او ان يقاوم الانجرار فيها .

ومن هنا يتضح ان القضايا الحيوية الكبرى التي تهم لبنان او سورية او اي قطر عربي آخر لاصق بعضها ببعض ، بسبب طبيعة هذه القضايا نفسها وبسبب طبيعة جميع الاوضاع ، وبصورة مستقلة عن ارادة هذا او ذاك من رجال الحكم او السياسة في هذا القطر العربي او ذاك .

والحوادث القريبة والبعيدة تثبت لكل ذي بصر وبصيرة ان المستعمرين قد سعوا ، وما زالوا ، في سبيل تنفيذ اهدافهم ومشاريهم ، الى تفكيك عرى التضامن بين لبنان وسورية اولا ، وبين لبنان والاقطار العربية المناضلة ضد الاستعمار ثانيا .

وكثيرا ما سمعنا المستعمرين يقولون بلسان الرجعيين اللبنانيين ، مالنا ولقضية فلسطين ، اليس الافضل لنا ان نقف على الحياد من هذه القضية ، فنبنئ علاقات تجارية مع الصهيونيين ، ونقيم معهم تعاونا اقتصاديا ؟ ويقولون ايضا ما لنا ولسورية من قضية اسكندرونة بينها وبين تركيا ، اليس من الافضل ان نقيم علاقاتنا مع هذه الدولة بصورة مستقلة عن موقف سورية .

ويقولون ايضا ما لنا وللملك عبد الله ما دام يصرح ويؤكد ان مشروع سوريا الكبرى لا يستهدف سوى الجمهورية السورية وحدها ، ولا مساس له بلبنان ...

ولاجل تسهيل تنفيذ هذه السياسة يحاولون تسميم جو العلاقات خصوصا بين سورية ولبنان ، لان تضامناً الجمهوريتين لا يزال اساساً لقوتهما في وجه الاستعمار ، ولان تفكيك التضامن

بينهما لا يزال وسيلة الاستعمار الاولى لتحقيق اهدافه .
ولنقل في نفس الوقت ، ان عملاء الاستعمار الاجنبي فسي
سورية يساهمون بدورهم في محاولة تسميم الجو ، اذ يتجهمون
بين حين وآخر ، على لبنان ويتعرضون لكيانه ، ليعطوا قصدا
وعمدا حجة في لبنان لاعداء التعاون والتضامن مع سورية .
ومن هنا ايضا ، يتضح ان مقاومة التضامن بين سورية ولبنان ،
والتعاون بين الشعوب العربية في النضال ضد الاستعمار ، محاولة
خطرة هي في الواقع ، ومهما كانت نيات القائمين بها ، تعاون مع
الاستعمار ومع عملائه من الرجعيين العرب ، ضد لبنان والشعوب
العربية ، وضد استقلالها وحرياتها . فلا مناص اذا من تعاون
عربي : فاما ان يكون كما نريده وتقتضيه مصلحة لبنان وكما يريده
كل وطني عربي ، تعاونا بين الشعوب العربية ، بين الجماهير
العربية في النضال لاجل جلاء الجيوش الاجنبية والاستقلال
والديموقراطية ، واما ان يكون تعاونا بين اولئك المواطنين
« اللبنانيين » من جهة ، وبين سبيرز وتشرشل وحسن سقا
وترومان وعبد الله ونوري السعيد وصدقي باشا والاخوان
المسلمين من جهة ثانية .

اما السياسة اللبنانية العربية الرسمية ، فقد كان احسن ما
فيها اتجاهها نحو التعاون العربي ، واعترافها به وبضرورته ، وشر
ما فيها اليوم انها في ميدان التعاون العربي تبدي ترجعا وتذبذبا
وانتهازية لا توصف .

ان بعض الرسميين الذين يتجحون بكونهم أبطال السياسة
العربية ، هم اليوم من اخطر الناس على سياسة لبنان العربية ،
لانهم يحاولون ان يسيروا بها لا الى امام ، بل لانهم يسلكون مسلكا
يجعل لبنان في المؤخرة في هذا الميدان .

سياسة التضامن والتعاون العربي هي السياسة اللبنانية الوحيدة الصحيحة

(من مقال نشر في « صوت الشعب » بتاريخ ٥ و ٦ تشرين الثاني ١٩٤٧) .

ان طبيعة جميع الاوضاع السياسية والاقتصادية وغيرها تجعل التعاون والتضامن بين الشعوب العربية ضرورة وطنية عظيى لكل منها . ولا ريب ان جميع اللبنانيين الواعين المخلصين يدركون ذلك ، فبمقدار ما يعزز لبنان تعاونه وتضامنه مع الاقطار العربية الشقيقة المناضلة ضد الاستعمار والاحتلال الاجنبي من اجل استقلالها وسيادتها الوطنية يصبح بلدا محترما وعزيز الجانب .

مشاريع الاستعمار وضرورة التضامن العربي

ولذلك فالسياسة العربية التي يسير عليها الحزب كانت ولا تزال هي السياسة الوحيدة المتفقة مع مصلحة الدفاع عن الاستقلال اللبناني وضونه وتوطيده امام مشاريع الاستعمار المتنوعة الرامية الى نسف هذا الاستقلال والى تهديم النظام الجمهوري واعادة الاحتلال الاجنبي الى الاراضي اللبنانية .

فمشاريع المستعمرين اكانت انكليزية ام اميركية ام انكلو اميركية لا يقتصر خطرهما على قطر عربي دون آخر ولا على دولة عربية دون سواها بل هي تهدد جميع الاقطار والدول العربية بلا استثناء . فمشروع سوريا الكبرى ومشروع الكتلة الشرقية ومشروع تقسيم فلسطين واقامة الدولة اليهودية فيها تهدد جميع الاقطار العربية ولا يمكن النضال ضدها بنجاح الا بالتضامن الوثيق المتين بين جميع الشعوب العربية .

عناصر المقاومة الدولية والعربية التي تقف في وجه الاستعمار

صحيح ان سورية هي اليوم الهدف الذي توجه اليه جميع المؤامرات الاستعمارية باعتبارها العقبة الرئيسية حتى الان في وجه المشاريع الاستعمارية ولا سيما مشروع سوريا الكبرى ومشروع الكتلة الشرقية . فجهود المستعمرين متجهة الان الى الجاء الجمهورية العربية الشقيقة للروضخ لمشيئتهم . وهم يستخدمون لذلك اساليب مختلفة من الضغط وحرب الاعصاب ولا يتورعون عن السعي الى اشعال الفتنة الداخلية والاضطراب . واهم الخطط التي يلجأ اليها المستعمرون لارغام سورية على الاستسلام التام لهم هي السعي لفك عرى التضامن بين لبنان وسورية . وهذه الخطة الاستعمارية تفسر لنا المحاولات التي قامت لاجل التقريب بين لبنان وتركيا والمساوي التي جرت لخلق جو « ودي » خاص بين لبنان والملك عبدالله . وتفسر هذه الخطة الاستعمارية ايضا الحملات الطائشة التي تقوم بين حين وحين في بعض الاوساط اللبنانية وبعض الصحافة التي تستغل كل حادثة عادية او تخلق احيانا الحوادث لاجل الطعن بسورية والتهمج عليها وتوجيه التهم زورا وافتراء اليها بقصد تسميم الجو وجعله غير صالح لمتابعة التعاون والتضامن بين القطرين الشقيقين . ومن هنا تتضح اهمية الدور الذي يجب ويمكن ان يقوم به لبنان في احباط مشاريع الاستعمار وفي الدفاع عن استقلاله واستقلال سورية والنظام الجمهوري في كلا القطرين وذلك بتعزيز

التعاون مع سورية ، هذا التعاون الذي بات بشهادة الحوادث والوقائع حجر الزاوية في الدفاع عن استقلال لبنان وسورية بل عن بقائهما كدولتين مستقلتين . وهو ايضا اساس التعاون العربي الصحيح في سبيل استقلال الاقطار العربية الاخرى وجلاء الجيوش الاجنبية عن اراضيها .

العيوب الحقيقية في سياسة لبنان العربية

غير ان بعض الاوساط والعناصر اللبنانية تجهل او تتجاهل هذه الحقائق ولا تنفك تلتزم التحفظ تجاه الاقطار العربية الشقيقة وتجاه تضامن لبنان وتعاونها مع هذه الاقطار ولا سيما مع الجمهورية السورية الشقيقة . ولكن الانتقاد الذي يجب ان يوجه بحق الى السياسة اللبنانية الرسمية في ميدان التعاون العربي لا يجب ان يوجه اليها لكونها قد تجاوزت الحدود المرسومة لها ، كما يفعل المتحفظون والانزاليون القدماء ، بل يجب ان يوجه اليها لانها لم تبلغ قط الحدود التي يجب ان تبلغها في التعاون العربي ، فهي لا تزال سياسة مترججة ومترددة وحائرة وتنقصها الجرأة والحزم والاقدام في التضامن مع الشعوب العربية في النضال الوطني لاجل الاستقلال والجلاء . ويجب القول ان السياسة اللبنانية الرسمية في الميدان العربي لا تعبر تعبيرا صحيحا لا عن ارادة الشعب اللبناني وشعوره الاخوي نحو الاقطار الشقيقة ولا عن الضرورات التي تقتضيها مصلحة لبنان العليا .

وهناك انتقاد صحيح يوجه الى سياسة لبنان العربية ويوافق عليه جميع الوطنيين المخلصين في لبنان وسائر الاقطار العربية وهو ان سياسة التعاون العربي لا يجب ان تسير وفقا لاهواء واتجاهات الاوساط الرجعية العربية المرتبطة بالاستعمار الاجنبي . فسياسة من هذا النوع ليست سياسة تعاون عربي بل سياسة تعاون غير عربي ، سياسة تعاون ضد العرب .

ان سياسة التعاون العربي التي يجب ان يسلكها لبنان ليس معناها السير في ذيل بعض الحكومات الرجعية التي يؤيدها

الاستعمار البريطاني او الاميركي في بعض العواصم العربية وتفرض نفسها بالقوة على الشعب . فلبنان يجب ان يسير على سياسة الطليعة في هذا الميدان فتكون سياسته العربية متجهة الى القوى الوطنية والنضال الوطني في الاقطار العربية لتمكين هذه القوى من التأثير في سياسة حكوماتها وتوجيهها توجيهاً وطنياً ديمقراطياً منطبقاً على مطالب استقلال الشعوب العربية وسيادتها .

الفكرة الفينيقية والاتجاهات الانغزالية والانفصالية .

ومن الواضح ان في لبنان عناصر تنتمي الى الطبقة الحاكمة وقد ارتبطت مصالحها اما بمصالح الرأسمال الاجنبي والشركات الاجنبية الاستثمارية واما بعلاقات تجارية وعلاقات عمل مع الصهيونية وغيرها من الاوساط التجارية والمالية في الخارج . وهذه العناصر هي ذات تأثير قوي في السياسة اللبنانية الداخلية والعربية والخارجية بسبب نفوذها المالي الاقتصادي وبسبب تأييد المراجع والدوائر الاستعمارية الاجنبية لها ومشاركتها اياها في استثمار خيرات البلاد ومرافقها .

يضاف الى هذا ان الارشاليات والمدارس الاجنبية المنتشرة في لبنان بشكل هائل قد بثت خلال اعوام طويلة روح الاحتقار والحذر نحو الشعب بصورة عامة ونحو الشعوب العربية بصورة خاصة . ومن هنا كان الميل الى البحث عن اصل غير عربي للبنان وكانت الفينيقية وذلك بقصد التباعد بين لبنان والاقطار العربية الاخرى وخصوصاً بين فريق من اللبنانيين وفريق آخر . ولكن هذه المحاولات قد احبطت واخلقت امام صعود النضال الوطني التحرري الذي شمل جميع جماهير الشعب .

ولسنا بحاجة الى الاكثار من الادلة لكي نثبت ان الذين يريدون خلق الحواجز المصطنعة ضد تعاون لبنان والشعوب العربية لا يمثلون الشعور الحقيقي السائد في اوساط الجماهير الشعبية الواسعة في القرى والمدن . فهذه الجماهير تعتز بما تعرفه من تاريخها وتقاليدها العربية والادب العربي والشعر العربي . وفكرة

الفينيقية بالرغم من جميع الجهود التي بذلت لاجل نشرها لم تصادف سوى حظ يسير من النجاح ، ولكنها تركت بملء الاسف آثارها . فالعناصر الرجعية الانعزالية التي جعلت همها مقاومة التعاون العربي لم تستسلم للامر الواقع ولم تتخلّ عن افكارها وميولها الرجعية بل هي تتابع نشاطها بأشكال مختلفة . وقد تحولت الى تغذية فكرة جديدة هي فكرة « الوطن القومي المسيحي » التي تتلخص في تجزئة لبنان والتخلي عن بعض اجزائه وانشاء « دولة مسيحية » من اجزائه الباقية وهي فكرة مستمدة من صميم مشروع سوريا الكبرى الذي وضعه المستعمرون الانكليز والصهيونيون . وهذه الفكرة التي يحاربها جميع اللبنانيين المخلصين الشرفاء تؤدي الى تفرقة الصفوف وخلق البلبلة التي يستفيد منها المستعمرون لتحقيق اهدافهم .

ويقابل هذا الاتجاه اتجاه آخر انفصالي يظهر بين حين وحين في الشمال خصوصا وفي الجنوب في بعض الاحيان ومرد هذا الاتجاه يعود الى الاستياء المشروع الذي تشعر به الجماهير الشعبية من سوء سياسة الحكومة وتصرفها واهمال تلك المناطق التي قاست في العهود الاستعمارية البائدة اشد انواع الحرمان والبؤس . ومهما تكن اسباب هذا الاتجاه ومبرراته فهو يخدم مآرب دعاة « الوطن القومي المسيحي » .

ويجب الانتباه بصورة خاصة الى الاتجاه الاول ، اتجاه « الوطن القومي المسيحي » لانه اخطر الاثنين لما فيه من اثار صريحة للنعرات الطائفية البالية ولان العناصر التي تعمل له عناصر ربطت مصيرها بالاستعمار وتمودت خدمته وقد تخلت عن كل شعور وطني وكل كرامة وطنية وهي بعد ان فقدت سندها الاستعماري القديم اخذت تضع نفسها تحت تصرف الاستعمار الانكليزي الاميركي .

التقدم الاجتماعي في لبنان وسياسة التضامن العربي

فواجبنا نحن الشيوعيين هو النضال والكفاح بلا لين ولا هوادة حتى يسير لبنان سيرا قويميا في سياسة تعاون عربي صحيح .

واجبنا النضال ضد التيارات الرجعية الانعزالية التي يستخدمها الاجنبي ولا سيما الاستعمار الانكلو اميركي لاجل اضعاف التضامن بين سورية ولبنان وبالنتيجة لاضعاف تعاون الشعوب العربية في كفاحها الوطني .

ان حزبنا قد نما نفوذه واخذت جماهير واسعة من العمال والفلاحين وابناء الطبقة الوسطى وفئات من المثقفين ورجال الفكر ينظرون الى حزبنا نظرة احترام وتقدير لنضاله ووطنيته . فعلى ان نعمل بروح الشعور القوي بمسؤوليتنا الكبرى نحو شعبنا ووطننا وان نقول كلمتنا بجرأة وصراحة في سياسة بلادنا لان الحوادث قد اثبتت في كثير من المناسبات ان لموقف الحزب الشيوعي اثرا محسوسا في توجيه الرأي وفي التأثير بالسياسة اللبنانية .

ان سياسة التضامن العربي ليست السياسة الوحيدة الصحيحة في الدفاع عن الاستقلال والجمهورية فحسب بل هي السياسة الوحيدة ايضا في الدفاع عن الديمقراطية وتوطيد الحرية وتحقيق الاصلاح في لبنان .

ان ما يبدو في لبنان من مظاهر التقدم الاجتماعي والرفي الثقافي والحرية النسبية لا يمكن المحافظة عليه وتطويره الا بالتحالف ضد الاستعمار في الاقطار العربية .

ومخطئون اولئك الذين يزعمون ان لبنان في تعاونه العربي يعرض هذه النواحي التقدمية فيه للخطر والزوال ومخطئون اولئك الذين يزعمون ان لبنان يجب ان يتطلع الى الغرب وحده لاجل المحافظة على وجهه الديمقراطي ومظهره التقدمي .

صحيح ان لبنان لا يمكن ان يقفل نوافذه وابوابه دون اوروبا ولم يطلب ذلك احد ، ولكن الحركات الوطنية العربية والنضال التحرري العربي الصاعد ضد الاستعمار والاحتلال الاجنبي هي النبايع الرئيسية التي تغذي نبت الديمقراطية في لبنان . ان النضال الوطني العربي هو حليف لنضال لبنان في الدفاع عن استقلاله وحليف لشعب لبنان في نضاله لاجل توطيد حريته وتوسيع الديمقراطية في ربوعه والاستمرار في طريق التقدم الاجتماعي والعمراني والاصلاحي .

انتفاضة العراق ... وما بعدها

كتاب أصدره الشهيد
عام ١٩٤٨

في ١٥ كانون الثاني ١٩٤٨ ، وقعت في مدينة بورتسموث ، احد المرافئ البريطانية ، معاهدة « جديدة » بين العراق وبريطانيا ، بعد « مفاوضات » رسمية لم تدم سوى ايام في لندن . وقد كان الوفد العراقي « المفاوض » برئاسة صالح جبر رئيس الحكومة العراقية السابق ، ومن اعضائه نوري السعيد رئيس مجلس الاعيان ، وفاضل الجمالي وزير الخارجية ، وتوفيق السويدي الرئيس السابق لحزب الاحرار . وقد اريد ابراز المعاهدة الجديدة كإلغاء للمعاهدة البريطانية - العراقية المعقودة عام ١٩٣٠ ، واذيع بيان رسمي بذلك .

وقد وقعها عن العراق صالح جبر رئيس الوزارة ، وعن بريطانيا ارنست بيغن وزير الخارجية . وتبادل الوزيران الرسائل . وأبرق عبد الاله الوصي على العرش ، الى لندن مهنئاً . جرى كل هذا بصورة عادية جداً وبدون ضجة كثيرة . وكانت

وكالات الانباء ومحطات الاذاعة تشير اشارات مقتضبة الى انباء المفاوضات ، وتشيد بالتفاهم السائد بين الجانبين المتفاوضين العراقي والبريطاني ، محاولة ان تدخل في اذهان الشعوب العربية ان العراق قد احرز كسبا عظيما وطنيا وسياسيا في « تعديل » معاهدته مع بريطانيا ، وان بريطانيا تظهر ، بدورها ، تفهما جيدا لمطالب الشعب العراقي ، وتقديرا كبيرا للاماني العربية بوجه عام .

ووجدت الدعاية الاستعمارية البريطانية خير مساعدة لها في كثير من الصحف العربية المأجورة التي رحب فريق منها ترحيبا حارا بالمعاهدة واعتبرها ، كما اعتبرتها وكالات الانباء الاستعمارية ومحطات الاذاعة التابعة للاستعمار ، « انتصارا » وطنيا عظيما تحرزه سياسة صالح جبر البريطانية . ولم تشذ عن هذا الموقف سوى الصحف الوطنية القليلة في بعض الاقطار العربية فاستنكرت المعاهدة الجبرية البيفنية وحملت عليها ، وعدتها مؤامرة جديدة على الشعوب العربية . واذا استثنينا عددا قليلا من صحف لبنان وسوريا ، فانه ليؤسفنا القول ان موقف معظم الصحف اللبنانية والسورية كان موقفا مخزيا الى اقصى حد . فقد امتنع القسم الاكبر عن التعليق بشيء على تلك المفاوضات ونتائجها السياسية والوطنية ، مع ان هذه الصحف قد تعودت ان تكتب الاعمدة الطوال حول امور تافهة سطحية . اما الساسة ورجال الدولة والحكم في العواصم العربية فقد لزم معظمهم الصمت العميق حول هذه المسألة الخطيرة ، كأن ما يجري في لندن وبورتسموث ، بين جبر وبيفن من تأمر على الشعب العراقي ، وعلى مستقبل الشعوب العربية كلها ، امر لا يعنيه ولا يعني الشعوب العربية .

ولم يقف الامر عند هذا الحد بل ان بعض الصحف في بيروت ودمشق راحت تدعو صراحة وبلا خجل الى « التحالف » مع المعسكر البريطاني الاميركي ، وربط مصيرنا بمصيره ، بحجة ضرورة الانخراط في « المعسكر الاشيعي » بينما كان الشعب العراقي يضرب ويتظاهر ضد التحالف والتعاقد مع بريطانيا ، وينادي بسقوط معاهدة جبر - بيفن ، وبسقوط الاستعمار وخدامه ، ويستشهد العشرات من ابنائه برصاص صالح جبر خادم الاستعمار

وخائن العراق والعروبة كلها .

كانت ولادة معاهدة بيفن - جبر سهلة هينة . ولكن المولود الجديد الذي ابصر النور على ظهر الدارعة البريطانية الاثرية « فيكتوري » ، والذي ارادوا ان ينسبوه الى الشعب العراقي لم يستطع واضعوه ان ينقلوه من مكانه ، فقضى كما ولد ، مشروعا بريطانيا استعماريًا انكره الشعب العراقي وابى الاعتراف به او التعرف اليه .

اجماع الاحزاب والهيئات على الغاء المعاهدة

كانت معاهدة جبر - بيفن في الواقع صكا يسجل من جديد عبودية العراق للاستعمار وتبعيته التامة للامبراطورية البريطانية . وقد بينت هذه المعاهدة بجلاء فاضح الاسس التي تنوي بريطانيا ان تقيم عليها علاقاتها « الجديدة » مع العالم العربي . وكان الاجماع تاما في جميع الاوساط الوطنية العراقية على نعت معاهدة بورتسموث بانها تجديد لاهم قيود معاهدة ١٩٣٠ وازافة قيود جديدة اليها اشد خطورة ، تجعل ارتباط العراق ببريطانيا ارتباطا ابديا .

غير ان الدوائر الاستعمارية زعمت ان حركة المقاومة للمعاهدة كانت من صنع الشيوعيين ، ظنا منها ، كعادتها ، ان ذلك مما يقلل من شأن الحركة واهميتها ، ويجد تبريرا لفشل خطط الاستعمار ، ويدخل في الازهان ان الشعب العراقي كان موافقا على المعاهدة ، لولا ان « اقلية شيوعية » دفعته الى رفض التحالف مع بريطانيا . ولا ريب ان الشيوعيين العراقيين قد قاموا بواجبهم الوطني ببسالة واخلاص في النضال ضد معاهدة بيفن - جبر ، وكانوا في الصفوف الاولى بين المناضلين في سبيل احباط المؤامرة الاستعمارية ، وتحرير العراق من الاحتلال الاجنبي والاستعمار ، وقد كان لهم في المعركة اثر بارز في توطيد وحدة الصف الوطني وثباته وقوته ، واحباط جميع محاولات التفرقة المتنوعة . اما زعم المستعمرين وعملائهم بان الحركة العراقية كانت من صنع الشيوعيين وحدهم ، فلا يضير الشيوعيين ولا يسيء الى الحركة ، ولكنه افتراء على

الواقع والحقيقة ، ودليل على الهستيريا التي اصاب الاستعمار والرجمية .

فالأحزاب العراقية كلها ، من حزب الاستقلال ، الى حزب الاحرار ، الى الحزب الوطني الديموقراطي ، فضلا عن الطلاب والهيئات الاخرى قد اجمعت على استنكار المعاهدة ، ودعت الى مقاومتها . ولا حاجة الى البرهان ان هذه الاحزاب لا تحبذ الشيوعية ، ولا تسير تحت قيادة الشيوعيين . فالحزب الوطني الديموقراطي اذاع بيانا في ١٨ كانون الثاني ، غداة توقيع المعاهدة في بورتسموث حلل فيه : « الظروف المريبة التي عقدت فيها هذه المعاهدة الجديدة ، وبين أغراضها الاستعمارية الرامية الى تكبيل العراق بقيود جديدة والغاء سيادته وربطه بمجلة الاستعمار البريطاني ربطا محكما ... وكان يأمل ان يحرر نفسه من القيود الثقيلة التي فرضتها عليه معاهدة ١٩٣٠ ... فاذا به يقيد بقيود جديدة اشد وطأة ... ويورط نفسه في اشتباكات دولية اوجدتها المطامع الاستعمارية ، من دون ان يكون له فيها اي نفع ، بل ان له منها الضرر كله ... »

وهاجم البيان مجلس « الدفاع المشترك » الذي نصت المعاهدة الجديدة على تأليفه لان « العراق يصبح بموجب هذا الدفاع المشترك ملزما بخوض غمار الحرب الى جانب بريطانيا على مقياس واسع » ... وفق المادة الثالثة من المعاهدة الجديدة .

وبعد ان بين ان المعاهدة الجديدة ، لم تغير شيئا من مساوىء المعاهدة القديمة بل اضافت اليها قيودا ومساوىء جديدة ، انتهى الى القول ان : « اقرار هذه المعاهدة هو اعتداء صريح على كيان العراق وسيادته ومستقبله السياسي ، وحائل دون نموه القومي ، ودون تحقيق امانيه الوطنية » ودعا الشعب الى « احباط هذا المشروع الاستعماري الجديد ومقاومته بكل قوة » ..

وحلل « حزب الاستقلال » معاهدة بورتسموث في بيان مطول جاء فيه ان هذه المعاهدة هي : « اشد وطأة من المعاهدة السابقة التي تدرع المفاوض العراقي يومئذ لقبولها بانها جاءت ثمنا لانهاء الانتداب ودخول العراق في عصبة الامم » .

وقال البيان ان المعاهدة الجديدة « ادخلت العراق ضمن رابطة الشعوب البريطانية وجعلته مرتبطا بمصالح الامبراطورية ». « فان بريطانيا بعد جلائها عن الهند ، وسقوط حجة الدفاع عن مواصلاتها الاساسية ، اتخذت من « الدفاع المشترك » ذريعة جديدة لفرض استمرار هذا الحلف بصورة ابدية » .

... « لقد خولت الفقرة ب من المادة الاولى من الملحق ، لبريطانيا ، حق ابقاء قوات بريطانية في العراق من مختلف الصفوف ، بينما اقتصرت المعاهدة السابقة على منح التسهيلات والمساعدات » وعلى اقامة قوات جوية في القاعدتين (الحبانية والشعبية) ... « لم يكن من حق بريطانيا في المعاهدة السابقة استعمال ساحات النزول في غير القاعدتين الجويتين (الحبانية والشعبية) في حين ان الفقرة (ز) من المادة الاولى من الملحق اجازت حق استعمال كافة ساحات النزول دون اجور » .

« الزمت المادتان الثالثة والرابعة من الملحق من المعاهدة الجديدة ، العراق بتعاون قواته الجوية ووحداته العسكرية على اختلافها مع القوات البريطانية في داخل العراق وخارجه ، وهذا يعني ان ندفع بانباء وطننا الى القتال خارج العراق للدفاع عن المصالح الامبراطورية ، بينما لا ينتظر ان تكون لنا مصالح خارج العراق تستدعي مثل هذا التعاون » .

« وقد مهد لهذه المعاهدة بجمع مجلس لا يمثل الامة تمثيلا صحيحا ... وهذه المعاهدة ستؤدي الى توريث العراق في مشاكل دولية لا قبل له بتحمل نتائجها ، وتعرضه الى اخطار حرب مدمرة وتلزمه بتكاليف باهظة ترهق كاهله المثلث بالتبعات تجاه بريطانيا التي استنزفت ثرواته واستأثرت بموارده » .

وجاء في بيان حزب الاحرار ان المعاهدة هي « مجموعة قيود واصفاد يراد بها تكبيل العراق وربط مصيره بالسياسة البريطانية المحفوفة بالمخاطر والاهوال في هذا العالم المضطرب ، دون ان تكون للعراق مصلحة » .

... « ان المعاهدة بمجموعها تحوي قيودا جائرة تخل بسيادة العراق واستقلاله وتجعل منه معسكرا للاستعمار

البريطاني » .

« . . ان بريطانيا اتخذت من ابتذاع فكرة « الدفاع المشترك » وسيلة لبسط سيطرتها على الدول التي ترمي الى استغلالها عسكريا وسياسيا واقتصاديا » .

« ان قبول فكرة الدفاع المشترك معناه وضع العراق عسكريا وسياسيا تحت النفوذ البريطاني طوال مدة المعاهدة والانتقاص من سيادة البلاد وحريتها ، وتحميلها نفقات والتزامات مالية لا قبل لموارده بتحملها ، كما ألزمت المادة الثالثة من المعاهدة العراق بوجود المبادرة الى معاونة الفريق البريطاني في حال اشتباكه في حرب لا يكون للعراق فيها اية فائدة ، اللهم الا المحافظة على مصالح الامبراطورية البريطانية بدماء ابنائه .

واذاغ طلاب المعاهد العالية بيانا وقعته كلية الطب ، وكلية الحقوق ، وكلية الصيدلة والكيمياء ، وكلية الهندسة ، ودار المعلمين العالية وقد جاء فيه :

« . . . ان المعاهدة الجديدة ان دلت على شيء ، فانها تدل على الاستهتار العظيم الذي يبديه الاستعمار البريطاني للشعب العراقي وحرياته واستقلاله . ان هذه المعاهدة بنصوصها وملاحقها ، بسماحها للجيوش البريطانية بالبقاء في العراق ، ومنحها القاعدتين الجوييتين في الحبانية والشعبية ، بمجلسها المشترك للدفاع عن مصالح الامبراطورية البريطانية وتسليم كافة طرق مواصلاتنا الى قوات الاستعمار ، بالسماح لبريطانيا بالاشراف على جيشنا وموانئنا ، باجبارنا على الوقوف بجانبها حتى في مشاكلها مع الشعوب العربية ، وزجنا في مشاكلها الدولية التي ليس لنا مصلحة فيها ، وبتجميد احتياطي عملتنا وحصرنا في منطقتيها الاسترلينية والقضاء على حرية تجارتنا ونمو اقتصادنا الوطني ، ان كل ذلك يدل بصورة واضحة على ان الاستعمار البريطاني يريد ربطنا بعجلته الى اطول مدة من الزمن . . . اننا نحتج على توقيعها ونطالب بالفائها وناشد الشعب العراقي مقاومتها واحباطها بكل وسيلة ممكنة » .

الفضبة الكبرى

لقد كان رد الفعل الذي قام به الشعب العراقي ضد معاهدة جبر - بيفن مدهشا وعظيما . واذا كان الطلاب في بغداد ، هم اول من هبوا لاستنكار المؤامرة الاستعمارية ضد استقلال العراق وامانيه الوطنية وللنضال ضد معاهدة الذل والاستعباد ، فان الحركة لم تلبث ان اصبحت جماهيرية شاملة عامة اشترك فيها العمال والنساء والمثقفون والشباب والاطفال ، فتحولت الى انتفاضة شعبية حقا ، غمر تيارها عشرات الالوف في بغداد وغيرها من المدن والقرى ، كانوا يهتفون هتافا واحدا بسقوط الاستعمار البريطاني ومعاهدة بورتسموث ، وسقوط حكومة صالح جبر . وقد ظن الرجعيون الذين لا يستطيعون ابدا فهم روح الشعب الثائر ، وادراك قوة طموحه الى الحرية والانعقاد ، ان بإمكانهم قمع الوثبة الشعبية ، فوجهوا رجال الشرطة ضد الشعب الاعزل ، فاطلقوا الرصاص على المتظاهرين فقتلوا من قتلوا وجرحوا من جرحوا واعتقلوا من اعتقلوا . لكن ذلك لم يزد نيران النضال الا اضطراما واحتداما . وبلغ من قوة الحركة ان كثيرا من العناصر السياسية المترددة ، لم تجد بدا من الانضمام اليها واعلان التأييد لها . ولما تبين عجز قوات الشرطة وعجز سلاحها عن قمع الحركة والسيطرة عليها ، اراد المسؤولون اللجوء الى الجيش ، ولكن الضباط الثانويين وصف الضباط ابدوا عدم استعدادهم لخوض المعركة ومقاومة الشعب المناضل ضد الاستعمار الاجنبي . عندئذ لم يجد المسؤولون مخرجا الا بدعوة الوصي على العرش الى اعلان عدم استعداده لابرام المعاهدة ، واذيع ذلك في بلاغ رسمي بقصد تهدئة خواطر الشعب الثائر .

غير ان صالح جبر الذي لم يدرك ، وهو في العراق ، قوة استعداد الشعب العراقي للنضال ضد الاستعمار ، وحرصه الشديد على التخلص من قيود المعاهدات والمحالفات الاستعبادية ، وعلى التحرر من نير الاحتلال الاجنبي ، لم يدرك طبعا ، وهو في لندن ، ان الحركة العراقية ضد المعاهدة الجديدة لا يمكن قمعها ولا منعها ،

قصرح من لندن انه عازم على العودة الى العراق « للدفاع » عن معاهدته وقال « ان بعض العناصر الهدامة وهي قليلة العدد ، لحسن الحظ ، قد استغلت فرصة غيابنا واستطاعت السيطرة على الطلاب واحداث الفلاقل في البلاد »

وصرح بيغن في نفس النهار ايضا في مجلس العموم فقال : « حدث سوء تفاهم في العراق بشأن هذه المعاهدة ، ولكن الوفد العراقي المفاوض سيوضح ذلك عند عودته الى بغداد » .

وفعلا عاد صالح جبر الى العراق مسلحا بتشجيع الدوائر الاستعمارية البريطانية ومزودا بتعليمات سيده بيغن ، فأرسل قوات الشرطة والدرك « لتشرح » بالرشاشات والمصفحات « مزاياء » المعاهدة الجديدة وتوضح « سوء التفاهم » الذي تحدث عنه بيغن في مجلس العموم ، فكانت مجزرة هائلة ، سالت فيها الدماء البريئة مرة اخرى ، وتخضبت شوارع بغداد بدم اكثر من مائة شهيد ، واكثر من ٣٦٠ جريحا ذهبوا ضحايا النضال ضد الاستعمار ، وفداء لاستقلال الشعوب العربية كلها ، وضحايا رعونة صالح جبر واصرارده مع زملائه من اضراب نوري السعيد على تنفيذ الخيانة بالقوة والبطش والارهاب .

ولم يقف صالح جبر واسياده الاستعماريون البريطانيون عند هذا الحد من الاعتداء على الشعب العراقي والاستهانة بدمائهم وشهداءه ، بل ارادوا اعادة الكرة لاستخدام الجيش العراقي ضد اخوانه ابناء الشعب العراقي . وكان في نية صالح جبر ان يعلن الاحكام العرفية في العراق ويتابع سياسة البطش والخيانة ويدافع بالحرب والشناق عن معاهدته مع بيغن . غير ان الجيش لم يكن مستعدا لتنفيذ اوامر المستعمرين ، كما يفعل صالح جبر وزملاؤه ، فأبدى رجاله رفضهم الاشتراك في مقاتلة الشعب . وقد خشي المسؤولون عواقب مفامرة اللجوء الى الجيش فأضطروا الى العدول عن هذه الفكرة ، حين نصحهم بعض كبار القواد بان رجال الجيش ، اذا انزلوا الى المعركة ، فلن يكتفوا بالتمرد او الوقوف على الحياد ، بل سينضمون الى الشعب ويسيرون معه .

وهكذا اضطر صالح جبر وزملاؤه الخونة الجبناء الى الاستقالة

والفرار من غضب الشعب الثائر المحتاج على الاستعمار وخدمه وعملائه .

شمول الحركة واتساعها وارتفاع وعي الجماهير السياسي

هناك اجماع عند جميع المناضلين العراقيين على ان ابرز مميزات الوثبة العراقية الاخيرة بالنسبة الى وثبات العراق السابقة، انها كانت اكثر اتساعا وشمولا من كل ما سبقها من الوثبات الشعبية والانتفاضات الوطنية . فهي لم تقتصر على الطلاب والعناصر المثقفة ، ولا على جماعات الاحزاب والفئات المنظمة ، ولا على العمال الواعين المنتظمين في نقاباتهم ومنظماتهم المهنية ، بل كانت حركة شاملة جارفة هزت اعماق الجماهير الشعبية وايقظتها الى النضال ، فسارت يعناد وثبات وبسالة لم يسبق لها مثيل . وقد كان من ابرز صفات هذا الشمول والاتساع اشتراك النساء فيها من جميع الاعمار والفئات الاجتماعية اشتراكا فعليا قويا . فقد نزلت الفتيات والامهات الى حلبة المعركة ، الطالبات وربات المنازل ، المتعلقات وغير المتعلقات ، الفقيرات والموسرات .

وقد كان اشتراك المرأة في المعركة من اهم عوامل البسالة والبطولة التي اتصفت بها وثبة الشعب العراقي . فالعراق كله بصحفه ومجلاته وخطب خطبائه يتناقل حديث تلك الفتاة التي كانت تحمل وشابا اخر لوحة كتب عليها شعار ضد معاهدة جبر - ييفن ، وكان الاثنان يحاولان اجتياز جسر في بغداد في طليعة احدي المظاهرات . وكانت قوات الشرطة محتشدة بالمصفحات والرشاشات في الجانب الاخر من الجسر ، تريد منع المظاهرة من اجتيازه . فأصيب الشاب برصاصة قاتلة فسقط ، وجرح الفتاة جرحا بليغا ، ولكنها ، رغم جرحها ، تجلدت وظلت ممسكة وحدها بالشعار تلوح به امام المتظاهرين وتابعت سيرها وهي ترغرد وتهتف . فاندفعت الحماسة في الصدور واجتاز المتظاهرون الجسر وفرت القوات الحكومية المسلحة منهزمة امام الشعب الاعزل المصمم المزم .

وهذه فتاة اخرى في السليمانية تشق جموع المتظاهرين
وتصعد الى سطح سيارة كبيرة وتخطب فتقول : ايها الشعب ان لم
احترق انا (١) ، وان لم تحرقن انتن انفسكن ايها النساء ، وان لم
تحرقوا انفسكم . انتم ايها الشباب ، وان لم نحترق جميعا ، فكيف
يخرج من هذه الظلمات نور يضيء هذا الطريق الوعر الشائك
الطويل !!

لقد شاطرت المرأة العراقية بأوفى نصيب في وثبة العراق
الوطنية ، وكان لها في المعركة شهيداتها كما كان لها دورها البارز
الاثر في الانتصار المبين الذي حققه الشعب على مستعمره الاجانب
وخائنيه الداخليين .

وقد كان من مظاهر شمول الوثبة واتساعها انها لم تبق
مقتصرة على العاصمة وحدها ، بل امتدت الى جميع انحاء العراق .
وكانت الشعارات والمطالب التي تسير المظاهرات تحت لوائها في كل
مكان ، شعارات ومطالب متشابهة الجوهر والهدف . وقد طبعت
هذه المطالب والشعارات الوطنية بطابع ديمقراطي شعبي عميق ،
نتيجة لاشتراك الجماهير الواسعة العميقة في ذلك التضال
الوطني . بل يجب القول ايضا ان تلك الشعارات والمطالب الشعبية
قد لعبت دورا كبيرا في اجتذاب الجماهير الواسعة الى خوض غمار
الحركة واعطائها من القوة والحيوية والاقدام ما جعلها حركة لا
تغلب . فالى جانب الشعارات الوطنية السياسية الموجهة ضد
معاهدة صالح جبر - بيغن وضد الاستعمار ، كشعار « جلاء جيوش
الاستعمار من العراق والبلاد العربية » . « فلتسقط وزارة التجويع
والارهاب ! نطلب محاكمة الوزارة ! » ليسقط الاستعمار
الانكلو سكسوني - المعاهدة كتبها صالح جبر بالحبر فمحوناها
بالدماء » . . الى جانب هذه الشعارات والمطالب ، برزت في كل
انحاء العراق حركة مطالب شعبية ديمقراطية واسعة تلح الحاحا
شديدا على اطلاق الحريات الديمقراطية ، وعلى تأمين الخبز للشعب .

(١) هذه العبارات مقتبسة عن قصيدة لناظم حكمت الشاعر التركي العظيم .

وقد غمرت هذه الحركة جميع المدن والمناطق . فبعد شعار جلاء
الجيوش الاجنبية وشعار إلغاء معاهدة ١٩٣٠ ، سيطرت على
المظاهرات والمطالب شعارات ديمقراطية كأفساح المجال للنشاط
الحزبي واطلاق حرية التنظيم النقابي واطلاق سراح الموقوفين
والمسجونين السياسيين ، وشعارات شعبية اخرى اهمها حل مشكلة
الغذاء والكساء وتأمين القوت للشعب . فهذه عريضة تحمل ٢٢٩٣
توقيعا من اهالي بغداد منشورة في جريدة صوت الاحرار لسان
حال حزب الاحرار تطالب : ١ - بحل المجلس النيابي المزيف الذي
عمل نوري السعيد على تأليفه بشكل يضمن اهداف الاستعمار
الانكلو اميركي . ٢ - محاكمة المسؤولين عن اطلاق الرصاص وعلى
رأسهم نوري السعيد وصالح جبر وكل ذي علاقة بالحادث والقضاء
القبض عليهم حالا . ٣ - افساح المجال للنشاط الحزبي والنقابي
واطلاق حرية الصحافة واعادة فتح النقابات المعطلة . ٤ - اطلاق
سراح الموقوفين والسجناء السياسيين وايقاف مطاردة الشرطة
للوطنيين الاحرار والحد من نشاط الشرطة السرية العاملة في هذا
الحقل ، ومعاقبة كل من تسول له نفسه الاعتداء على أي حق من
حقوق الانسان . ٥ - اقصاء التدخل الاجنبي عسكريا وسياسيا
وتحرير شؤون دولتنا من سيطرته ونفوذه وعملائه . ٦ - إلغاء
معاهدة ١٩٣٠ وملحقاتها واعلان ذلك بصورة رسمية . ٧ - توفير
الخبز والكساء والمواد الضرورية للشعب بنوع جيد وقيمة مناسبة
والضرب على ايدي محتكري وسارقي قوت الشعب . ٨ - العمل
الجدي الحازم لانقاذ فلسطين من براثن الاستعمار الانكلو اميركي
الصهيوني . ٩ - تعويض عوائل الشهداء وجرحى الحوادث الاخيرة
وتقديم المساعدات لهم » .

وهذه عريضة اخرى من الكاظمية تحمل ٤٣٨ توقيعا وقد
تضمنت نفس المطالب التي تضمنتها العريضة البغدادية ولكن بصيغة
اخرى . وهي تحمل حملة شديدة على نوري السعيد « بطل المشاريع
الاستعمارية والقاسم المشترك الاعظم لجميع المؤامرات والدسائس
الاستعمارية في الشرق العربي ، وتلاميذه امثال صالح جبر والجمالي
ومن لف لفهما من خدام الاستعمار الامناء » ...

وهذه برقية من السليمانية تحمل ٢٤٦ توقيعاً تؤكد « عزم جماهير السليمانية على النضال في سبيل اطلاق الحريات الديمقراطية والسماح بالنشاط الحزبي والنقابي واطلاق سراح السجناء السياسيين ومعاينة المسؤولين عن المذابح والغاء معاهدة ١٩٣٠ وعدم ابرام اية معاهدة مع المستعمرين وحل المجلس النيابي حالا ، وتوفير الخبز للشعب وجعله خبزاً ابيض ، ومحاكمة جلادي الشعب واطلاق سراح الموقوفين والمسجونين السياسيين ، الموت للاستعمار واذنابه والحياة للشعب العراقي الباسل » .

وهذه برقية من فلاحى ناحية عزبت عليها ٤٧٦ توقيعاً، يؤكدون فيها « عزمهم على النضال الى النفس الاخير لتحقيق المطالب التي استشهد في سبيلها المواطنون الاحرار » . وهي المطالب المتعلقة بالحريات والجلء والافراج عن السجناء السياسيين ، وتوفير الخبز للشعب وعدم ابرام اية معاهدة مع الاستعمار ، والغاء معاهدة ١٩٣٠ ، يضاف اليها مطلب خاص بالفلاحين وهو اعطاء السلفات اللازمة للفلاحين .

وهذه برقية من جماهير النجف النائرة على الظلم والطفيان والاضطهاد تطلب :

- ١ - محاكمة جلادي معاهدة بورتسموت .
- ٢ - محاكمة مجرمي حادثة النجف المقدسة واجراء تحقيق دقيق لمعاينة الامر باطلاق النار على المتظاهرين العزل واصابة عشرة منهم .
- ٣ - حل المجلس النيابي واجراء انتخابات حرة شاملة وعلى درجة واحدة بظل حكومة وطنية حيادية انتقالية .
- ٤ - اطلاق الحريات الديمقراطية من عقاها وتطبيق القوانين التي تضمن للشعب حرية الكلام والنشر والاجتماع والتظاهر وحرية التنظيم الحزبي والنقابي الحر .
- ٥ - الغاء المعاهدات الجائرة بما فيها معاهدة بورتسموت ومعاهدة سنة ١٩٣٠ .

وهذا وفد من اربيل يحمل عريضة عليها ٢٢١١ توقيعاً تضمنت نفس المطالب العامة التي وردت في معظم العرائض وعلى

السنة الوفود ، وفي هتافات المتظاهرين ، وتضمنت مطالب خاصة بالفلاحين في تلك المنطقة اهمها « مكافحة الجراد مكافحة جدية ، ووقف مطاردة الفلاحين بشأن حصة الحكومة من غلة السنة الماضية ، وانهاء مشكلة التبغ وفحصه في مراكزه الخاصة ، واعانة الفلاحين المعدمين ، ومساعدة المتضررين من الفلاحين بتقديم القروض لهم » ، (وتشير العريضة الى ضرورة تقديم هذه المساعدة مباشرة بدون واسطة) « وانهاء المشكلة البارزانية واطلاق سراح السجناء من البارزانيين » .

ومن كركوك ١٨٥٩ توقيعاً يطلبون ، الى جانب المطالب الشعبية العامة ، السماح لعمال شركة النفط بتأليف نقابة لهم .
ومن اهالي السليمانية ١٢٧٨ توقيعاً ، يطلبون بالاضافة الى المطالب الاخرى ، « رفع القيود عن زراعة التبغ ، وتعديل قرار توزيع المساحات المسموح بزراعتها وفق المصلحة العامة » .

ومثلها عشرات ومئات البرقيات والعرائض والوفود ، من الموصل والهندية والحلة والصويرة والشامية وغيرها وغيرها « لا هوادة ولا استقرار بدون المطالبة بدماء الشهداء ومحكمة صالح جبر وحل المجلس المزيف ، وتحرير العراق من نير الاستعمار والاحتلال الاجنبي » .

وقد كانت هذه المطالب الشعبية هي الشعارات التي حملها المتظاهرون وهتفوا بها : « اطلاق الحريات الديمقراطية ، حل المجلس المزيف ، جلاء الجيوش الاجنبية عسكرياً ومدنياً عن العراق ، توفير الغذاء والكساء للشعب ، العمل الجدي لانقاذ فلسطين من براثن الاستعمار الانكلي اميركي الصهيوني » .

وفي الكوت والسليمانية واربيل وغيرها حمل المتظاهرون نفس هذه الشعارات ومعها شعارات بالمطالبة بمعاينة المسؤولين عن اطلاق الرصاص على ابناء الشعب في المظاهرات ، وشعارات اخرى تحيي الاخاء العربي الكردي ، وتنادي باسقاط النعرات الطائفية .

ليس من ريب ان الوثبة العراقية الاخيرة التي اجتذبت الى تيارها جماهير جديدة واوساطا شعبية واسعة لم تتعود الاشتراك الفعلي في المعارك الوطنية من قبل ، قد دالت على نمو الوعي

السياسي عند الشعب العراقي ، ورفعت ، في الوقت نفسه ، هذا الوعي الى درجة اعلى كما شددت روح الكفاح عند الشعب ، فازدادت الحركة الوطنية التحررية في العراق قوة وثباتا ، وخطت خطوات جديدة الى امام ، واحتلت مواقع متقدمة أصبح من الصعب على الرجعية والاستعمار ارجاعها عنها . ان ايام كانون الثاني ١٩٤٨ في العراق قد اغنت النضال الوطني التحريري ضد الاستعمار والرجعية بتجارب قيمة جديدة ، وبعناصر وقوى عظيمة جديدة ايضا .

فشل محاولات التفرقة وبروز قوة الاتحاد الوطني

ومن اقوى الدلائل على ارتفاع الوعي الوطني والسياسي عند الشعب ، ما تجلى بين الجماهير من مظاهر الاتحاد والتآخي . فلقد بذلت حكومة صالح جبر واسيادها المستعمرون كل جهد مستطاع وحتى اللجوء لاحط الاساليب واسفلها ، لاجل تفريق صفوف الشعب الموحدة المجمة على النضال ضد معاهدة بورتسموث ، وضد الارتباط بالاستعمار البريطاني . فوزعت نشرات سرية مفجلة في بغداد وبعض المناطق ، تضمنت حملة شديدة على الحركة الشعبية ، التي نعتتها تلك النشرات ، بانها من صنع الصهيونيين الذين يريدون صرف الانظار عن نصره فلسطين . فلم يابه الشعب لها ، وادرك انها لعبة فاشلة .

ثم لجأت حكومة صالح جبر الى اثاره النعرات الطائفية وهو اخر سلاح تلجأ اليه الرجعية ، فوزعت نشرات تقول ان الحركة اثارها السنيون ضد الحكومة التي يرأسها شيوعي ، فكان ابلغ جواب وطني ، على هذه المحاولة ، ان النجف (الشيعية) اضربت اضرابا شاملا عنيفا ، وقامت فيها مظاهرات صاحبة احتجاجا على معاهدة جبر - بيغن ، واصطدم المتظاهرون بالشرطة اصطداما داميا ، وانتقلت حركة الاحتجاج والتظاهر والاضراب الى انحاء عديدة جديدة من العراق ، وازدادت الحركة قوة واتساعا وعنفًا .

وفي احدى مظاهرات بغداد ارسلت الحكومة بعض جواسيسها الذين حاولوا التسرب الى صفوف المظاهرات ، والسعي لخلق حالة

من فوضى الهتافات والقاء الشعارات ، وفي وسط هذه الفوضى هتف بعضهم بسقوط « الوزارة الرافضية » بقصد اثاره الفتنة بين ابناء الشعب الواحد . ولكن الجماهير كانت واعية يقظة ، فلم تؤخذ بهذه المحاولة المجرمة ، بل اضطر الهاتفون الى التواري والاختفاء بين الصفوف .

وفي احدى المظاهرات تمكن الجواسيس والدساسون من خلق بعض الفوضى وفي وسط الهرج والمرج سمعت بعض الهتافات الاستفزازية فتجهمرو المتظاهرون حول صاحب تلك الهتافات ولما تحروه عثروا في جيوبه على وثيقة انتمائيه لدائرة « التحقيقات الجنائية » (الامن العام) وعلى قائمة فيها اسماء جميع الطلاب المشتركين في المظاهرة من الشيوعيين وغيرهم من الأحزاب الاخرى والاحزبيين . وحاولت الحكومة وعملؤها ايضا ان تفرق الصفوف بين العرب والاكرد ، ولكن اشتراك الطلاب الاكرد في بغداد وغيرها بالمعركة واستشهاد بعضهم برصاص شرطة صالح جبر ، واشتراك المناطق الكردية كلها في الممعة الوطنية الموجهة ضد الاستعمار والمهادنة والاحتلال ، في سبيل استقلال العراق وسيادته وعزته القومية ، كل ذلك لم يكن فقط بمثابة صفة قوية في وجه الرجعية الحاكمة واسيادها الانكليز ، بل كان أيضا سبيلا الى توثيق عرى الاخاء العربي الكردي في العراق ، وتوطيد اواصر الوحدة الوطنية الداخلية بين جميع العناصر العراقية من مختلف الاديان والاجناس . ان اهمية الوثبة العراقية العظيمة لا تنحصر في انها ردت عن العراق بلاء داهما ، وحطمت سلسلة المعاهدات التي كان يراد فرضها على بقية الشعوب العربية ، واحبطت خطط الاستعمار البريطاني الاميركي ، وشوشت حسابات لندن وواشنطن . فمن اهم ما في هذه الوثبة أيضا انها ، في رفعها مستوى الوعي السياسي ومستوى روح الكفاح عند جماهير الشعب ، قد خلقت ظروفا جديدة اكثر ملائمة لتطوير الحركة الوطنية ، وتوطيد اركانها على اساس توحيد جميع القوى المنظمة والعناصر الواعية في جبهة وطنية واسعة تناضل لتحقيق تلك المطالب الشعبية والشعارات القومية التي اهتمت الالوف وعشرات الالوف النضال والاستشهاد في سبيلها .

حيرة بيفن وصفاقة الرجعية

لقد حارت الدوائر الاستعمارية البريطانية في تفسير فشلها في العراق وتبريره امام الرأي العام البريطاني والعالمي ، ولم يجد المستر بيفن وزير الخارجية البريطانية كلمة يقولها في الهزيمة المرة التي منيت بها محاولته في العراق ، بل سياسته في الشرق العربي كله . وقد راحت بعض الصحف البريطانية تعزو وثبة العراق العظمى الى ان نصوص المعاهدة قد اعلنت قبل الاوان دون ان يكون في بغداد من يستطيع الدفاع عنها وشرحها وتفسيرها . وكررت صحف اخرى القول ان الحركة هي من صنع العناصر المتطرفة في كراهيتها للانكليز ومن صنع العناصر الشيوعية . وقالت صحف اخرى ان وثبة الشعب العراقي كانت انتصارا عظيما احرزته موسكو . ولكن جميع هذه التفسيرات والشروح لم تكن لتخفي الفشل المخجل الذي اصيب به الاستعمار البريطاني وشريكه الاكبر الاميركي لا في العراق وحده ، بل في جميع اقطار الشرق العربي .

يظهر ان الرجعية محكوم عليها تاريخيا لا بالهزيمة والانذار فحسب ، بل بالجهل والصفاقة ايضا . ففي البرلمان العراقي صرح جمال بابان وكيل رئيس الوزارة ، جوابا على سؤال وجه اليه عن سبب اطلاق النار على الطلاب المتظاهرين فقال : « ان القوانين السائدة تمنع الطلاب من الاشتغال في السياسة ، والاشتغال في السياسة من حق مجلس النواب ومن حق كبار الساسة فقط » (كذا) . . .

وبعد ان هرب صالح جبر من بغداد الى لندن ، يجبر اذلال الهزيمة والخيانة ، صرح لجريدة التايمز ، واذاع تصريحه راديو لندن بالعربية ، وقد جاء في ذلك التصريح : ان الحركة العراقية كانت حركة رعا ، وان الشيوعيين واتباع رشيد عالي الكيلاني ، هم الذين اثاروا الطلاب . وقال ان الشيوعيين قد قاموا بذلك لحقدهم عليه من جراء التدابير الشديدة التي اتخذها ضدهم . ولا ريب ان ابلغ دليل على دنو اجل الرجعية هو عجزها عن الفهم ، وتماديها في الصفاقة والرعونة . وهذه ابرز مميزات صالح جبر وطفمته .

ان صالح جبر يناقض نفسه . فقد نسي « فخامته » انه كان يتبجح في اجتماعات الجامعة العربية ، وفي الاندية السياسية في لبنان ، اثناء الصيف الماضي ، بانه قضى على الشيوعية في العراق ، وازال الشيوعيين من الحياة العامة . وكان يحرض المسؤولين اللبنانيين والسوريين للسير على غراره والنسج على منواله . وها هو في لندن يشكو الى دوائر « السيتي » ما حل به وبمعاهدته مع بريطانيا ، على يد الشيوعيين الذين « ابادهم وافناهم » اكثر من مرة في العراق ، كما اباد غوبلز في بلاغاته الرسمية ، مئات المرات ، الجيوش السوفياتية في الجبهة الشرقية . ان صالح جبر الذي تتمثل فيه كل الرجعية العمياء الرعناء وكل العبودية والانصياع الوقح للاستعمار الاجنبي ، لا يستطيع ان يفهم او يدرك ان القوة التي حركت الشعب العراقي الى النضال ضد معاهدة بورتسموث ، قوة الجماهير الطامحة الى التحرر والانعقاد والحياة الاحسن ، هي قوة لا تغلب .

ان الرجعية المتجسدة بكل قبحها وقبحها ودناءتها وحقارتها بصالح جبر في العراق ، وبزملائه الحكام الرجعيين المباعين للاجنبي في العواصم العربية الاخرى ، لا يمكنها ان تفهم الحوادث ولا ان تتعظ بالحوادث . ان سيرة صالح جبر ونوري السعيد هي سيرة جميع الطفافة وخدم الاستعمار ، سيرة جميع المارقين والخونة في جميع العصور والادوار على اختلاف القوميات والاقطار . ان الطفافة والخونة ، لا يستطيعون ان يفهموا ان الاستياء من الظالمين يتكدر حبة فحبة ، والحق على المستبدين يتراكم ذرة فذرة ، حتى يقع الانفجار ، وينسف الظالمين والمستبدين ، ويقوض حكمهم وعروشهم وسلطانهم .

روت الصحف العراقية ان مئات الطلاب والطالبات في معاهد بغداد العالية تقاطروا ، في صباح الليلة التي اذيعت فيها نصوص المعاهدة ، الى دور التحليل والمستشفيات ، فحل كل منهم دمه واحتفظ في جيبه بنتيجة ذلك التحليل تسهيلا لمهمة الطبيب الذي سيضطر غدا او بعد غد اما لحقنهم بالدم الملأ من اخوانهم ، او لآخذ دمهم وحقن غيرهم من المصابين . وكذلك كتب الالوف من طالبات

وطلاب المعاهد العالية والثانوية هوياتهم وعناوين ذويهم واحتفظوا بها في جيوبهم ليهتدى بها الى اهلهم عندما يقتلون في كفاح منتظر قريب ...

ان شعبا هكذا يفكر شبابه ، لا يستطيع صالح جبر ولا يبن ولا ترومان ولا رشاشاتهم ومشاقهم ومحاكمهم ، اخضاعه واطفاء جذوة الطموح الى الحرية في صدره .

المغزى العميق لفشل بريطانيا في العراق

لقد كانت انتفاضة العراق حدثا خطيرا بعيد المدى عميق الاثر في السياسة الاستعمارية البريطانية - الاميركية في الشرق العربي . ولأجل فهم أهمية هذا الحدث ، وتقدير فداحة الفشل الذي منبت به سياسة الاستعمار وسياسة المستر بيغن بالذات ، يجب ان نعود قليلا الى وراء ، وان نلقي في نفس الوقت نظرة عامة على مشاريع الاستعمار في العالم العربي :

منذ ان خرجت الامبراطورية البريطانية من الحرب الاخيرة متعبة منهوكة القوى ادركت بانها لم تبقى قادرة على الاحتفاظ بوجودها كدولة استعمارية ، بالاساليب والوسائل التي كانت تستخدمها من قبل . فقد تعاظمت قوى الحرية والديمقراطية في العالم بعد هزيمة الفاشستية في الحرب ، وبعد تحطيم الاستعمار الالمانى ، والامبراطورية اليابانية ، وتوجيه ضربة قاصمة الى الاستعمار الطلياني ، واصابة الاستعمار الفرنسي بجراح ثخينة زعزت اركانه .

ونمت قوى التحرر عند شعوب المستعمرات والبلدان غير المستقلة في اسيا وافريقيا ، وتعاظمت قوة الاتحاد السوفياتي الاقتصادية والعسكرية والسياسية ، وازداد نفوذه في نظر جميع الشعوب ، باعتباره وطن الاشتراكية الظافرة ، والقوة الجبارة الكبرى المعادية للاستعمار في العالم ، والمؤيدة لحق الشعوب في التحرر والاستقلال والسيادة والتقدم .

وقد هبت ريح التحرر والانعقاد على ارجاء الشرق العربي

أقوى من أي وقت مضى . فنهضت الشعوب العربية بدورها الى النضال للتحرر من الاستعمار ومن الاحتلال العسكري الاجنبي الجاثم على صدرها منذ احقاب طويلة ، لكي تستطيع السير بـقدم ثابتة في موكب الامم الحرة المستقلة الديمقراطية .

ازاء هذه الحالة الجديدة ، ولا سيما بعد تجربة الاستعمار الفرنسي في سوريا ولبنان ، والهزيمة الكبرى التي مني بها امام نهوض البلدين ، و ظهور قوة التضامن العربي والدولي معهما ، اتجهت سياسة الاستعمار البريطاني الى تغيير شكل سيطرته على الاقطار العربية ، والباس هذه السيطرة ثوبا جديدا ، ثوبا « شرعيا » يظهر بقاء بريطانيا عسكريا وسياسيا واقتصاديا ، في هذه الاقطار ، امام الراي العام الدولي ، كأمر قائم برضى شعوبها واختيارها . وقد اتجهت السياسة البريطانية ، في سبيل تحقيق هذا الهدف ، الى التعاون والتفاهم مع الاستعمار الاميركي المتعطش الى الاسواق ومراكز المواد الاولية ، واعطاء الدولار حصة من الامتيازات الاستثمارية في المستعمرات البريطانية ومناطق النفوذ الامبراطورية ، مقابل تأييد اميركا السياسي والادبي لبريطانيا .

وكانت اول محاولة جرت في سبيل ذلك ، تلك المؤامرة البريطانية - الفرنسية - الاميركية على سوريا ولبنان ، التي تجلت في الاتفاق البريطاني الفرنسي الشهير المعروف باتفاق بيغن - بيدو المعقود في لندن في ١٣ كانون الاول ١٩٤٥ وكان ينص على تقاسم مناطق النفوذ في سوريا ولبنان بين بريطانيا وفرنسا . وقد تم هذا الاتفاق بمعرفة الولايات المتحدة وموافقتها ، كما ظهر ذلك ، فيما بعد ، في موقف ، ممثلها ستاتينيوس عند عرض قضية سوريا ولبنان على مجلس الامن في اوائل عام ١٩٤٦ .

وكانت نصوص ذاك الاتفاق تقضي ، في خطوطها الكبرى ، بجعل سوريا منطقة للنفوذ البريطاني ، ولبنان منطقة للنفوذ الفرنسي ، ويكون للاميركيين طبعاً امتيازات و « حقوق » في المنطقتين . ويذكر الجميع ان السلطات الحاكمة في البلدين قد رحبت ترحيبا علنيا ورسميا بهذا الاتفاق واعتبرته خاتمة الانتصارات الوطنية ، وتحقيقا لآخر الاماني القومية ، مما يدل على انها كانت مستعدة للقبول به

والتعاقد مع الاستعمار على اساسه وفي نطاقه . غير ان وعي الشعبين وبقظة القوى الشعبية المنظمة فيهما ، قد احبطا بالنضال ذلك الاتفاق ، وفضحا مراميه الاستعمارية المكشوفة . وقد ادى الضغط الشعبي الى عرض قضية سوريا ولبنان على مجلس الامن ، وكان لموقف ممثل الاتحاد السوفياتي ، في هذا المجلس اثر لا ينسى في دعم قضية البلدين ، وفضح اهداف اتفاق بيفن - بيدو ومراميه الاستعمارية ، وارغام المستعمرين الانكليز والفرنسيين على الجلاء العسكري النهائي عن اول قطرين عربيين في هذا الشرق .

تلك كانت المحاولة الاستعمارية الاولى . وقد فشلت فشلا فاضحا . غير ان بيفن استطاع الى حد ما ، ان يلقي عن اكتافه تبعه هذا الفشل وان يصوره كفشل للسياسة الفرنسية وحدها . وقد اعاد الانكليز الكرة مرة ثانية في مصر لاجل تعديل معاهدة ١٩٣٦ . ولكن المقاومة كانت شديدة ، فكان لا بد من قمع هذه المقاومة . وقد رأى اسماعيل صدقي باشا رئيس الحكومة المصرية ان يقوم بحملة صليبية على الشيوعية ، بأمل التمهيد للاتفاق مع الانكليز وكسر شوكة الحركة الوطنية الصاعدة . فأعتقل المئات من الطلاب والعمال والمثقفين والنشطاء والشباب من مختلف الاتجاهات الحزبية والسياسية المعارضة للاستعمار ، تحت ستار مكافحة الشيوعية ومكافحة العناصر « الهدامة » ، وعطل عددا كبيرا من الصحف ، بينها صحيفة « الوفد المصري » المعروفة بانتماؤها لحزب الوفد ، لا لاية هيئة شيوعية ، وبعد ان اثار ابواق الدعاية الاستعمارية والصحافة المأجورة ومحطات الاذاعة حملة شديدة على « الخطر الاحمر » المزعوم الذي « يهدد » الشرق العربي بشر مستطير ، ظن صدقي باشا ان الجو قد خلا له وصفا ، فطار الى لندن ، وفاوض المستر بيفن ودوائر وزارة الخارجية اياما ، واذاع ، واذاعت معه الابواق الاستعمارية ، تصريحات ملؤها « التفاؤل » و « الاطمئنان » . وقد تم في تلك السفارة عقد الصفقة الشهيرة التي اطلق عليها اسم اتفاق صدقي - بيفن . وكان ذلك الاتفاق ينص فيما ينص عليه ، من تعديل المعاهدة المصرية - البريطانية ، على تأليف مجلس « دفاع مشترك » يمكن بريطانيا من ابقاء سيطرتها العسكرية على مصر

ويخولها حق ارجاع جيوشها اليها ، وسوق القوات المصرية للمقاتلة الى جانب قوات الامبراطورية خارج الاراضي المصرية في حال نشوب حرب جديدة .

وقد قاوم الشعب المصري ذلك الاتفاق وناضل ضده وضد موقعه نضالا عظيما ، فأضطر صدقي باشا الى الاستقالة والانحساب من الحكم ، وفشلت المحاولة البريطانية الثانية ، امام يقظة الشعب المصري ونهوضه ، واستعداده للنضال ضد الاستعمار حتي النهاية لتحرير وادي النيل من الاحتلال البريطاني الذي ينوء تحته منذ أكثر من ستين عاما .

اما المعاهدة الاردنية - البريطانية التي « نجح » الانكليز في ابرامها مع الملك عبدالله فلم يكن فيها اية ناحية يصح ان تسمى فوزا للسياسة البريطانية . ولم يستطع ، حتى اخلص « أصدقاء » بريطانيا و « اكبر » عملائها الدفاع عنها امام الشعوب العربية ، لان تلك المعاهدة التي كرست بقاء الاحتلال العسكري البريطاني في شرق الاردن الى اجل غير مسمى ، واخضعتها للسيطرة الاستعمارية المطلقة ، زادت في عدم شعبية مملكة شرقي الاردن وملكها ، وزادت في فضح نيات الاستعمار البريطاني الرامي الى تثبيت سيطرته في الاقطار العربية . فقد كشفت معاهدة شرقي الاردن المعقودة سنة ١٩٤٦ والتي عدلت مؤخرا في اذار ١٩٤٨ ، القناع عما يسميه المستريبن واعوانه في وزارة الخارجية ، أستقلالا للشعوب العربية ، كما كشفت القناع عن حقيقة « الصداقة » التي يزعم بيفن وعملاؤه الرجعيون في العواصم العربية ان بريطانيا تكنها للعرب . وهكذا كانت معاهدة شرق الاردن قبل التعديل وبعده خطوة الى وراء بالنسبة للاهداف البريطانية الاستعمارية في الشرق العربي ، بدلا من ان تكون خطوة الى امام ، كما كان المستعمرون يأملون .

التمهيد للخيانة والحملة على الشيوعية

وهكذا ، بعد الفشل في سوريا ولبنان ، وبعد الهزيمة في مصر ، وبعد « النجاح الكاريكاتوري » في شرق الاردن ، يمم المستر بيفن وجهه شطر العراق ، وكان يظن ان العراق اصبح سهلا هينا ، وانه في قبضة صالح جبر ونوري السعيد ، كما هما في قبضة

المستري بيغن نفسه . ولم يداخل المستري بيغن اي شك في مصير معاهدة بورتسموث ، فقد كان يظن ان امرها بات مفروغا منه ، وان الاصوات التي ارتفعت ضدها في العراق ، لن تلبث ان تخفت وتسكت وتلاشى .

ومما كان يزيد بيغن يقينا بنجاح تجربته في العراق ، ان مشروع معاهدة بورتسموث كان قد جرى التحضير له منذ امد طويل فقد عقدت معاهدة تركية - عراقية ، امتعضت لها واستنكرتها الاوساط الشعبية والقومية في جميع الاقطار العربية ولا سيما في سوريا ، اذ اعتبرت كدليل على عدم تضامن الحكومة العراقية مع سوريا التي اغتصبت تركيا منها لواء الاسكندرونة العزيز . ثم عقد اتفاق اردني - عراقي كان الهدف منه تثبيت الوضع الاستعماري الجديد الذي آلت اليه شرق الاردن بعد خضوعها لقيود المعاهدة مع بريطانيا . فكان الاتفاق العراقي الاردني مظاهرة تأييد صريحة من حكومة بغداد للسياسة الاستعمارية البريطانية في شرق الاردن ، تمهيدا لتطبيق هذه السياسة وتنفيذها في اقطار عربية اخرى ، وفي العراق بالذات .

ومن اهم الاساليب التي استخدمت للتمهيد لعقد المعاهدة العراقية الانكليزية الجديدة ، وتنفيذ الخيانة ضد العراق ، الحملة على الحريات العامة ، ومحاولة خنقها والقضاء عليها ، تحت الستار التقليدي المعروف ، الذي يستخدمه كل خائن لوطنه ، وكل من يستعد لخيانة وطنه وبيعه للاجنبي ، ستار « مكافحة الشيوعية » . فأخذ القائمون على الحكم في العراق ، نزولا عند تحريض الدوائر الاستعمارية البريطانية والاميركية ، يشنون حربا شعواء على الحريات الديمقراطية والدستورية ، ويطاردون المناضلين الوطنيين الذين يطالبون بالجلاء والاستقلال والغاء معاهدة ١٩٣٠ . فقد عطلت الحكومات العراقية المتعاقبة الصحف الوطنية كلها تقريبا ، حتى بلغ عدد الصحف المعطلة ١٦ صحيفة في بعض الاحيان . وحلت واغلقت كثيرا من الاحزاب والمنظمات السياسية ، واحالت كثيرين من اعضائها وقادتها الى المحاكم ، واضطهدت تلك الحكومات حركة العمال النقابية ، فحلت عددا من نقابات العمال القائمة ، ورفضت

الترخيص لكثير من العمال في تأليف نقابات لهم . واطلقت النار على المتظاهرين فقتل وجرح منهم كثيرون ، وكذلك اطلقت النار في كركوك على العمال المضربين المجتمعين في احدى الساحات لبحث مطالبهم من شركة النفط الانكليزية ، فكانت مجزرة هائلة سقط فيها عشرات من القتلى والجرحى .

واغرقت حركة البارزانيين المطالبة ببعض الحقوق الديمقراطية للاكراد بالنار والدم ، وشردت الالوف مع عائلاتهم عن قراهم ومنازلهم ، بعد اعدام فريق منهم .

ثم اجرت حكومة نوري السعيد انتخابات نيابية سيطر عليها الارهاب والتزوير ، عرف الشعب اللبناني بعض نماذجها في انتخابات ٢٥ ايار التي اجرتها حكومة رياض الصلح كميل شمعون .

وتابعت حكومة صالح جبر ، التي تألفت بعد الانتخابات المزيفة ، حملتها على الحريات العامة ، فأحالت الى المحاكمة عددا كبيرا من المناضلين ضد الاستعمار ، من ذوي الاتجاهات السياسية المختلفة ، وارسلت الكثيرين الى المعتقلات والسجون . وبلغت هذه الحملة اوجها ، لما حكمت محكمة بغداد ، في صيف ١٩٤٧ ، بالاعدام على عدد من الشيوعيين العراقيين ، ثم اضطرت حكومة صالح جبر ، تحت ضغط الاستنكار والاستياء في الراي العام العربي الدولي ، الى تبديل حكم الاعدام ، بالسجن المؤبد .

ولم يكتف صالح جبر واسياده الاميركان والانكليز بالهجوم على انحرثات الديمقراطية في العراق . بل ارادوا متابعة الهجوم على الحرية في لبنان وسوريا . ولذلك كان صالح جبر ، اياه ، في اجتماعات اللجنة السياسية للجامعة العربية في صوفر في صيف ١٩٤٧ ، وفي اجتماعات مجلس الجامعة العربية في عاليه ، في طليعة المطالبين باتخاذ تدابير ضد الحركة الشيوعية في لبنان وسوريا ، تنفيذاً لتعليمات الدوائر الاميركية الانكليزية . ولم يجد صالح جبر صعوبة كبرى في اقناع زملائه في بيروت ودمشق ، بضرورة النزول عند ارادة الاسياد في لندن وواشنطن .

وقد كان صالح جبر واسياده الانكليز يعتقدون ان التدابير التي اتخذت ضد الحريات العامة وضد الشيوعيين في العراق ،

اصبحت كافية لشل الحركة الوطنية العراقية ، وتحطيم النضال الوطني في العراق ضد الاستعمار . وقد اعتقد المستعمرون انهم قد امنوا مؤخرتهم في العراق ، تمهيدا لتنفيذ مؤامرة المعاهدة « الجديدة » ، ولم يبق عليهم سوى ان يؤمنوا مؤخرتهم في لبنان وسوريا ، وذلك بتوجيه ضربة الى الحركة الوطنية العربية في هذين القطرين ، عن طريق حل الحزبين الشيوعيين اللبناني والسوري ، فيكون ذلك في نفس الوقت ، تمهيدا لتنفيذ مؤامرات استعمارية في لبنان وسوريا ، شبيهة بمؤامرة بيفن - جبر في العراق .

والى جانب الحملة على الحركة الوطنية تحت ستار مكافحة الشيوعية « في الداخل » ، كانت الحملة على « الخطر الاحمر » المزعوم ، و « المطامع السوفياتية » الموهومة ، مستمرة ، وآخذة في الاشتداد . فالصحافة الاميركية والصحافة الاستعمارية البريطانية ، توازرها وتعاضدها بخضوع وانصياع ، جميع محطات الاذاعة والصحف المأجورة في الاقطار العربية ، ما انفكت منذ اكثر من سنتين تشير باساليب مباشرة او ملتوية ، الى وجود « التحالف العربي الانكليزي » للوقوف في وجه « التوسع الروسي » .

لم يكن اضطهاد الحرية والحملة على الشيوعية في الاقطار العربية ، مما يكفي في نظر الدوائر الاستعمارية ، لاجل التمهيد لتنفيذ مؤامرة المعاهدة الاستعبادية ، فالمستعمرون الانكليز لا يجهلون ان الحكومة التي يجب ان يتخذ العرب سياستها انموذجا يحتذى في الاقطار العربية يجب ان تكون لها سمعة وطنية ، وان تتمتع بشيء من الشعبية . ولذلك راحت ابواق الدعاية الانكليزية والاميركية ، تسبغ على صالح جبر اشكالا والوانا من الصفات الوطنية ، وتضعه في مقدمة « رجالات » العرب القوميين الاقحاح . وكانت محنة فلسطين من اهم الوسائل التي استعملها صالح جبر لكسب الشعبية الرخيصة المفقودة امام الجماهير على حساب نكبة القطر الشقيق . فقد حاول ان يظهر نفسه ، في اجتماعات الجامعة العربية في صوفر وعاليه ، في صيف ١٩٤٧ ، وفي تصريحاته الطنانة للصحافة ، كحامل لواء الدفاع عن فلسطين . وقد نظم الولايم ودعا اليها الصحافيين وغير الصحافيين . وكانت محطات الاذاعة التابعة

للفوز الانكلو اميركي ، في معظم الاقطار العربية تذيع تصريحات
« صاحب الفخامة » العراقي .

وفي جملة المظاهرات التي استغلتها الدعاية الاستعمارية
لمصلحة حكومة صالح جبر ، بأمل تعزيز نفوذها السياسي في العراق ،
وفي الاقطار العربية ، زيارة رئيس الجمهورية اللبنانية للعراق في
اواخر الصيف الفائت .

واخيرا بلغت قضية فلسطين اوج حدتها بعد اقرار الامم
المتحدة مشروع التقسيم ، وهي الفرصة التي كان المستر بيغن ،
ينتظرها للمباشرة بالتنفيذ العملي لمشاريع الاستعمار البريطاني ، كما
كانت ايضا المناسبة التي ينتظرها عملاء بريطانيون و « اصدقاؤها »
من القائمين على الحكم واعوانهم في الاقطار العربية ، لتنفيذ خيانتهم
ضد الشعوب العربية ، تحت ستار الدفاع المزعوم عن فلسطين .

فكان ان طار صالح جبر ونوري السعيد وفاضل الجمالي الى
لندن ومنها الى بورتسموث ، وكان هناك ما كان ، وظن المستعمرون
وخدمهم ان المؤامرة قد نجحت وانهم رسموا في بورتسموث للشعب
العراقي وسائر الشعوب العربية طريق العبودية والخضوع للاستعمار
الى اجل طويل !

خطا حساب بيغن

ولكن سرعان ما تبين للمستعمرين وخدمهم الحكام الرجعيين
في الاقطار العربية ، خطأ حسابهم وضلال تقديرهم . فان وثبة
العراق لم تكن حدثا خطيرا في المقياس الوطني العراقي فحسب ،
بل في المقياس العربي والدولي ايضا . اذ تبين ان السياسة
البريطانية التي كسبت فيما مضى شهرة في الحذق وبعد النظر ،
والدهاء ، اصبحت سياسة مفلسة وعاجزة وقصيرة النظر ، وقد
فقدت مرونتها القديمة وقدرتها السابقة على المناورة . فالانتفاضة
العراقية قد قلبت رأسا على عقب جميع الخطط والمشاريع التي
رسمتها بدقة كبرى دوائر « السيتي » في لندن بالاتفاق مع دوائر
« وول ستريت » في نيويورك . فقد كانت المعاهدة العراقية نموذجا
للمعاهدات التي تنوي بريطانيا عقدها مع بقية الدول العربية ، وقد

صرح بيفن في مجلس العموم بان المعاهدة العراقية هي الحلقة الاولى من سلسلة المعاهدات التي تنوي بريطانيا عقدها مع الدول العربية ودول الشرق الاوسط .

وفضحت الصحف البريطانية النيات الاستعمارية اكامنة وراء معاهدة بورتسموث ، فعلق المراسل الدبلوماسي لجريدة « ديلي تلغراف » على المعاهدة « الجديدة » بقوله : « ان اوساط لندن ترى ان هذه المعاهدة قد تتخذ ، الى حد ما ، نموذجا عاما تعقد بريطانيا على غرارها معاهدات ثنائية مع بلدان اخرى في الشرق الاوسط ، ويمكن فيما بعد ربط جميع المعاهدات العربية الانكليزية بنظام امن عام في هذا الجزء من العالم . . . » .

وايدت مجلة ايكونومست ذلك فقالت : « ان المعاهدة العراقية الانكليزية الجديدة هي الخطوة الاولى في سبيل اقامة صلات بريطانيا ببلدان الشرق الاوسط » .

وعند الاحتفال بتوقيع المعاهدة قال صالح جبر : « انني كبير الامل في ان تبدأ هذه المعاهدة عهدا جديدا من العلاقات لا بين بريطانيا والعراق فقط ، بل بين بريطانيا وسائر العالم العربي ايضا . . . » .

وفي الواقع كانت الاستعدادات قائمة على قدم وساق لاجل المباشرة ، بعد خطوة العراق ، بمفاوضات عملية وجدية مع سوريا ولبنان . وكان حديث استئناف المفاوضات مع مصر قد اخذ يظهر في الصحف ووكالات الانباء الناطقة بالوحي البريطاني . حتى لقد ذهب بعض الصحف الى القول ان المفاوضات المصرية - البريطانية ستجري هذه المرة بصورة سرية ، حتى لا يحل بها ما حل بالمفاوضات السابقة . واخذت لهجة عملاء بريطانيا « واصدائها » تعلو اكثر فاکثر في الاوساط السياسية . وبدأت فعلا محادثات مع الدولة السعودية لعقد معاهدة مع بريطانيا .

اما الرجعيون القائمون على الحكم في معظم الاقطار العربية فكانوا يترقبون مصير محاولة زميلهم صالح جبر ، حتى اذا كان النجاح حليفها مضوا في السير على غرارها ، بلا تردد ولا تریص . وحين يرى الوطنيون المخلصون العرب ، اليوم ، ان انتفاضة

الشعب العراقي ، قد هدمت كل ما بنت الدوائر الاستعمارية من خطط ورسمت من اهداف في الشرق العربي ، يدركون ، بامتنان وتقدير واعجاب ، اي بلاء مداهم ابعده ابناء الرافدين البواسل عن جميع الشعوب العربية .

لقد اعطى الشعب العراقي الجواب الفاصل على سؤال الذين كانوا يتساءلون : اين يجب ان تقف الشعوب العربية في هذا الصراع القائم بين المعسكرين الدوليين ، المعسكر الاستعماري ، والمعسكر المعادي للاستعمار ؟ فقد جاءت وثبة العراق بالبرهان القاطع على خيانة القائلين بالتحالف والتعاقد مع المعسكر الاستعماري امثال صالح جبر ونوري السعيد ، وعلى تضليل القائلين بالوقوف على الحياد بين المعسكرين من امثال بعض الساسة ورجال الحكم الرجعيين في بيروت ودمشق وغيرهما . لان ادعاء الحياد بين المعسكرين ، ليس في الواقع سوى التنفيذ العملي للسير في سياسة التحالف والتعاقد مع الاستعمار اي سياسة الاستسلام والانصياع وبيع الاستقلال والسيادة الوطنية نهائيا للمستعمرين الانكليز والاميركيين .

فكيف يمكن ان يفكر وطني مخلص لحظة واحدة ، ان موقف العرب يمكن ان يكون واحدا من كتلة الدول الاستعمارية ومن الاتحاد السوفياتي والدول الديمقراطية ، والحركات الديمقراطية والوطنية في سائر انحاء العالم ؟

فالكتلة الاولى تحتل جيوشها اراضي الاقطار العربية وتستولي رساميلها على البترول وغيره من اهم منابع الثروة في الشرق العربي ، وتريد في الوقت نفسه ان تحتفظ بسيطرتها العسكرية والسياسية والاقتصادية على هذه الاقطار ، في حين ان الاتحاد السوفياتي البلاد الاشتراكية ودول الديمقراطية الجديدة في اوروبا ، ليست لها في اية بقعة عربية لا جيوش احتلال ، ولا رساميل ولا امتيازات بترولية ، وليس لها اي مطمع لا في ثرواتنا ، ولا في الاستيلاء على المواقع الاستراتيجية في اراضي اوطاننا ، بل كل ما تبتغيه لنا هو ان تكون اوطاننا مستقلة ، وحررة من كل قيد استعماري يكبلها ، ومن كل امتياز ينهب خيراتنا ويفرض على

شعوبها الجوع والبؤس والتأخر .

واذا كان الصراع شديدا بين المعسكرين العالميين، فان الجماهير العربية تدرك ان من واجبها ومصحتها ، تشديد نضالها ضد المعسكر الذي لها بدمته حقوق ومطالب وحسابات ، حتى تحطم نير احتلاله واستعمارده ، وتتحرر من سيطرته وسيادته . ان الشعوب العربية حين تسلك هذه الخطة ، خطة تشديد النضال ضد المعسكر الاستعماري الرجعي ، لا تسير في ذيل اية كتلة دولية ، ولا تخدم اية اهداف اجنبية ، بل تدافع عن حقوقها ، وتناضل لاجل كيانها ، وتسير في طريق التقدم والرقي ، طريق التحرر والسيادة والديمقراطية . اما سياسة التعاقد والتحالف مع الاستعمار الانكلو اميركي ، سواء انفذت على المكشوف ، كما حاول صالح جبر ونوري السعيد ان يفعلوا ، وكما فعلت مملكة شرقى الاردن ، ام نفذت تحت غطاء « الحياد » المزعوم ، كما تحاول ان تفعل الفئات الرجعية الحاكمة في لبنان وسوريا ، ان هذه السياسة ليست سوى طريق الى تشديد قيود الاستعمار في اعناق الشعوب العربية ، وتوطيد سيطرته على اقطارنا ، والاحتفاظ باحتلاله العسكري في اراضينا . وهذا ليس معناه « الحياد » ، بل معناه ربط البلاد العربية كلها في ذيل الكتلة الامريكية الانكليزية وارجاع العرب القهقري في طريق التأخر السياسي والقومي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي .

التهويل بخطر الحرب « والخطر الشيوعي »

خدعة لتنفيذ اهداف الاستعمار الاميركي البريطاني

ان الدعاية الاستعمارية الاجنبية وابواقها المأجورة في الاقطار العربية كالصحف المبيعة ، ومعظم محطات الاذاعة تحاول ان تهول بخطر الحرب ، لكي تخلق جوا ملائما لتنفيذ اهداف الاستعمار الاميركي - الانكليزي . وتسعى هذه الدعايات الى ايهام العرب بان هناك « خطرا سوفياتيا » على ديارهم ، و « زحفا شيوعيا » يهددهم . واغراض المستعمرين من وراء ذلك واضحة بينة . فهم يريدون ان يثذرعوا بوجود خطر الحرب لتبرير ابقاء جيوشهم في اراضي الاقطار الاخرى ، ومنها الاقطار العربية ، ولتبرير استيلائهم على قواعد عسكرية جديدة في اراضي الغير . كما انهم يريدون

ايضا الاحتفاظ بعدد كبير من قواتهم المسلحة الى اطول امد ممكن لان تسريح الجيوش يزيد في أزمة البطالة التي تزداد تفشيا ولا سيما في اميركا . وتخلق الدعاية للحرب جوا ملائما يستغله صانعو الاسلحة وتجارها في الولايات المتحدة ، لتصريف بضائعهم في الاقطار التي يزعمون انها مهددة « بالاعتداء السوفياتي » كتركيا وايران ، واليونان ، وحتى اوروبا الغربية (قرار اميركا بتسليح فرق فرنسية جديدة) وينوي طغاة الاحتكار والرأسمال الاميركيين ان يجعلوا من الاقطار العربية ايضا سوقا لتصريف اسلحتهم ، بعد ادخالها في نظام المحالفات الذي يريدون فرضه عليها .

وفوق ذلك فان المستعمرين يستهدفون من خلق جو منذر بالحرب ، ومن التهويل بـ « الخطر الشيوعي » الهاء شعوب بلادهم عن مطالبها وعن النضال في سبيل تحسين احوالها ، كما يرمون الى التهويل والتهويش على شعوب المستعمرات بقصد اضعاف نضالها في سبيل تحررها الوطني واستقلالها .

والرجعية الحاكمة في الاقطار العربية تساهم جهدها في نشر دعاية الحرب ، وفي حمل الناس على تصديقها . فالصحف المأجورة ، ومحطات الاذاعة في الاقطار العربية تردد بلا انقطاع صدى ما تذيعه الدعاية الاستعمارية الصادرة عن واشنطن ولندن . ومن الواضح ان غاية الحاكمين من وراء ذلك هي تبرير خضوعهم للاستعمار ، وحمل الشعب على قبول المحالفات والمعاهدات ، وتنفيذ خيانتهم ، وبيع البلاد للاجنبي .

ولكن الشعب العراقي قد اثبت للملأ اجمع ان العرب لا يؤخذون بمثل هذا التهويل ، ولا ينقادون لمثل ذاك التضليل .

اما الذين يدعون انهم يريدون الاعتصام بالحياد ، وعدم زج الاقطار العربية في أي معسكر دولي ، فان أبسط دليل يطلب منهم تقديمه على صدق حيادهم هو النضال ضد بقاء الجيوش الاجنبية في الاقطار العربية ، لان مجرد وجود هذه الجيوش في أي قطر عربي ، او الموافقة على وجودها ، معناه خروج على الحياد ، يعرض اوطاننا لان تصبح من ساحات القتال . واذاً فان « الحياد » الذي

يدعون اليه ، باسم ابعاد خطر الحرب عن بلادنا ، غير ممكن الا على اساس النضال في سبيل استقلال الاقطار العربية كلها ، وتحررها من الاحتلال العسكري الاجنبي ، ورفض كل محالفة مع الاستعمار الانكلو اميركي .

ولكن الامر ليس هنا . ان الشعوب العربية كلها تدرك يقينا ان لا خطر حرب عليها ولا « زحف شيوعي » يهددها . اما امتيازات البترول وغيرها من الامتيازات الاستعمارية فالخطر الذي يهددها ليس سوفياتيا ولا شيوعيا ، كما تزعم الدعاية الاميركية والانكليزية بل هناك نهضة الشعوب العربية في سبيل استرجاع حقوقها المفتصبة ، وعدم قبولها ، بعد اليوم ، بالرضوخ لسيطرة لندن وواشنطن .

والخطر الحقيقي الذي يهدد الشعوب العربية هو ان المستعمرين الانكليز والاميركان ، وحلفاءهم الحكام الرجعيين في الداخل ، يريدون جعل اوطاننا العربية وتركيا وايران واليونان مراكز امامية للاعتداء على دول الديمقراطية الجديدة في اوربا الشرقية وعلى الاتحاد السوفياتي ، لا لرد الزحف السوفياتي ، كما يزعمون .

والخطر الحقيقي الذي تخشاه الرجعية الداخلية المتحالفة مع الاستعمار الاجنبي ، هو نهوض الجماهير الشعبية الى المطالبة بحقوقها الديمقراطية ، وبالوصول الى حياة احسن وارقى في وطنها . فالفئات الحاكمة في الاقطار العربية قد فقدت كل سند وكل نفوذ عند الشعب ، كما هي الحال في حكومة صالح جبر وحكومة صاحب الجلالة الاردنية ، او هي تفقد بسرعة زائدة كل سند وكل نفوذ عند الشعب ، كما هي الحال في لبنان وسوريا . وسبب ذلك هو الاستسلام للتدخل الاستعماري الاجنبي ، والتفريط باستقلال البلاد ، والاستهتار بمصالح الشعب وتجاهل مطالبه ، والانصراف التام الى تأمين اكثر ما يمكن من الارباح والثروات لبعض الفئات والعائلات عن طريق التفاهم والتواطؤ مع الراسمال الاجنبي ، على حساب تجويع الشعب ، وزيادة استفحال الفلاء ، وتفشي البطالة ، وانتشار البؤس والفقر ، وتردي البلاد في هوة الخراب الاقتصادي ، وتسليم ثرواتها الطبيعية ومرافقها

لرأسمال الاجنبي يتحكم في مقدراتها وسيطر على شؤونها .
ولاجل التمكن من تنفيذ هذه السياسة المجرمة ، تمعن الاوساط
الرجعية من الطبقات الحاكمة ، بتحريض الاستعمار وتشجيعه ،
في مهاجمة الحريات الديمقراطية ، والتضييق عليها ، وحل الاحزاب
الوطنية الشعبية لحرمان الشعب وسائل الدفاع عن نفسه
وحقوقه . (افعال مكاتب الحزب الشيوعي اللبناني والحزب
الشيوعي السوري ، والاعتداء على حرية نقابات العمال ، وخنق
اصوات الصحافة الحرة وتزوير الانتخابات النيابية في لبنان في
٢٥ ايار ١٩٤٧ ... وملاحقة المناضلين ضد الاستعمار والمدافعين
عن خبز الشعب الخ .)

وحين يسلك الحكام الرجعيون هذه الطريق ، طريق تأمين
مصالحهم الخاصة ومصالح من يلوذ بهم ، على حساب اهمال
مصالح الشعب والامة ، وحين يفقدون كل سند ونفوذ عند الشعب ،
يزدادون ، بطبيعة الحال ، ارتماء في احضان الاجنبي ، واستنادا
الى حرابه وقوته في تثبيت حكمهم وتوطيد سلطانهم .

هذا هو الطريق الذي سلكته الحكومات العراقية المتعاقبة
فادى الى زيادة انتشار الفقر والبؤس والجوع في العراق ، بصورة
لم يسبق لها مثيل ، وانتهى الى الخيانة الصريحة الوقحة في
معاهدة بيفن - جبر التي هب الشعب العراقي في وجه عاقيدها
هبتة اتاريخية الوطنية العظيمة واحبطها .

وهذا هو الطريق الذي اخذت تسلكه الاوساط الرجعية
من الطبقات الحاكمة في لبنان ، وفي سوريا ، وتسلكه ايضا جميع
الرجعيات الاخرى الحاكمة في الاقطار العربية .

ولكن الشعب العراقي قد دل كل شعب عربي على الطريق
الواجب اتباعه لاحباط مشاريع الاستعمار والرجعية ، ولن تكون
الشعوب العربية الاخرى اقل عزيمة واقداما من الشعب العراقي
في النضال ضد الاستعمار الاجنبي وضد جميع خدامه الرجعيين
الداخلين الخائنين الذين يريدون السير في طريق صالح جبر
ونوري السعيد .

لقد حطم الشعب العراقي في وثبته العظيمة تفاهم الاستعمار

والرجعية الخائنة . ولكن ذلك لا يعني ان الاستعمار قد كف عن محاولاته وطوى مشاريعه ، وعدل عن خطته الرامية الى تثبيت نفوذه ، واستعادة سيطرته ، كما لا يعني ان الرجعية قد انعظت ، وتابت ، ورجعت عن طريق الخيانة والباطل ، الى طريق الوطنية والحق . كلا !!

ان العراق قد ربح معركة على الاستعمار والرجعية ، وابتعد ، الى حين ، خطرا كان يهدد كل الاقطار العربية . ولكن المعركة الفاصلة لم تربح بعد . ولا بد لذلك من نضال طويل شاق عنيد . ولا ريب ان السياسة البريطانية ستحاول من جديد ، ان تعيد الكرة لتنفيذ مشاريعها وخطتها ، بل ان المحاولة لم تنقطع ، ولكنها تجري باشكال اخرى . ففي ١١ شباط الفائت وجه النائب الشيوعي وليام غالاشير الى بيفن في مجلس العموم السؤال التالي : « الان وقد رفضت الحكومة العراقية معاهدة بورتسموث التي كانت وزارة الخارجية البريطانية تعتبرها اساسا للمعاهدات التي ستعقدها مع اقطار الشرق الاوسط ، فهل ينوي وزير الخارجية الماضي في سياسته القائمة على عقد مثل هذه المعاهدة مع دول الشرق الاوسط ؟ »

وقد اجاب المستر بيفن بقوله : « ان الاتصال مستمر مع دول الشرق الاوسط على امور عديدة ذات مصالح مشتركة ، ومن العسير في الوقت الحاضر تعيين الشكل الذي ستتحده العلاقات مع دول الشرق الاوسط »

ان هذا الجواب فيه الدليل الكافي الذي يفضح نيات المستر بيفن ، ومقاصد السياسة البريطانية في الشرق العربي . يضاف الى هذا ان الجنرال كلايتون ، رئيس شعبة التجسس البريطانية في الشرق العربي ، قد سافر الى بغداد عقيب الحوادث الاخيرة ، بعد ان مر مرورا سريعا في بيروت ودمشق . ولا حاجة الى البرهان بان سفرة كلايتون الى بغداد تستهدف الاتصال بالدوائر الحاكمة في العراق ، والسعي الى اعادة بناء ما تهدم من مشاريع بيفن وترومان في الشرق العربي . ولنذكر بالمناسبة انه لم يكن قد مضى على وصوله الا قليل

من الوقت ، حتى اذيع ان بعضهم قد تقدموا بطلب تأليف فرع « للاخوان المسلمين » في العراق . ثم ذكرت الصحف انباء اصطدامات وقعت في كلية فيصل بين من يسمونهم « قوميين » وبين اليساريين والشيوعيين . ثم سافر بعد كلايتون ، القائمقام محمد يوسف ، احد مفوضي الامن العام المصري التابع طبعا لدوائر التجسس البريطانية ، وممر بطريقه ايضا في بيروت ودمشق . وقد صرح « سعادته » في بغداد ، بانه من الطبيعي ان توحد الدول العربية جهودها في مكافحة خطر الشيوعية (كذا) . اما الاستعمار والاحتلال الجاثم على صدر الشعوب العربية ، فسعادة القائمقام واسياده يرحبون به ، وهو « على قلبهم احلى من العسل » .

ان كلايتون في سعيه ، لتفريق صفوف الشعب العراقي ، وهدم تلك الجبهة الوطنية الجبارة التي تحقق انشاؤها في معمران الانتفاضة العظيمة ضد معاهدة بيفن - جبر ، يستهدف في الوقت نفسه الاتصال بعناصر جديدة ، والتفاهم معها ، من وراء ظهر الشعب . فما دام صالح جبر ونوري السعيد وفاضل الجمالي ، وكل من يلوذون بهذه الطغمة ، قد فضحوا امام الشعب وظهرت خيانتهم في الاقطار العربية ظهورا لا جدال فيه ، فلماذا لا يبحث بيفن عن « وجوه » جديدة « نظيفة » لم « يتلوث » اصحابها بعد ، ولو في الظاهر على الاقل ، بالتفاهم مع البريطانيين والميل اليهم ؟ . وما الذي يمنع كلايتون من ان يتجه للبحث عن العناصر الرجعية في بعض الاحزاب والجماعات ؟ ان اخبار الاصطدام الذي وقع بين طلاب منتمين لحزب الاستقلال من جهة والطلاب الشيوعيين والعمال من جهة ثانية ، وترتبة العراق بعد ندية بدم الشهداء من جميع الاحزاب والاتجاهات ، تدل على الاتجاه الذي يسير فيه كلايتون وخدمه ، وهو تفرقة الصف الوطني في العراق ، للتفاهم والتواطؤ مع العناصر الرجعية في « حزب الاستقلال » وفي غيره ، والعمل على اخراج مجلس نيابي من الانتخابات المقبلة ، يكون كطبعة جديدة منقحة ، للمجلس السابق ، فيستطاع عن طريقه تحقيق اهداف الاستعمار والرجعية . هذه آمال كلايتون !

ومن الجلي ان خطة « فرق تسد » لا تزال هي الخطة المثلى

التي يسير عليها الاستعمار ، فان لم يستطع تنفيذها عن طريق الطائفية ، او اثارة النعرات العنصرية ، فعن طريق التطاحن الحزبي ، والنزاع بين « القوميين » والشيوعيين ، والمقصود بالقوميين في قاموس الاستعمار العناصر الرجعية التي تفرر ببعض المخلصين ، والمقصود بالشيوعيين جميع المعارضين للاستعمار ومشاريعه ، المناضلين من اجل الاستقلال والسيادة الوطنية الصحيحة ، بصرف النظر عن طبقاتهم الاجتماعية ، وسواء اكانوا من العمال ام من اصحاب الصناعة ، ام طلابا ومثقفين وفلاحين او حتى من بعض كبار ملاكي الاراضي الوطنيين .

ولكن الشعب العراقي الذي عرف كيف يوحد صفوفه في وجه مؤامرة بيفن-جبر، ويحبط معاهدة بورتسموث ويطرد عاقيدها من الحكم ، سيعرف كيف يحبط مؤامرة كلايتون وكل من يتآمر معه من الخارجين على ارادة الشعب العراقي والذين تحدثهم انفسهم بالسير في طريق خيانة الاماني الوطنية العراقية . ولا ريب ان جميع الوطنيين المخلصين والمناضلين العراقيين الواعين يعرفون ان قضية العراق هي قضية توطيد وحدة الصفوف الوطنية والنضال لاحباط كل مؤامرة جديدة ، من اي طريق جاءت ، ومتابعة المعركة في سبيل التحرر من الاحتلال البريطاني ورفض كل محالفة مع الاستعمار ، وتحقيق الاستقلال والسيادة الوطنية الصحيحة ، والدفاع عن خبز الشعب وحرية ، والسير في طريق الديمقراطية والتقدم .

« اللعبة » الاميركية في قضية فلسطين

لقد تظاهرت بريطانيا « بالحياد » في قضية فلسطين ، بأمل ان يساعدها هذا الموقف على انساء العرب جرائم الاستعمار البريطاني في فلسطين وصرف انظارهم عن مسؤولياته في ايصال القطر الشقيق الى محنته الحاضرة . وحاول الرجعيون و «اصدقاء» بريطانيا وعملآؤها المكشوفون والمتسترون ، ان يتذرعوا بما ادعته بريطانيا من « الحياد » الكاذب للتغريب بالشعوب العربية ، وتبرير السير في ركاب الاستعمار ، وتنفيذ مشاريعه واهدافه ، وخيانة

البلاد وبيع استقلالها وحريتها وسيادتها للاستعمار البريطاني وشريكه الاكبر الاميركي ، بحجة العمل « لانقاذ » فلسطين .
لقد اراد الاستعمار البريطاني ان يشتري « بحياده » المزيف في قضية فلسطين معاهدات ومحالقات جديدة مع الدول العربية ، توطد اقدمه في الشرق العربي ، وتمكن قبضته على ثرواتها ومرافقنا وتوجيه سياسة بلادنا الداخلية والخارجية . ووافقت الفئات الحاكمة في الاقطار العربية ، على بيع الاستقلال والسيادة الوطنية ، والحرية للاستعمار الاميركي الانكليزي ، وعلى وضع مرافق الاقطار العربية وثرواتها تحت تصرفه ، وعلى تسليمه الشباب العرب يسوقهم الى ساحات القتال في الحرب التي يهيؤها ضد الاتحاد السوفياتي وطن العمال والفلاحين وضد الديمقراطيات الشعبية الجديدة في اوروبا .

ولكن وثبة العراق قد افسدت « الصفقة » وفضحت « لعبة » الاستعمار ، وبينت ان الاتجاه الذي سلكه الشعب العراقي ، يدل على ان الشعوب العربية واعية ساهرة ، ومستعدة للنضال ، وانه ليس من السهل على الرجعيين وعملاء الاجنبي ان ينفذوا خيانتهم ومؤامراتهم لا تحت ستار « الدفاع » المزعوم عن فلسطين ، ولا تحت اي ستار اخر . فجميع الوطنيين المخلصين يدركون ان التخاذل امام الاستعمار في أي قطر عربي ليس من شأنه ان ينفع فلسطين شيئا ، بل يضعف قدرة الشعوب العربية على الدفاع عن فلسطين ، ويؤدي في النتيجة الى ضياعها ، بعد ان يكون قد ضاع استقلال الاقطار العربية نفسها .

واليوم وبعد ان تبين ان التستر بقضية فلسطين لم ينفع المستعمرين في العراق ، ولن ينفعهم في أي بلد عربي آخر ، ولم يساعد الطبقة الحاكمة في العراق على تنفيذ الخيانة ، ولن يساعدها في أي بلد عربي اخر ، اخذت الولايات المتحدة تفكر بوسيلة جديدة تنقذ بها موقف الاستعمار .

ولم تجد امامها سوى فلسطين الشهيدة تستغل نكبتها ، فأعلنت انها تريد وضع فلسطين تحت الوصاية ، وعرض قضيتها من جديد على الامم المتحدة .

وبالرغم من ان ترومن والمسؤولين الاميركيين قد اعلنوا ان مشروع الوصاية الذي يقترحونه لا يعني عدول اميركا عن تقسيم فلسطين ، بالرغم من ان الوطنيين العرب المخلصين الواعين ، لم يؤخذوا بالخدعة الاميركية المفضوحة ، فان الاوساط الحاكمة في النواصم العربية ، اعتبرت موقف اميركا « الجديد » رجوعا الى طريق « الصواب والحق والعدل » ...

ولكن « اللعبة » الاميركية مفضوحة جدا ومراميتها ظاهرة بيئة . ان السياسة الاستعمارية الاميركية لم تتغير نحو فلسطين أي تغيير . ولكن ترومان ومارشال استعارا طريقا آخر للوصول الى نفس الغاية . فوضع فلسطين تحت الوصاية معناه ، منع الجلاء عن فلسطين ، وفرض السيطرة الاميركية البريطانية عليها ، وجعلها مركزا عسكريا اميركا بريطانيا موجها ضد الشعوب العربية وضد الاتحاد السوفياتي . وهذا معناه بعبارة اخرى ، تمهيد السبيل لدخول قوات الاحتلال العسكرية الاميركية الى الشرق العربي الى جانب القوات البريطانية ، بدلا من جلاء جميع الجيوش الاجنبية عن اراضي اوطاننا ، فالبلاد العربية الراححة الان تحت احتلال دولة استعمارية واحدة ، سترزح تحت احتلال دولتين استعماريتين . اي ان الاميركيين يريدون ان يعيدوا الانتداب الى فلسطين مع امرين جديدين الاول ان يكون هذا الانتداب صادرا عن قرار من الامم المتحدة ، بدلا من جامعة الامم القديمة . والثاني ان تشترك اميركا مع بريطانيا في ممارسة هذا الانتداب الجديد .

هذا ما يرمي اليه المشروع الاميركي « الجديد » وهو تنفيذ لخطه استعمارية قديمة غايتها اشتراك اميركا في حمل مسؤولية « حفظ الامن » في فلسطين ، وايجاد موطئ قدم عسكري لها في شرق البحر المتوسط .

ومع ذلك تريد الاوساط الحاكمة ان ترى في موقف اميركا خطوة ايجابية في سبيل قضية فلسطين ، كما ارادت من قبل ان ترى مثل ذلك في تظاهر بريطانيا « بالحياد » ، وقصد هذه الاوساط هو تبرير التفاهم مع الاستعمار الاميركي ، ومنحه الامتيازات الاقتصادية التي يطلبها ، (وفي رأسها امتياز التابلاين في سوريا

ولبنان) . ثم تمهيد السبيل لعقد المحادثات والمعاهدات السياسية والعسكرية التي ترمي الى زج الاقطار العربية في « كتلة شرقية » ، او في كتلة البحر المتوسط مع تركيا واليونان توطد اقدام الاستعمار في الاقطار العربية ، وتخلد الاحتلال الاجنبي فيها ، وتعرض شعوبها لاشد انواع الفقر والبؤس والتأخر ، وتجعل ديارنا ساحة قتال في الحرب العالمية الثالثة التي يهوها طفاة المال والاحتكار في واشنطن .

هذه هي الخدعة الاستعمارية التي يريد المستعمرون وعملأؤهم الرجعيون ان يحملوا الشعوب العربية على الاستسلام لها والوقوع في شراكها .

غير ان الشعوب العربية ، تدرك ان النضال ضد الاستعمار الاميركي الانكليزي ، وضد الرجعيات المستولية على الحكم في الاقطار العربية ، هو السبيل الوحيد لانقاذ فلسطين ، وتحقيق الاماني الوطنية العربية .

المغزى العربي والدولي للوثبة العراقية

لقد حطمت وثبة العراق مزاعم جميع الانهزاميين والخونة الذين كانوا يدعون ، لتبرير خيانتهم ان الشعوب العربية لا قدرة لها على مقاومة الاستعمار ولذلك فلا بد لها ، في زعمهم ، من صيغة للتفاهم والاتفاق معه . فقد تبين على ضوء تجربة العراق ، ان مواقع الاستعمار ليست من القوة ، كما يزعمون ويهلون ، واصدقاء الاستعمار، اعجز من ان يستطيعوا تنفيذ خيانتهم للشعب، لا بالقوة ولا بالحيلة والخداع .

واثبتت وثبة الشعب العراقي ان سياسة خنق الحرية وتعطيل الصحف الحرة ، واللجوء الى اساليب الارهاب الفاشيستي والحميدي ، وسياسة « مكافحة الشيوعية » ونشر الجهل والارهاب على البلاد ، والتنكيل بالمناضلين الوطنيين والمدافعين عن خبز الشعب وكرامته ، وعن الاستقلال والشرف الوطني ، كل ذلك سلاح اعجز من ان ينال من قوى الحرية والتقدم ، واضعف من ان

يشل نضال الجماهير الفغيرة ومن ان يحول بينها وبين النصر .
لقد كان المستعمرون الاميركان واتباعهم في لندن وباريس
يعتقدون ان تفاهم طفافة « وول ستريت » و « ألسيتي » وتعاونهم
هو العنصر الحاسم في تقرير مصير الشعوب بما فيها الشعوب
العربية ، وتعيين اتجاه تطورها ، ولكن وثبة العراق ، قد برهنت خطأ
اعتقاد الطفافة ، واثبتت ان نضال كل شعب ، مهما كان فقيرا هو
العنصر الحاسم في تقرير مصيره وتعيين اتجاه تطوره .

ان الاحداث العالمية تعطي ، كل يوم ، برهانا جديدا على صحة
الراي القائل بان هزيمة الفاشستية في الحرب العالمية الاخيرة ، قد
ادت الى زعزعة اركان الاستعمار واضعاف مواقعه ، والى تعاظم
قوى الحرية والنضال ضد الاستعمار .

لقد انقسم العالم ، بعد الحرب الاخيرة ، الى معسكرين اثنين
احدهما استعماري رجعي ، والاخر معاد للاستعمار وديمقراطي .
في راس الاول تقف اميركا ومعها انكلترا وفرنسا ، وفي راس الثاني
يقف الاتحاد السوفياتي ، ودول اوروبا اندمقراطية الجديدة ،
والحركات الديمقراطية والوطنية الجبارة في اوروبا وآسيا . وبينما
تنخر المعسكر الاول التناقضات الداخلية وتضعضه باستمرار ،
يتوطد المعسكر الثاني ، وتنمو قواه الداخلية ويتعاظم نفوذه في
العالم . وما هذا الصياح الجنوني الذي ينطلق من واشنطن ويتردد
صداه في لندن ، وصدى صده في باريس ، بالحملة على الاتحاد
السوفياتي وعلى الديمقراطيات الجديدة في اوروبا ، والحركات
الوطنية التحريرية في العالم ، وما التحويل بالقنابل الذرية والاسلحة
الفتاكة سوى احد الادلة على ضعف معسكر المستعمرين وعجزهم
عن الوقوف في وجه الشعوب السائرة الى امام بقوة لا تغلب .

واذا كانت قوى الديمقراطية والحرية هي ، في المقياس الدولي ،
اكبر واعظم من قوى الاستعمار والرجعية ، فقد اثبتت وثبة العراق ،
ان قوى الحرية والديمقراطية والنضال الوطني ، في المقياس العربي
ايضا ، اكبر ايضا واعظم من قوى الاستعمار والرجعية والاقطاعية .
ان الاستعمار والرجعية يلجآن الى التهويل والتهويل كسلاح
لارهاب قوى الحرية والنضال الوطني ، وتفريق صفوفها ، وتشبيط

عزائم المناضلين ، وزعزعة ايمان الشعب بإمكان انتصاره على اعدائه ومستثمريه ، ولكن القوى الديمقراطية الوطنية الواعية في الاقطار العربية ، تدرك ان واجبها هو الوقوف بحزم وجراة وبلا تردد في وجه مشاريع الاستعمار وخططه ، كما ان واجبها ايضا هو فضح الفئات الرجعية الموالية لمشاريع الاستعمار سواء اكانت في الحكم ام خارج الحكم .

ان الشعوب العربية تجتاز اليوم مرحلة خطيرة في تاريخها ، وهي اذا اتحدت في كل قطر من اقطارها ، امكنها ان تطرد الرجعيين من الحكم ، وان تحبط مشاريع الاستعمار الرامية الى استعباد الاقطار العربية ، وان تحقق جلاء الجيوش الاجنبية عن اراضيها ، وتحقق استقلالها وسيادتها وتسير في طريق النور والحرية ، وتساهم في الدفاع عن السلام والحرية ، وتحتل مكانها في صفوف الامم الحرة المتقدمة .

ان جميع الديمقراطيين الوطنيين العرب ، حين ينحنون باجلال واكبار ، لذكرى شهداء العراق العربي الشقيق ، وحين يرسلون تحيات الاعجاب والاكبار لوطنية شبابه ونسائه ، وعماله وفلاحيه ، ومثقفيه ، يعطون عهدا بان تلك الدماء العربية العزيرة التي خضبت ارض بفداد وغيرها من الحواضر العراقية ، ستبقى امانة في عنق كل مناضل ديمقراطي عربي . في عنق كل وطني عربي صادق مخلص . ونحن الوطنيين الديمقراطيين العرب عازمون عزما وطيدا اكيدا على النضال ، حتى النهاية ، ومهما كانت التضحيات ومهما كان العذاب والالام حتى يزول ظل الاستعمار عن ديار العروبة ، ويتحقق تحررها من الاحتلال الاجنبي ، وتمنع الرجعية من بيع استقلالنا وسيادتنا ، وتؤمن للشعوب العربية حياة حرة ديمقراطية ، يتمتع فيها كل مواطن بحقه في العمل والثقافة والصحة ، والعيش الانساني الكريم .

ان بطولة الشعب العراقي ووطنيته وبسالته وما تحلى في وثبته من وحدة صفوفه ، ستلهم الشعوب العربية في نضالها ، وستكون حافزا لكل مناضل ديمقراطي وطني مخلص .

موجهة وطنية

لأجل الوقوف في وجه المشاريع الاستعمارية
الحربية الأميركية الانكليزية
وانعاش الحالة الاقتصادية ، وإطلاق الحريات الديمقراطية
لبنان بحاجة الى أوسع جبهة وطنية
تضم جميع القوى والفئات

.....

نشر في الصرخة بتاريخ ٢٠ حزيران ١٩٥٤

من الواضح ان حالة القلق المخيمة على لبنان تعود اسبابها الرئيسية الى تدخلات ودسائس استعمارية اجنبية معروفة .
فلبنان يواجه الان ضغطا شديدا متعدد الاشكال من جانب الدول الغربية الكبرى ولا سيما من جانب حكومة اميركا ، التي تبغي ربطه رسمياً بالجهاز العسكري العدوانى الذي تعمل على بنائه فى الشرق الاوسط . وتستهدف الشقيقة سوريا ايضا لمثل هذا الضغط .
لقد يئست الدوائر الاستعمارية الاميركية من امكان فرض مشاريعها واحلافها العسكرية دفعة واحدة على المجموعة العربية بكاملها ، لذلك لجأت الى (تكتيك) جديد قوامه من جهة ، تجزئة

هذه المشاريع وتنفيذها على مراحل و (اقساط) ومن جهة ثانية، السعي الى تفرقة المجموعة العربية ونسف الجامعة العربية ذاتها ، بعدما عجز المستعمرون امام مقاومة الشعوب العربية ، عن استخدامها لتنفيذ مشاريعهم هذه .

ويسمى الاميركان الان لتدعيم حلف تركيا الباكستان الذي خلقوه ليكون نواة للدفاع المشترك . ومن هنا شدة الضغط الاستعماري الاميركي الذي يواجهه لبنان وتواجهه سوريا ، ومن هنا كانت زيارة رئيس حكومة الباكستان للبنان في طريقه الى تركيا ، وزيارته لسوريا في عودته من تركيا . ومن هنا ايضا الزيارة التي يقال ان رئيس حكومة تركيا ينوي القيام بها للعواصم العربية .

وقد القى الاميركان في الميزان في لبنان جميع ما عندهم من «قوى» وامكانيات ، فراينا الوريقات الصفراء التابعة لهم تثيرها حملة هستيرية محمومة متواصلة في الدعوة الى الارتباط بعجلة الاستعمار . وبعدما كان الحديث عن المحالفات والمعاهدات يجري همسا ، سمعنا مثلا « نائبا » يطالب بشكل سافر بضرورة التعاقد العسكري مع الدول الاستعمارية الثلاث اميركا وانكلترا وفرنسا . ان الحجة التي يتستر وراءها دعاة التعاقد مع دول الاستعمار هي خطر اسرائيل ، ولكن حتى الاطفال الرضع يعلمون ان الحكومة الصهيونية الرجعية القائمة في اسرائيل لا تحرك اصبعها الا بموافقة الدول الاستعمارية ومشورتها وتشجيعها . وجميع تحرشاتها واستفزازاتها واعتداءاتها هي من صنعهم وبوحيهم . وفوق ذلك فأمركا تشترط في حال تقديم الاسلحة ان لا تستخدم ضد اسرائيل وهي تعطي اسرائيل من الاسلحة اكثر مما تعطي العرب . ولو كان عند دعاة الاحلاف والاسلحة شيء من الجراءة والاستقامة لقالوا بصراحة ان اميركا تريد اعطاءنا السلاح لمقاومة الشعب في الداخل واستعدادا للسير مع اميركا في الحرب التي تهيئها ضد الاتحاد السوفياتي وكل معسكر الاشتراكية والديمقراطية .

ولكن كيف يجرؤون على مثل هذا القول والشعوب العربية كلها

تزداد اقتناعاً يوماً بعد يوم بأن الاتحاد السوفياتي هو صديقتها الكبير ونصيرها الوحيد بين الدول الكبرى وأن سياسته سياسة سلم ثابتة حازمة، وكل وطني لبناني وعربي مهما كان حزبه ومنشؤه الاجتماعي يأبى أن يساهم في أي عدوان ضد الاتحاد السوفياتي بل يقاوم مثل هذا العدوان بكل قوته .

ويركز الأميركيون جهودهم الآن على توسيع مدى نشاط النقطة الرابعة عن طريق « المساعدات » الاقتصادية المزعومة ، بغية تقوية سيطرتهم عليه وجره في المستقبل إلى جهازهم العسكري نهائياً. ولكن المقاومة الشعبية في لبنان ضد الاحلاف العسكرية والاستعمار الأميركي لم تكن يوماً أشد منها في هذه الأيام .

إن جميع التطورات والحوادث، كحادثة ناقلتي البترول وكذلك قضية علاقات لبنان التجارية والموقف من الاحلاف العسكرية الاستعمارية، قد برهنت على صحة ما قاله الشيوعيون وما أوضحوه في البيان الشامل الذي أذيع في أوائل هذه السنة موقعا من نقولا الشاوي وحسن قريطم وارتين مادويان ومني انا ، وقد جاء فيه أن النضال في لبنان يجري بين فريقين ، فريق عملاء الشركات الاستعمارية والرساميل الأجنبية الذي يعمل بكل قواه لتسيير سياسة لبنان وراء الدول الاستعمارية وخصوصاً اميركا ، وفريق الوطنيين المخلصين الذي يتألف من جماهير العمال والفلاحين والطبقة الوسطى في المدن والقرى ومن المثقفين ورجال الاقتصاد الوطني وكثير من الصناعيين والمزارعين ، وهذا الفريق يناضل بأشكال مختلفة في سبيل سياسة وطنية مستقلة ، وفيه يتمثل بدرجات مختلفة ، طموح لبنان إلى الاستقلال الوطني والسيادة. إن يقظة الشعب قوية ووعيه في درجة عالية واستعداده للنضال كما لم يكن في أي وقت مضى . ولكن ذلك لا ينفي كون الخطر شديداً ومداهما فالسبيل الوحيد لصد الخطر الداهم وابعاده عن لبنان هو تقوية الاتحاد الوطني الشامل الواسع، وتعزيز التضامن والتعاون مع الشعب السوري العربي الشقيق والشعوب العربية كافة .

إن الاتحاد الوطني هو أمنية جميع الوطنيين المخلصين على

اختلاف احزابهم واتجاهاتهم ومراكزهم الاجتماعية ، فقد رأينا في جميع المعارك التي قامت ضد مشاريع الاستعمار ان المثقفين والعمال والفلاحين وغيرهم من الوطنيين المخلصين على اختلافهم يتحدون في جبهة وطنية دون ان يسأل احدهم الآخر عن حزبه او طائفته . وبالرغم من ان هذه الجبهة الوطنية كانت تتحقق حتى الان بشكل عفوي وغير قائم على اسس ثابتة فأليها يعود الفضل الاكبر في احباط هجمات الاستعمار ومشاريعه الحربية .

واليوم نجد في تصريحات الكثير من الوطنيين ورجال الاحزاب التقدمية والقوميين العرب الصادقين كثيرا من نقاط الالتقاء ، فضلا عما في صفوف الجماهير الشعبية و صفوف اعضاء القاعدة في الاحزاب الوطنية من الاجماع الحماسي ضد المحالفات العسكرية مع دول الاستعمار .

كل ذلك يبين ان حشد جميع القوى الوطنية الديمقراطية في لبنان في جبهة وطنية قائمة على اسس ثابتة ، بات ضرورة قصوى ، ويجب ان تكون هذه الجبهة على اقصى درجة من الاتساع بحيث تضم جميع الفئات والعناصر المناهضة لمشاريع الاستعمار الحربية ، والمؤيدة للحريات الديمقراطية .

ولا ريب ان هذه الجبهة التي يجب ان تضم تحت لوائها اكثرية الشعب العظمى مع احتفاظ كل شخص بآرائه ، وكل حزب ببرنامجه وفلسفته ، تستطيع ان تفرض على الحكام سياسة وطنية ديمقراطية تناهض مشاريع الاستعمار بحزم وثبات ، كما تستطيع هذه الجبهة ان تؤدي الى قيام حكومة وطنية ديمقراطية اساس سياستها مقاومة مشاريع الاستعمار واطلاق الحريات الديمقراطية والعمل لانعاش الحالة الاقتصادية لا عن طريق « المساعدات » الاميركية المزعومة التي هدفها تدمير اقتصاديات لبنان بل عن طريق اطلاق قوى لبنان الاقتصادية والحد من طغيان الرساميل الاجنبية الاستعمارية ، ومن سيطرة عملائها ووكلائها على توجيه سياسة البلاد والافادة من الامكانيات العظيمة المفتوحة امام لبنان عن طريق تنظيم علاقاته الاقتصادية الخارجية على اساس التكافؤ والنفع المتبادل .

ولا ريب ان جميع الامكانيات اللازمة لتأليف مثل هذه الحكومة متوافرة في لبنان، بما فيها الرجال الصالحون لذلك كما قلنا دائما. اما الشيوعيون اللبنانيون فقد اعلنوا مرارا ويعلنون الان ان حكومة من هذا النوع ستحظى بتأييد جميع القوى الديمقراطية وجميع الوطنيين المخلصين بما فيهم الشيوعيون .

ان الشعوب العربية في مقاومتها مشاريع الاستعمار الحربية في هذا الشرق وفي أحباطها هذه المشاريع حتى الان لم تدفع عن نفسها افطع خطر استعبادي وحسب ، بل ساهمت في الوقت نفسه مساهمة محسوسة في قضية السلم العالمي، ولذلك يحظى نضال لبنان وسوريا والشعوب العربية بتأييد وعطف جميع قوى الخير والحق والسلم في العالم اجمع .

ومن الواضح ان النصر هو لهذه القوى على انطاق العالمي بأسره .

ولا ريب ان جميع الوطنيين المخلصين في لبنان تتجه قلوبهم الان الى سوريا ويرغبون بكل جوارحهم ان ينتصر الوطنيون العاملون في سبيل قيام حكومة وطنية ديمقراطية فيها . فما من احد يجهل ان صمود الحركة الوطنية الشعبية في الشقيقة سوريا ونجاحها في رد ضغط المستعمرين ومكائدهم هو شيء له اثره وشأته الكبير في لبنان وكل المجموعة العربية .

الانتخابات النيابية في سورية

معركة وطنية عربية كبرى ضد الاستعمار ومشاريع في كل الشرق العربي

في ٢٠ آب المقبل تجري الانتخابات النيابية في سوريا .
ان الشعب اللبناني وسائر الشعوب العربية يتطلعون باهتمام
شديد الى تطورات المعركة الانتخابية في القطر الشقيق . فالظروف
العربية والدولية الحاضرة تجعل لهذه المعركة اهمية فائقة وطنية
وعربية قلما عرفت مثلها معركة انتخابية في اي قطر عربي .
لقد بلغ تكالب المستعمرين الاميركيين والبريطانيين على سوريا
في الاعوام الاخيرة ذروة قصوى . فالانقلابات الديكتاتورية التي
تعاقبت على سوريا لم تكن ، في اسبابها الاساسية ، سوى نتيجة
من نتائج هذا التكاثر الاستعماري الذي حرم الشعب السوري
الشقيق اي نوع من الاستقرار .

ان محور كل السياسة الاستعمارية في الاعوام التي تلت جلاء
القوات الاجنبية عن سوريا ولبنان كان وما يزال يدور حول ضم
سوريا ولبنان وسائر اقطار الشرق العربي الى الجهاز العسكري
العدواني الذي تعمل لانشاءه الدول الاستعمارية ، وفي رأسها
الولايات المتحدة الاميركية . وقد قاومت الشعوب العربية اهداف
المستعمرين المجرمة مقاومة شديدة ، وتمكنت من احباطها حتى
الان . وكان الدور الذي قام به الشعب السوري في هذه المقاومة
وما يزال دورا طليعيا هو ابرز الادوار واشدها فعالية الى جانب
دور الشعب المصري . فسوريا التي اقضت بنضالها الوطني

الزأخر بالبطولة مضاجع الاستعمار الفرنسي . وهو في عنفوان سطوته ، طيلة ربع قرن ، هي اليوم حسكة في حلق المستعمرين الاميركيين والبريطانيين وعقبة كأداء في طريق جميع مشاريعهم . وهذا (الفراغ العسكري) في الجهاز العدواني الاميركي كما يسميه المستعمرون وخدامهم الرجعيون الاتراك ، حين يتحدثون عن الشرق العربي وخصوصا عن سوريا هو اليوم ، حقا وصدقا ، حصن متقدم لحركة التحرر الوطني وللديمقراطية وللسلم في كل هذا الشرق . وليس من عوامل الصدفة ان يكون المستعمرون قد عجزوا عن فرض ما يريدون على سوريا حتى عن طريق الديكتاتوريات ، بل ان الديكتاتورية نفسها تحت ضغط المقاومة الشعبية وامام الروح الوطنية القوية المتغلغلة في الجيش السوري جنودا وضباطا ، كانت مضطرة ولا سيما في الفترة الاخيرة من ايامها ، الى اتخاذ مواقف غير ملائمة لمطالب المستعمرين واهدافهم .

كل ذلك خليق بأن يفسر كل ما نشهده من مؤامرات استعمارية آخذ بعضها برقاب بعض ضد سوريا . فالاستفزازات والتهديدات التركية من الشمال ، والتحرشات والاعتداءات الصهيونية من الجنوب ، والضغط الاستعماري المباشر المتعدد الاشكال من الداخل ، الى جانب المشاريع « الاتحادية » « الفيدرالية » المزعومة المشبوهة ، كل ذلك مصدره واحد هو الاستعمار الاميركي منفردا او الاستعمار الاميركي البريطاني مجتمعا . وهدفه واحد ايضا هو الخلاص من مقاومة الشعب السوري لمشاريع المستعمرين ، بشكل من الاشكال ، حتى ينسف كيان سوريا من الاساس . فهم يعلمون ان مشاريعهم لا يمكن ان يكتب لها النجاح بدون القضاء على مقاومة سوريا .

وفي هذه الانتخابات يتابع المستعمرون مساعيهم من اجل مشاريعهم الائمة ، وكل مساعيهم متجهة الى خلق مجلس نيابي مطواع في سوريا ينفذون مشاريعهم عن طريقه بعدما عجزوا عن تسخير الديكتاتوريات لتنفيذها . ولكن يبدو ان هؤلاء المستعمرين رغم خبرتهم الطويلة ، لم يتعلموا بعد من هو الشعب السوري ، ولم يدركوا ان الكلمة الاخيرة هي له ، وان انتخابات لن يرضى عنها الشعب السوري لن تكون نتائجها ابدا ثابتة وطيدة .

لذلك تتخذ المعركة الانتخابية في سوريا صفة معركة وطنية كبرى ضد الاستعمار ومشاريعه ، لا في النطاق السوري وحسب ، بل في النطاق العربي الشامل . ومن هنا كانت معركة مدعوة الى تعبئة جميع القوى الوطنية الصاعدة المناهضة للاستعمار وجمعها في معسكر واحد ، رغم ما بينها من خلافات في الماضي او الحاضر حول هذه او تلك من المسائل الفكرية او الفلسفية او حول بعض الاجتهادات في قضايا السياسة الداخلية . فالمعركة على الصعيد الوطني ليست ولا يجب ان تكون سباقا حزبيا او تطاحن بين تيار وآخر ، بل معركة بين جميع القوى المناهضة للاستعمار من جانب ، وبين الاستعمار وما يسانده من عناصر رجعية مارقة خائنة ، من جانب آخر .

ان الشعب اللبناني الذي يدرك ادراكا عميقا ان مصيره ، في اسراء والضراء ، لا يمكن ان يفصل عن شقيقه الشعب السوري ، مقتنع قناعة تامة بان نتيجة المعركة الوطنية التي تخوضها سوريا الان ستكون ذات اثر بارز في مصير لبنان ايضا ، في السلب والايجاب ، وهو ينظر ، كجميع الشعوب العربية بامل وثقة الى النهوض الشعبي والوطني العظيم الذي يميز كل الوضع في سوريا الشقيقة ، كما ينظر ، بالامل ذاته ، الى الروح الجديدة التي تطبع اتجاهات القوى الوطنية بطابع الرغبة المتعاضمة في تحقيق الاتحاد الوطني العام الشامل ، وجمع كل القوى التقدمية والمناهضة للاستعمار في جبهة وطنية موحدة ، هدفها فرض ارادة الشعب السوري في نتائج المعركة الانتخابية .

ان وحدة العمل ووحدة الحركة النقابية التي تحققت في اضرابات العمال العظيمة الظافرة في دمشق هي ، بدون ريب ، مظهر من مظاهر هذه الروح الجديدة ، كما ان التصريحات والبيانات التي صدرت عن شخصيات وجماعات تمثل اقساما واسعة من القوى الوطنية والرأي العام ، قد جاءت تؤكد ضرورة الاتحاد الوطني . ولا ريب ان اهم ما صدر في هذا الباب تلك التصريحات الوطنية التي ادلى بها ابرز قادة الحركة الوطنية الديمقراطية ، خالد بكداش ، داعيا الى تحقيق الاتحاد الوطني حتى اقصى

الحدود في المعركة الانتخابية . وقد دلت الوقائع على ان هذه الدعوة الصادقة الى الاتحاد الوطني قد لاقت استقبالا حماسيا عظيما في اوساط العمال والفلاحين والمثقفين والطلاب وبين الكثير من رجالات السياسة الوطنيين وفي صفوف مختلف الاحزاب السياسية .

وقد نظر اليها الوطنيون المخلصون على اختلاف اتجاهاتهم على انها توجيهات حكيمة وقيمة للعمل الوطني في المرحلة الحاضرة الدقيقة التي تجتازها سوريا .

ان الشعب السوري الذي لا يمكن ان ينسى ثبات الشيوعيين وبطولاتهم الرائعة ضد الديكتاتورية والطفيان ، يرى ايضا انه اصلب قوة وطنية في وجه مشاريع الاستعمار والدفاع عن الحريات الديمقراطية ، وانهم تحت قيادة خالد بكداش الحكيمة ، اصدق العاملين واحزمهم في سبيل الاتحاد الوطني . ولذلك سيصغي الشعب السوري الى ندائهم الذي يدعو الى توحيد الصفوف في اوسع جبهة وطنية شاملة .

ان نضال الشعب السوري قد اكتسب في الاعوام الاخيرة خصوصا اهمية دولية كبرى ، لان هذا النضال الى جانب نضال الشعوب العربية الذي احبط مشاريع الاستعمار الحربية وحال دون ضم اقطار الشرق العربي الى الجهاز الاميركي الحربي ، قد ساهم مساهمة محسوسة في قضية السلم .

وفي هذه الظروف حيث ترجح باستمرار كفة قوى السلم والديمقراطية على كفة قوى الحرب والاستعمار في الميدان الدولي ، وحيث يزداد الاستعمار الاميركي عزلة في الميدان الدولي يوما بعد يوم ، يزداد نضال كل شعب وزنا واثرا في قضية السلم العالمي ، مهما كان ذلك الشعب صغيرا .

فالشعب السوري الذي يخوض في المعركة الانتخابية معركة وطنية كبرى ضد الاستعمار ، لا يتمتع فقط بتأييد جميع الشعوب العربية الشقيقة معه ، بل تسانده ايضا وتؤيده جميع قوى الحرية والديمقراطية والسلم في العالم بأسره .

نشر هذا المقال في جريدة الصرخة العدد ٢٢٧ ، ١١-٧-١٩٥٤

عاشت سورية

ولنقط مؤامرات الاستعمار وعملائه
وعصاياه الفادرة في سوريا ولبنان

الشعب اللبناني وكل الشعوب العربية الى جانب سوريا في
معركتها الوطنية القاسية التي هي معركة كل بلد عربي .

.....

هذا المقال نشر في اول ايار العام ١٩٥٥

في العدد ٤٤ من جريدة « الاخبار » .

المستعمرون الاميركان والانكليز وعملاؤهم وعملاء عملائهم على
اختلاف درجاتهم وتسلسلهم ومراكزهم ، وعلى اختلاف وظائفهم
ومهماتهم ، كلهم كلهم بلا استثناء مصابون اليوم ، في بيروت بنوبة
من هستيريا الحقد العنيف على سوريا . ولماذا ؟

لان سوريا هي السبب في فشل حسابات المستعمرين وخيبة
آمالهم في هذه البقعة من الشرق الأدنى ، لان سوريا هي السبب
الاساسي ، في عجزهم ، حتى الان عن استكمال بناء الجهاز العسكري
العدواني الذي ينشئونه في هذه البقعة . فكيف لا يحقد المستعمرون
على سوريا ، وكيف لا يسخطون ، وكيف لا يمزقون ثيابهم غيظا

وحقلا .

لقد « دبوا » كل شيء في سبيل نجاح الحلف التركي العراقي وامتداده الى سوريا ولبنان وشرق الاردن وربطه بالحلف الاطلسي ، ويجاد طريقة ما لدمج اسرائيل فيه ايضا ، فقد وقع « صديقهم » نوري السعيد ، ودق الاسفين الاول في صف المجموعة العربية ، ولم يلق الحلف اية معارضة من حكام لبنان . ان « اصدقاءهم » في لبنان لم يبخلوا بأية مساعدة ممكنة في سبيل انجازه بل انهم والحق يقال ، كانوا وما برحوا مستعدين للانضمام اليه في كل لحظة لولا موقف سوريا ، اما شرق الاردن فلا يمكن ان يشكل حكامها عقبة ، وهكذا كان كل شيء جاهزا لولا سوريا التي افسدت الطبخة ... فسوريا رغم وجود اناس فيها متفانين في خدمة الاحلاف ، كحسني البرازي ، وحسن الحكيم وغيرهما ، ورغم عدد هام من زعماء حزب الشعب ، قاومت الحلف التركي العراقي مقاومة شديدة .

ورأى الاميركان ان يتدخلوا مباشرة ، فتدخلوا وضغطوا وانذروا ولكن بدون جدوى . واوعزوا الى تركيا فهددت بدورها وحشدت قواتها المسلحة على حدود سوريا . ولكن سوريا ظلت صامدة وذهب رئيس جمهورية لبنان ورئيس حكومته في زيارة « ودية » لتركيا ، وصدر بلاغ « الصداقة » التركي اللبناني الشهير ، ظلت سوريا على موقفها . لقد فشلت حرب الاعصاب التي شنوها على سوريا وازدادت جبهة الشعب السوري تماسكا وتراصا .

فماذا يفعلون ؟ هل يقومون بعمل خارجي ضد سوريا ، ضد عمل مسلح من قبل تركيا او سواها ؟ ولكن وضع سوريا ليس كوضع غواتيمالا ، وشعب سوريا وجيشها مستعدان للمقاومة ، والشعوب العربية الى جانبها وستهب كرجل واحد اذا امتدت الى سوريا يد اجنبية او يحركها اجنبي ، وسيصبح الوضع اشد خطرا على مشاريع الاستعمار وعلى الوضع الاستعماري برمته في كل الشرق الاوسط . وفوق ذلك فالاتحاد السوفياتي سيؤيد سوريا في دفاعها عن استقلالها ، وها هو يعلن ذلك ، ثم يؤكد ذلك في بيان وزارة الخارجية السوفياتية ، وفي مقابلة وزير خارجية الاتحاد

السوفياتي لوزير سوريا بموسكو .
حينئذ قرروا اللجوء الى اساليب داخلية ، لقد حاولوا اثارة
الاضطرابات والقتال في البلاد ، على يد عصابة القوميين السوريين
الموجودة لمثل هذه الغاية وعلى يد بعض بقايا الديكتاتورية ، ولكن
الشعب السوري ، بوعيه واتحاده الوطني ، احبط هذه المحاولات
في المهد ولم يسمح لها بالاتساع .

ويتشاورون ، ويتساءلون ما العمل ؟ اذن فلنحاول ضرب
الروح الوطنية في الجيش السوري ، والقضاء على الاخاء بين الشعب
والجيش ، فتسهل اماننا السبل وتحقق اماننا !

وكان الرصاص الفادر على العقيد الشهيد البطل عدنان المالكي،
اطلقته يد عصابة الفدر والخيانة ، السورية القومية !
ولكن هنا ايضا ، حدث عكس ما يريد المستعمرون . لقد هبَّت
سوريا بأسرها في وجه المؤامرة ، وزاد الاتحاد الوطني ترافعا ،
والاخاء بين الشعب والجيش قوة ، والعزم على مقاومة الاحلاف
الاستعمارية رسوخا .

ويخرج الاميركان عن طورهم ، ويخرج العملاء والاذناب ايضا
ويطلقونها من لبنان حملة تهويش وتهويل رعاء هوجاء على سوريا .
فتحاول صحف الاحلاف مثل « الحياة » و « النهار »
و « الرواد » و « بيروت » وغيرها ان تصور ، كل بطريقة واسلوبها،
ان الوضع في سوريا يتدهور بسرعة وان سبب هذا الوضع ، في
زعم المتأمركين والمستتركين ، هو « انغماس » الجيش في السياسة،
وان الحكم « حكم غوغاء » و « ديكتاتورية » ويطلق بعض هذه
الصحف صيحات الاستغاثة والاستنجد للحرية « تنحرف في
سوريا » ولحقوق الانسان والعدالة « تصبح في خبر كان » .

ويتباكون « لانتهاك » الدستور في سوريا ... كل ذلك لان
السلطات السورية اعتقلت جماعة من عصابة الفدر والخيانة التي
اغتالت العقيد عدنان المالكي وكانت تريد اغتيال غيره من الضباط
الوطنيين ، تنفيذا للمؤامرة الاستعمارية الاجنبية المعروفة . وحاولت
« الحياة » ان تصور جريمة القوميين السوريين على انها « صراع »
بين « العقيدة » السورية القومية وبين الماركسية ! (كذا) . وحاولت

صحف اخرى ان تقول ان سوريا الان هي في قبضة الشيوعيين وتحت سيطرتهم ، ولذلك كانت جريمة العصابة القومية محاولة « لتخليص » سوريا من السيطرة الشيوعية بل من الديكتاتورية . وكان الكذب والتلفيق والاختراع من اكبر اسلحتهم .

فنسبت بعض الصحف تصريحاً تليفونيا مزوراً لفارس الخوري زعمت فيه انه يوجه نداء الى الشعوب العربية لتخليص سوريا من « قبضة الحمر » ، ووجه سوري قومي اميركي جديد برقية الى ممثلي الدول العربية قال فيها انه يرسل هذه البرقية من بيروت لتعذر ارسالها من دمشق الواقعة تحت الرقابة السوفياتية ... ولكن نسي كامل مروه صاحب « الحياة » ونسي السوري القومي غسان التويني صاحب « النهار » ان الفتنة التي حاولت عصابة السوريين القوميين اثارها في سوريا اليوم وفشلت ، قد اثارت مثلها في لبنان عام ١٩٤٩ ، فهل كانت تلك الفتنة في ذلك الحين « صراعاً » بين « العقيدة » القومية والماركسية ، ام هل كانت حكومة بشارة الخوري ورياض الصلح في ذاك العهد حكومة ماركسية او حكومة واقعة في « قبضة الشيوعيين » ؟

في ذلك الحين استخدم الاستعمار هذه العصابة في سوريا ضد لبنان ، واليوم في ظروف مختلفة طبعاً ، ولاغراض مختلفة ايضاً ، يستخدم الاستعمار الاجنبي العصابة نفسها ، في لبنان ، ضد سوريا ، ويجند معها الابواق المأجورة وجميع صحف الاحلاف ، ولكن التشابه في الحالين هو ان العصابة اطلقت الرصاص وسفكت الدماء هنا وهناك خدمة للاستعمار الاجنبي .

ان عملاء الاستعمار يحاولون ان يجعلوا الابيض اسود والليل نهاراً والنور ظلاماً ، ففي صحفهم اصبحت العصابة الغادرة القاتلة المجرمة هي الضحية . وفي صحفهم اصبح الامر كان الشيوعيين هم الذين اطلقوا الرصاص وازهقوا الارواح وسفكوا الدماء ونظموا المؤامرات لاحداث الانقلاب بالقوة .

هكذا تصور الامر صحف الاحلاف وعملاء الاحلاف واذناب الاستعمار ويجري هذا بين غضب الشعب اللبناني واستنكاره واستهجانه ، وفي وسط جو العطف والتأييد والاخاء الشامل الواسع

الكاسح الذي يغمر جميع ارجاء لبنان تضامنا مع سوريا الشقيقة في معركتها الوطنية التي هي معركة لبنان ومعركة جميع الشعوب العربية .

وفي ذات الوقت تنشط العصاة السورية القومية في لبنان كما لم تفعل في اي وقت مضى ، فتذيع البيانات الاستفزازية الافتراضية ضد سوريا ، وتوجه الانذارات الى السلطات السورية والقضاء السوري وتكتب وريقتها « الزوابع » و « صدى لبنان » مقالات وفصولا طوالا تنم عن هستيريا حقيقية ضد سوريا وضد الشعب السوري وضد كل من يقاوم الاستعمار ، اي ضد سوريا كلها وتحاول ان تستر حملتها وراء الهجوم على اليساريين : الشيوعيين والاشتراكيين .

ان العصاة التي نشأت وترعرعت في حضن الاستعمار الاجنبي لخدمة الاستعمار الاجنبي ، لا يمكن ان تفعل الا ما تفعله الان . فهذه مهمتها ووظيفتها وعلة وجودها . ولكن الشيء الذي يلفت النظر ويشير التساؤل والاستغراب والاستنكار في الاوساط الوطنية في لبنان على اختلافها ، هو هذه الحرية المطلقة التي تتمتع بها هذه العصاة في عملها . فلو لم تكن هذه العصاة القذرة العاملة في خدمة الاستعمار الاجنبي ضد سوريا ولبنان ، مشمولة بالرعاية الرسمية لما جرئت على هذه الوقاحة وهذا النشاط الاجرامي ، وهي التي يحمل سجلها ، منذ عهد قريب ، جرائم قتل ضد ضباط وافراد من القوات المسلحة اللبنانية ، وجرائم اغتيال غادر دنيء ضد رجالا عربية كرياض الصلح وضد قضاة لبنانيين كيوسف شربل . ان الشعب اللبناني بأسره يشجب موقف السلطات المشجع لعصاة الغدر والخيانة ، ويطلب الكف عن هذا الموقف .

ان عصاة الحزب السوري القومي ، عصاة غدر واغتيال وخيانة في خدمة الاستعمار الاجنبي ، وخدمة الاستعمار الاجنبي فقط . هذا شيء يعرفه كل الوطنيين ومن اجله يمقتونها ويكرهونها ويكافحونها ، ويعرفه ايضا المستعمرون وعملاؤهم ومن اجله يحمونها ويدافعون عنها . والرصاص الذي اطلقتته في سوريا على البطل الوطني الشهيد عدنان المالكي خيانة وطنية وجريمة سافلة ومؤامرة

دنيئة لخدمة اشد اغراض الاجنبي اجرا ، انه رصاص موجه ضد قضية سوريا الوطنية وضد قضية لبنان الوطنية سواء بسواء . انه رصاص كان غرضه ازالة العقبات من طريق الحلف التركي العراقي ، « والهلل الخصب » وما الى ذلك من مشاريع استعمارية هدفها ابتلاع سوريا ولبنان وجعلهما جزءا من الجهاز العسكري الحربي ، العدوان الذي ينشئه الاستعمار الاميركي البريطاني في هذا الشرق انه رصاص لم يطلق على ضابط وطني لامع في جيش عربي . وحسب ، بل رصاص موجه ضد كل الحركة الوطنية وضد كل المقاومة الوطنية .

ان الوضع في سوريا ليس صراعا «عقائديا» ولا صراعا حزبيا ، انه نضال بين الاتجاه الوطني الذي يريد ان تبقى سوريا طليقة من قيود الاحلاف الاستعمارية وبين الاتجاه الاستعماري الذي يريد استبعاد سوريا وربطها بالاحلاف ، فمن جهة يقف الشعب والمجلس والحكومة ، ومن جهة اخرى الاستعمار الاميركي الانكليزي المتمثل بقبضة من العملاء وعملاء العملاء المعزولين عن الشعب ، ولا يمثلون شيئا في سوريا . الاولون على اختلاف احزابهم واتجاهاتهم وفئاتهم ، يريدون الحفاظ على ما تتمتع به سوريا من حياة ديمقراطية ودستورية ، ومن وضع طليق من قيود المعاهدات الاستعمارية ، ويرفضون الارتباط بأي حلف عسكري استعماري ، ضنا باستقلال سوريا وسيادتها ، ولأجل حمايتها من اخطار الحرب والمساهمة في قضية السلم العالمي . والآخرين يريدون القضاء على كل هذا الوضع ، ليربطوا سوريا بعجلة مشاريع الاستعمار العسكرية العدوانية ، وليقضوا على الحاجز الاساسي القائم في طريق توسيع الحلف التركي العراقي البريطاني .

وفي لبنان يعلن دعاة الاحلاف حملتهم الهوجاء على سوريا ، ويشكلون جبهة موحدة مع عملاء الاستعمار في سوريا بينما يقف الشعب اللبناني بأسره ، وبجميع اتجاهاته ومناطقه وعلى اختلاف نزعاته ، الى جانب الشعب السوري . ان قلوب العرب اجمعين هي مع سوريا ، وانظارهم متجهة الى سوريا . ان المعركة الوطنية القاسية التي تخوضها سوريا اليوم هي معركة كل لبناني ، معركة

كل عربي اينما كان ، ومهما كان اتجاهه . ولذلك تتمتع سوريا بتأييد جميع الشعوب العربية . بل تتمتع بتأييد جميع قوى الحرية والسلم في العالم اجمع .

ان اللبنانيين جميعا يدركون ادراكا واضحا ان واجبهم الان ، هو الاتحاد الوطني والتضامن مع الشعب السوري الشقيق في معركته ضد الاستعمار ومؤامراته ، لان سوريا اليوم لا تدافع عن استقلالها وسلامتها فقط ، بل تدافع عن استقلال لبنان وسلامته ، وتدافع في ذات الوقت عن جميع الشعوب العربية . ان صيحات التهويل والتهويل التي يطلقها المستعمرون وجوقة عملائهم واذنابهم هنا وهناك هي الدليل على ان الضربة التي تنزل بعصابتهم السورية القومية هي ضربة موجعة لهم وفي محلها تماما . وما دام الاتحاد الوطني سائدا في صفوف الشعب السوري ، وما دام الاخاء بين الشعب والجيش وطيدا ، فلن يصيب سوريا اي مكروه ، وستخرج ظافرة عزيزة الجانب من هذه المعركة لمصلحتها وللمصلحة العربية جمعاء .

عاش الاتحاد الوطني وعاش الاخاء بين الشعب والجيش في سوريا وعاش تضامن الشعبين اللبناني والسوري في النضال ضد احلاف الاستعمار وجميع مؤامراته ، وخيانات عملائه .

من مواطن لبناني الى عبد الناصر

مقال كتبه الشهيد في ٢ حزيران ١٩٥٩ ونشر
في العدد ٢٥٢ من جريدة « الاخبار » بتوقيع :
« مواطن لبناني » .

.

ليس الشيوعيون اللبنانيون هم الذين يثبون الكراهية ضدكم
وانما سياستكم الجديدة هي مصدر هذه الكراهية .

منذ مدة القى عبد الناصر ، رئيس الجمهورية المتحدة ، خطابا
في حفلة تخريج فوج من الضباط في القاهرة ، وجه فيه بعض التهم
الباطلة الى الحزب الشيوعي اللبناني . وقد اثار هذا التصرف الغريب
الدهشة في اوساط لبنانية واسعة . وارسل الينا في حينه «مواطن
لبناني» الرسالة التالية الموجهة الى عبد الناصر .

سيادة الرئيس

لست ابتغي في هذه العجالة ، ان اناقش جميع المغالطات
والاشياء غير الصحيحة التي وردت في خطابك الاخير في حفلة
تخريج الضباط في القاهرة في الاسبوع الماضي ، ذلك لان هذه
المغالطات قد اعيدت وكررت تقريبا في جميع خطبك السابقة .

واعتقد الى جانب ذلك ، ان وعي جماهيرنا العربية هو اليوم من النمو والقوة بحيث يكفي بذاته للتمييز بين القمح والزؤان .
على اني اود فقط ان اعلق على فقرة واحدة من ذلك الخطاب هي قولك ان الحزب الشيوعي في لبنان يقوم ببث نوع من الكراهية ضد الجمهورية العربية المتحدة وشعبها . وقبل كل شيء ، احمد الله على ان لبنان ، هذه البقعة العربية الصغيرة الحلوة الحبيبة ، يتمتع بقدر ، ولو نسبي ، من نعمة الديمقراطية التي هي اكرم واجمل نعمة حققتها الانسانية في كفاحها الطويل من اجل سعادة الانسان وتقدمه . فالمواطنون اللبنانيون ، يملكون ولو نسبيا ، حق التعبير عن رأيهم ، دون ان تستطيع زبانية المباحث او المكتب الخاص ان تسوقهم وتسوق اهلهم وذويهم واصدقائهم الى السجون وتسومهم عذاب الموت ، اذا مارسوا هذا الحق او حتى اذا طالبوا بممارسته كما يفعل هؤلاء الزبانية اليوم في مصر وسوريا .

سياستكم مصدر الكراهية

تقول يا سيادة الرئيس ان في لبنان جوا من الكراهية . وهذا القول صحيح ، بل هناك اكثر من الكراهية ، وامر من الكراهية . ولكن الشيء غير الصحيح هو القول بان هذه الكراهية موجهة ضد الجمهورية العربية المتحدة وشعبها ، وبان الحزب الشيوعي اللبناني ، او اي حزب آخر يبثها في لبنان . فالشعب اللبناني العربي يكن اعماق الحب لشقيقه الشعب السوري الذي قاسمه دائما السراء والضراء وارتبط وياه على مر العصور بآمتن روابط الاخاء والتعاون والمصير المشترك . ويكن الشعب اللبناني مثل هذا الحب لشعب مصر الشقيق .

واليوم اكثر من اي يوم مضى يشعر اللبنانيون جميعا على اختلاف احزابهم واتجاهاتهم بعاطفة خاصة ، عاطفة عنيفة من التضامن والعطف والحدب الاخوي نحو الشعب السوري في محنته التي يقاسيها ، دون ان يجني ذنبا او يقترب اثما سوى حبه للوحدة العربية ، وشوقه الى الديمقراطية التي دفع ثمنها بحارا من عرق ابنائه ودمهم ، وقدم على مذبحة أعز القرابين واغلى الشهداء ، في ميادين الكفاح ضد الاستعمار ، وضد الديكتاتوريات .

كذلك تجتاح الشعب اللبناني اليوم عاطفة عنيفة من التضامن مع الشعب المصري الشقيق ، هذا الشعب الطيب الوديع ، المتشوق منذ اجيال واجيال الى تذوق طعم الحرية والتمتع بها ، ولو بقدر يسير من نعمة الديمقراطية . لقد كان مفهوما ان يحرم الاستعمار والاحتلال الاجنبي شعب مصر نعمة الحرية والديمقراطية ، وكان مفهوما ان يكون الطاغية فاروق عميد الاقطاعية الاكبر ، وعون الاستعمار الاول في مصر ، عدوا للحرية والديمقراطية .

اما اليوم بعد خلاص مصر من الاحتلال ، وبعد قيام الجمهورية العربية المتحدة التي كان يأمل الكثيرون ان تكون مرآة الوحدة العربية الكبرى ، فأى شيء يمكن ان يبرر استمرار القيود على عنق الشعب المصري وبصورة اقصى واعنف من ذي قبل .

بل ان اللبنانيين يكون حبا خاصا لمصر ، فلهم فيها مواطنون اعزاء ، وقد شاطر ادباء لبنان ومفكروه ، واحرارهم في القرن الماضي في نهضة مصر الفكرية والادبية والثقافية . والشعب اللبناني يحب شعراء مصر وادباء مصر : وفناني مصر ومطربي مصر . ان اللبنانيين يحبون شوقي وحافظ والمطران ، الذي هو حصة مشتركة بين مصر ولبنان . وكانوا فيما مضى يحبون صحف مصر ، يوم كان في مصر صحافة حرة نسبيا .

فالكرهية التي تنتشر في لبنان ليست ابداً موجهة لا ضد الشعب المصري ولا ضد الشعب السوري ، ولا ضد الجمهورية المتحدة بل هي موجهة اولاً : ضد اساليب الديكتاتورية البغيضة الطبقة في اقليمي الجمهورية ، وضد خنق الحريات الديمقراطية وزج الالوف من الاحرار ، في السجون ومعسكرات الاعتقال ، وهي موجهة ثانياً : ضد السياسة الجديدة التي بدأت بتطبيقها ، في الميدان العربي ، وقد تجلت في محاربتكم المكشوفة للجمهورية العراقية ، وهي موجهة ثالثاً : ضد سياستكم الجديدة في الميدان الدولي ، وقد بدأت بتطبيقها في شن العداء ضد الاتحاد السوفياتي وبلدان المعسكر الاشتراكي صديق العرب الوفي وحليفهم الطبيعي الدائم في نضالهم ضد الاستعمار وفي نضالهم من اجل بناء

اقتصادهم المستقل وبلوغ ما يصبون اليه من تقدم وقوة .

سياسة يباركها الاستعمار

وقد نسيت ، ايها الرئيس او تناسيت ، ان هذه السياسة الجديدة ، في الميدان العربي والميدان الدولي تلتقي التقاء تاما مع ما يطمح اليه الاعداء القومية العربية ، واعني بهم الاستعمار والصهيونية . لقد بذل الاستعمار الاميركي جهودا لا تحصى في سبيل فرض مبدأ ايزنهاور على البلدان العربية . لقد بذل في سبيل ذلك عشرات الملايين من الدولارات . ونظم الانقلابات الرجعية في بعض البلدان العربية وأطاح بحكوماتها الوطنية لكي يفرض مبدأ ايزنهاور ، وقد عانى الشعب اللبناني نكبات وآلاما منذ ان فرض عليه حكمه السابقون هذا « المبدأ » المشؤوم . وقد اضطر اللبنانيون الى حمل السلاح للخلاص منه . واليوم نرى ان سياستك الجديدة تضع هذا « المبدأ » موضع التطبيق بصورة ما كان دالاس يحلم بتحقيق عشر معشارها .

ومن هو المستفيد من كل ذلك ؟ هل هي القومية العربية ؟ هل هي الجمهورية العربية المتحدة ؟ كلا ابدا ان من يقول ذلك يكذب جهارا على الله والناس . ان المستفيد من ذلك هو الاستعمار واسرائيل فقط لان هذه السياسة تفرق الصف العربي وتخلق جو الامان لاسرائيل ، وتعزل العرب عن اصدقائهم في العالم وتعطي الاستعمار فرصة ذهبية للعمل على توطيد مواقعه من جديد في الاقطار العربية والتسلل الى مواقع جديدة .

وانت ترى ان هذه السياسة لم يباركها احد سوى المستعمرين ، وخصوصا المستعمرون الاميركان . وانت بالذات قلت للصحافي الهندي كارنجيا بان الاميركيين « يلتزمون الهدوء » في هذه الايام . ولكن لماذا يلتزمون الهدوء يا ترى ؟ اليس لانهم يرون ان سياستهم تطبق واهدافهم تنفذ بدون ان يتعبوا انفسهم او يجهدوا اعصابهم . وهل كان الاميركان والانكليز والفرنسيون والصهيونية يطمعون في يوم من الايام ان يكون الوضع بين الدول العربية المتحررة ، وخصوصا بين بغداد والقاهرة « احسن » مما هو اليوم ، بالنسبة لمطامعهم ومآربهم المجرمة ؟ ومن المسؤول عن كل ذلك يا ترى ؟ هل تريد

جوابا صريحا لا غمضة فيه ولا جمجمة ؟
ان سياستك الجديدة وحدها هي المسؤولة عن ذلك . ولو
اردت ، لاستطعت ان تبدل الوضع وتغير الموقف على غير ما يشتهي
الاستعمار وتشتهي اسرائيل . واذن ، فالكراهية ليست موجهة
ضد الجمهورية العربية المتحدة ولا ضد شعبها العربي الشقيق ،
بل هي موجهة ضد سياستكم الخرقاء . وليس الحزب الشيوعي
اللبناني ولا اي حزب اخر هو الذي يث هذه الكراهية بل هي
سياستكم ذاتها ، سياستكم وتصرفاتكم . وستستمر هذه الكراهية
وستزداد عنفا وانتشارا ، لا في لبنان فقط بل في كل بلد عربي ،
وفي كل انحاء الدنيا ، ما دمتم تطبقون هذه السياسة . ومهما
بذلت من جهود ومهما خصصتم من اموال لشراء بعض الضمائر هنا ،
او تسخير بعض الصحف هنا ، او للضغط على هذه الحكومة العربية
او تلك ، فلن يجديكم ذلك نفعا .

معزوفة الخطر الشيوعي ستار لتفطية السير في ركاب الاستعمار

وتقول يا سيادة الرئيس انك مضطر لسلوك هذه السياسة
لصد (الخطر الشيوعي) المزعوم القادم من العراق ، وللوقوف بوجه
التبعية للشرق او للاستعمار الشرقي او الشيوعي كما تسميه احيانا .
ومن الخير لك ان تدع كل هذا الكلام جانبا ، لانه كلام لا يصدقه
احد الا الذين يسخرون ضمائرهم ويؤجرون اقلامهم ، فليس في
العراق تبعية لاية جهة اجنبية . والشعب العراقي اليوم هو الذي
يقرر سياسته واتجاهه بملء حريته وارادته ، اكثر من اي بلد عربي
اخر . اما (الخطر الشيوعي) المزعوم ، فخرافة لا تصدر الا عن
اناس اميين ، او عن اناس سيئي النية يبغون تضليل شعبهم وجره
في طريق مقابرة لمصالحه الوطنية . فان اي رجل مطلع ولو اطلاعا
 بسيطا على طبيعة الانظمة الاجتماعية في العالم ، يعلم ان ليس هناك
استعمار شيوعي ولا يمكن ان يكون هناك استعمار شيوعي .
فالاستعمار اساسه ومصدره سيطرة الاحتكارات الرأسمالية
الضخمة على توجيه سياسة الدولة . وليس في الاتحاد السوفياتي
ولا في اي بلد اشتراكي احتكارات رأسمالية لا كبيرة ولا صغيرة .

ولذلك فلا يمكن ان يكون هناك استعمار او ميل الى الاستعمار . لان البلاد الاشتراكية التي الغي فيها استثمار الانسان للانسان لا يمكن ان يقوم فيها اي ميل لاستثمار شعب اخر، او لبسط السيطرة عليه . ان العرب جميعا يتذكرون ان نوري السعيد وفاضل الجمالي وسواهما من دعاة التبعية للاستعمار كانوا يزعمون دائما ان هناك (استعمارا شيوعيا) موهوما وكان قصدهم تغطية او تبرير سياسة التبعية والسير في ركاب الاستعمار ، ولكن العرب لم يصدقوهم ولن يصدقوا من يتبنى نهجهم او يسير على غرارهم . الا تذكر ان فاضل الجمالي وبعض اتباع الاستعمار في باندونغ حاولوا ان يفرضوا على المؤتمر قرارا يصف الدول الديمقراطية الشعبية في اوربا وآسيا بانها تابعة (للاستعمار السوفياتي) فتصدى لهم نهرو وسوكارنو وشوان لاي وشجبوا زعمهم واقتراءهم ويومها ايدت أنت موقف هؤلاء الرعماء الاسويين . فكيف تغيرت ، ولماذا تغيرت ؟ وانت قد خبرت بنفسك مواقف الاتحاد السوفياتي . فقد كانت مصر في امس الحاجة للسلاح ، ثم كانت بعد العدوان في امس الحاجة للمحروقات والمواد الغذائية . وقد مد الاتحاد السوفياتي يد العون الى مصر في ساعات المحنة والشدة ولم يبدر منه باعترافك انت اية بادرة تدل من بعيد او قريب على اي ميل لاستغلال حاجة مصر وازمة مصر في سبيل فرض اي شروط تربطها بأي قيد من قيود التبعية .

وتقول ان في العراق تبعية . فقل لنا بربك كيف تكون التبعية؟ ان العراق الغى حلف بغداد والمعاهدة البريطانية « ومبدأ » ايزنهاور وهو الان غير مرتبط بأي عقد دولي سياسي او عسكري . وتعمل الجمهورية العراقية جاهدة لتحرير اقتصادها من الانحصار في نطاق الدول الاستعمارية ، وللانطلاق الى الميدان العالمي الواسع . وقد عقدت اتفاقات تجارية واقتصادية مع الاتحاد السوفياتي وبلدان اشتراكية اخرى . وهكذا كنتم تفعلون لعامين مضيا ، وكان المستعمرون يقولون عنكم انكم تسيرون في فلك الدول الشيوعية وتجلبون الاستعمار الشيوعي الى الشرق ، وقد شنوا الحرب على مصر في السويس وعلن ايدن انه فعل ذلك لاجباط « مؤامرة

شيوعية» كانت ترمي الى الاستيلاء على الشرق الاوسط ، وانت اليوم تقول انك تحارب العراق والشيوعية العربية والدولية لاجل احباط «مؤامرة شيوعية» ، ترمي الى اقامة « هلال خصب شيوعي احمر» فكيف تم هذا اللقاء الغريب مع ايدن ؟

وتقول ان الاتحاد السوفياتي يتدخل في شؤون العرب الداخلية . فاین هو هذا التدخل وكيف يتم ؟ ان التدخل يكون اما بالسلاح والاحتلال كما فعل الاميركان والانكليز خلال العام الماضي في لبنان والاردن، واما بالتهديد المسلح او بالضغط الاقتصادي او بهذه الاساليب جميعا فهل فعل الاتحاد السوفياتي شيئا من هذا ضد العراق او ضد الجمهورية العربية المتحدة ؟ انت نفسك اعترفت للصحافي الهندي ان الاتحاد السوفياتي يفصل السياسة عن التجارة وينفذ اتفاقاته بأمانة واستقامة .

اهداف الشيوعيين العرب واضحة

وتزعم ايضا ان الشيوعيين يقاومون القومية العربية لانها ، كما تردد ابواق دعايتكم ، تقف سدا منيعا في طريق « اهدافهم » و « مطامعهم » فما هي اهداف الشيوعيين العرب ومطامعهم ؟ ان الشيوعيين العرب لهم هدف واضح هو توحيد القوى الوطنية في داخل كل بلد وتوحيد الصف العربي وتحقيق اقوى تضامن بين العرب للقضاء على الاستعمار في كل الدنيا العربية واقامة صرح الاستقلال الوطني ، وتحقيق الديمقراطية العربية وتوطيدها ، والقضاء على التأخر والجهل والفقر وتحقيق الوحدة العربية ضد الاستعمار وعلى اسس الديمقراطية وفي نطاق الديمقراطية ، مع اخذ الظروف الخاصة التي نشأت تاريخيا في كل بلد بعين الاعتبار ، بحيث تأتي هذه الوحدة برضى الشعوب العربية واختيارها ، ومنسجمة مع مصلحة كل شعب ، لتكون متينة ولتزداد متانة مع الايام .

فهل القومية العربية ضد هذه الاهداف والمطامع ؟ اننا نعلم وكل عربي يعلم من هم الذين يقاومون هذه الاهداف ، ويستमितون في مقاومتها ويرتعدون منها ، ولا يريدون الاستماع الى اي حديث عنها . لقد عرض الشيوعيون في سوريا مطالب مستمدة من هذه الاهداف فكان ردكم عليهم حربا علنية شعواء هوجاء ، وزججتم

الاف الوطنيين في السجون في الاقليمين ، ونكل زبانية الباحث بالحريات الديمقراطية شر تنكيل .

المعزوفة البالية ضد الديمقراطية

وانت تردد دائما ان اباحة الديمقراطية في الجمهورية العربية المتحدة سيؤدي الى قيام حزب يساري يتجه نحو الشرق ، وحزب يميني يتجه نحو الغرب، وقد آن لك أن تتخلى عن هذه المعزوفة التي لا يؤيدها منطق ولا تاريخ ولا أي علم من علوم الاجتماع .

ان الدول الاسيوية والافريقية المتحررة ومنها الهند واندونيسيا ، تسير على النظم الديمقراطية كل حسب وضعها الخاص ، دون ان تخشى ما تخشاه انت . وها نحن نراها رغم كل الصعاب التي تواجهها ، تتابع سيرها الى امام ، وليس فيها معسكرات اعتقال ، ولا سجون يموت فيها المناضلون ضد الاستعمار تحت التعذيب ، كما هي الحال بملء الاسف في الجمهورية العربية المتحدة . ولعلك لا تجهل ان في الهند ولاية بكاملها اسمها كيرالا ، عدد سكانها حوالي ١٦ مليونا - أكثر من نصف سكان الجمهورية المتحدة - يحكمها الشيوعيون الهنود ؟ ولم يقل نهرو ولا حزب المؤتمر الهندي ان هذه الولاية خطر على القومية الهندية وانها تجر الهند الى التبعية الاجنبية كما تفعل أنت بالنسبة للعراق ، مع انه ليس في العراق اية محافظة او ولاية يحكمها الشيوعيون .

اما الصحيح يا سيادة الرئيس فهو انك تكره الديمقراطية في الجمهورية العربية المتحدة وليس من حقل ان تكرها لان الديمقراطية سلاح يستخدمه الشعب للدفاع عن سيادة الحياذ الايجابي ولمنع الحكام من الانحراف عن السياسة الوطنية المستقلة والانحياز الى معسكر الاحلاف كما انها سلاح للدفاع عن معيشة الجماهير وللنضال في سبيل حقوقها ورفع مستواها .

وها نحن نرى الان ، من خلال ضجة التهويش ضد الشيوعية وضد العراق الديمقراطي ، ومن خلال التنكيل بالوطنيين الاحرار ان الرأسمال الالماني الغربي يتسلل الى اقتصاد الجمهورية المتحدة ، رغم ان المانيا الغربية تقدم اسلحة ومساعدات لاسرائيل ، مع ان العرب يقطعون حتى كل شركة خاصة تتعامل مع اسرائيل ، والبنك

الدولي الاميركي يرسل بعثاته الى مصر ليطلع على مجمل اقتصادها ويهيئ السبيل لمد شبكه الى هذا الاقتصاد ، هذا في حين يخرج العراق من حلف بغداد ومن مبدا ايزنهاور ، ويقضي قضاء تاما على كل اثر للتبعية بينما جدد الاقليم المصري اتفاهة مع (النقطة الرابعة) الاميركية ، وخطر هذه «النقطة» يهدد بالامتداد الى سوريا التي رفضت دائما الارتباط بها .

ان كبار الراسمالين المصريين الجشعين الذين يمثلهم بنك مصر ، والذين استأثروا بالسلطة على جهاز الحكم في مصر ، هم الذين يكرهون الديمقراطية ويرفضونها ويريدون سحقها اينما كانت، لانهم يرون فيها عقبة تحد من حريتهم التامة المطلقة في استثمار الشعب المصري والشعب السوري ، كما تعرقل مساوماتهم وصفقاتهم مع الراسمال الاحتكاري الاستعماري الاميركي الذي يستमितون في سبيل التعاون واياه واقتسام خيرات البلدان العربية وثوراتها معا .

وانت حين تكافح الديمقراطية وتزج روادها في السجون وتشن الحرب الهوجاء ضد العراق الديمقراطي لا تعبر ابدا عن مصالح القومية العربية السمحاء ، بل تعبر عن مطامع هؤلاء الراسمالين واهدافهم وعن مصالح واهداف شركائهم الاميركان . فمكافحة الديمقراطية عمل يخدم الاستعمار والرجعية فقط .

الديمقراطية تراث عربي اصيل

اما القومية العربية المناضلة ضد الاستعمار فهي ذات محتوى ديمقراطي تقدمي وجوبا . لان النضال ضد الاستعمار يتطلب تعبئة جميع القوى الوطنية وتحريكها ودفعها الى امام ، وهذا لا يمكن الا بوسيلة الديمقراطية . اما الديكتاتورية فانها تقتل مبادرة الشعب وتشل نشاطه .

والديمقراطية تراث عربي اصيل ، بل هي تراث من صميم الاسلام الصحيح « وامرهم شورى بينهم » فأين حكمك الديكتاتوري اليوم ، في القرن العشرين ، من تلك الشورى السمحاء في عهد اجدادنا العرب الاولين .

ان سيرة الخلفاء الراشدين ، وجميع الخلفاء الصالحين من

بعدهم ، قد اتسمت دائما بروح من الديمقراطية السمحاء ! الم تقرأ ولو مرة قول عمر : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احارارا ؟ واية ديمقراطية ابلغ واعمق من سيرة الخليفة الصالح عمر ابن عبدالعزيز الذي نادى :

« ان الله ارسل محمد هاديا ، ولم يرسله جاييا » .

اما الديكتاتورية ، اما الطفيان فشيء غريب عن تاريخ العرب ، دخیل على تراثهم ، وفي مصر ذاتها ، عانى الشعب افطع انواع الطفیان في عهد الفراعنة ثم في عهد الممالیک ، واولئك وهؤلاء كانوا من غير العرب ، كما تعلم ونعلم .

وبعد ، فاننا نحن المواطنين اللبنانيين نعرف الحزب الشيوعي اللبناني ، نعرفه حزبا عربيا اصيلا ، حزبا عربي الوجه واليد واللسان ، حزبا نبت من صميم الشعب العربي في لبنان وهو يستمد حياته من الشعب اللبناني ، ويستوحي نشاطه وسياسته من مصالح هذا الشعب التي هي جزء من مصالح الامة العربية . والشيعيون اللبنانيون يحملون راية العروبة وراية الكفاح في سبيل الاستقلال الوطني وضد الاستعمار ، منذ ثلاثين عاما ، حين كان الكثيرون من الزعماء اليوم لم يكتشفوا بعد ما هي قوميتهم .

وليست مهمة الحزب الشيوعي اللبناني بث الكراهية ضد الجمهورية العربية المتحدة ، ولا ضد اي بلد عربي اخر . ولكن الحزب الشيوعي اللبناني وكل وطني حر ، لا يمكنه ان يسكت عن المآسي والمخازي التي تجري في قطر عربي كالجمهورية المتحدة ، ضد القوى الوطنية واصلب العناصر المكافحة ضد الاستعمار . ومهمة الحزب الى جانب ذلك ، هي العمل الدائب للمساهمة ، ضمن حدود امكانياته ، في جمع صفوف العرب ضد الاستعمار وضد عملاء الاستعمار الذين يريدون جر العرب في ركاب الاستعمار الاميركي او اي استعمار اخر ، تحت اي شعار من الشعارات المزيفة .

اما الكراهية ضدكم او ضد سياستكم ، يا سيادة الرئيس ، في لبنان اوسواه ، فهي من صنعكم انتم وحدكم ، وبالطبع من صنع المرتزقة والعملاء الخاقدين الموتورين الذين يلوذون بكم . لقد تألب المستعمرون ، في ايام مضت ، على بث الكراهية والحذر ضدكم ، وعاونهم جميع

الرجعيين وجميع عملاء الاستعمار ، وكان المستعمرون اقوى مما هم اليوم . ولكنهم اخفقوا لان سياستكم كانت تتجاوب مع ارادة الجماهير وتحظى بتأييد كل الوطنيين ومنهم الشيوعيون العرب في لبنان وغير لبنان . اما الان فان الذين يثقون بكم يتضاءلون يوما عن يوم ، ويعانون خيبة امل مريرة . واذا تابعتم سياستكم الحالية ، سياسة مكافحة الديمقراطية ، ومحاربة العراق وتعكير الصداقة مع الاتحاد السوفياتي والمعسكر الاشتراكي فلن يبقى وراءكم سوى غلاة الرجعيين وعملاء الاستعمار العريقين .

اقلعوا عن التدخل في شؤون لبنان

واخيرا ينبغي ان اقول لكم بصراحة ان من اكبر العوامل التي تثبت الكراهية نحوكم في لبنان موقفكم من لبنان نفسه . فالشعب اللبناني يشعر بان هناك تدخلات ومساومات والوانا من الضغط السياسي والاقتصادي من جانب القاهرة ترمي الى حمل الحكومة اللبنانية على الحد من الحرية وخنق الديمقراطية في لبنان .

فوضع القيود المالية على تنقل الاشخاص من الاقليم السوري الى لبنان ، وعدم تعديل المرسوم ١٥١ ، ومنع تجارة الترانزيت من لبنان عبر الاراضي السورية ، ليست تدابير « لحماية » الاقتصاد السوري او مصالح الاقليم السوري ، كما تزعم الدعايات الكاذبة . فطرق حماية الاقتصاد وآنعاشه معروفة ، وهي بعيدة عن هذه الاساليب . وتدابيركم هي نوع من الضغط الذي يستهدف جر لبنان وراء سياستكم الجديدة الدولية والعربية ولا سيما في معاداة الجمهورية العراقية الشقيقة وضرب حريات الشعب اللبناني التي يعتز بها ويفتديها بالمهج ، وتعكير بعض صداقات لبنان الدولية .

وفوق ذلك ، يشعر الشعب اللبناني بان هناك اساليب ومحاولات مختلفة الاشكال ، من شأنها تعكير ما يطمح اليه الشعب اللبناني بالاجتماع من استقرار وهدوء وامن .

فاذا كنتم تريدون ان تتخلصوا من الكراهية المتعاظمة ضدكم الضاعدة بوجهكم في كل بقعة من بقاع الوطن العربي ، فما عليكم الا تبديل سياستكم الجديدة من جميع نواحيها .

اقلعوا نهائيا عن التدخل في شؤون لبنان بأية وسيلة ظاهرة او خفية، وافتحوا سجون سورية ومصر وافرجوا عن جميع المعتقلين الوطنيين الديمقراطيين، وانهوا المرحلة الموقته في الجمهورية العربية المتحدة واعيدوا الحريات الديمقراطية ، حرية الصحافة والاحزاب والمنظمات الشعبية والنقابات، وسنوا دستوراً ديمقراطياً واعيدوا الحياة النيابية وأجروا انتخابات شعبية حرة. وقبل كل شيء اوقفوا الحرب الباردة التي تشنونها ضد الجمهورية العراقية الديمقراطية، واسعوا الى محو الماضي البغيض بينكم وبينها ، واقيموا احسن علاقات الاخاء والتعاون معها ، على اساس احترام نظامها الداخلي وعدم التدخل في شؤونها .

واعيدوا الصداقة العربية السوفياتية الى سابق عهدها ، وخصصوا كل الجهود والقوى والاموال التي تبذل الان لمحاربة العراق وجمهوريته الديمقراطية ، ولمحاربة الشعب العربي في مصر وسوريا . خصوصا لاجل مساعدة الجزائر وعدن وعمان وفلسطين والمحميات . وعندئذ ترون ان جو الكراهية قد تبدل بجو من التأييد العارم والحماسة الكبرى . وترون ان كل الصعاب في داخل الجمهورية المتحدة قد تبددت هباء ، وان مواقع الاستعمار اخذت تتساقط الواحد بعد الآخر في هذا الشرق ، وان الوحدة العربية تصبح حقيقة واقعة لا يقف في سبيلها حاجز ولا عائق .

فهل انت قادر بعد ، يا سيادة الرئيس، على العودة عن الطريق الذي سلكته ، الى طريق القومية العربية السليم الصحيح ؟ احب ان اتمنى انك ما زلت قادرا على ذلك ، ولكن يؤلمني ان اقول اني اصبحت اعتقد اعتقادا راسخا بانك لا تريد ذلك ، ولا تقدر عليه ، حتى لو اردته ، لان الامر لم يبق بيدك بل بيد الذين عاهدتهم على مكافحة الديمقراطية العربية حتى النهاية ، في سبيل اهداف ومصالح لا تمت الى القومية العربية بصلة .

ولكن لا بأس ابدا . فالشعب قادر على فرض هذا الاتجاه. الوطني العربي السليم ، وسيفرضه رغم انف زبانية المباحث وانف اسيادهم الاميركان وكل المستعمرين .

فهرس

صفحة

الى القارىء	٣
حياة الشهيد	٥
بلادنا ايضا لها اول ايارها	١١
انسانية جديدة تبني عالما جديدا	١٧
مشروع مطالب شعبية	٤٧
الصهيونية المجرمة ، خطرها في لبنان	٥٣
خطرنا في بلاد العرب	
مذكرة احتجاج بشأن احداث ١٩٤٣	٥٧
القضايا الاجتماعية ، وصلتها الوثقي بالقضايا الوطنية	٦٠
الاتحاد الوطني	٦٥
الشرق العربي يتحرك	٦٩
قوى الحرية تتابع السير رغم تهووش الرجعية العالية	٨٠
لبنان سيبقى في جبهة الحرية	٨٣
برنامج انتخابي	٨٦
نقتنا بمستقبل بلادنا	٨٩
يوم اسود في تاريخ لبنان	٩٢
الولايات المتحدة واستقلال الشعوب العربية	٩٧
الثقافة والسياسة	١٠٢
لا بد من تعاون عربي	١٠٥
سياسة التضامن والتعاون العربي	١١١
هي السياسة اللبنانية الوحيدة الصحيحة	
انتفاضة العراق وما بعدها	١١٧
نحو جبهة وطنية	١٥٦
الانتخابات النيابية في سورية	١٦١
عاشت سورية	١٦٥
من مواطن لبناني الى عبد الناصر	١٧٢

الناشر لجنة فرج الله الحلو
بيروت - مكتب الحامي ادمون عون

الثمان ٢٠٠ قرش لبناني
مطبعة النجاح - بيروت

الناشر لجنة فرج الله الحلو
بيروت - مكتب المحامي ادمون عون

التمن ٢٠٠ قرش لبناني
مطبعة النجاح - بيروت